

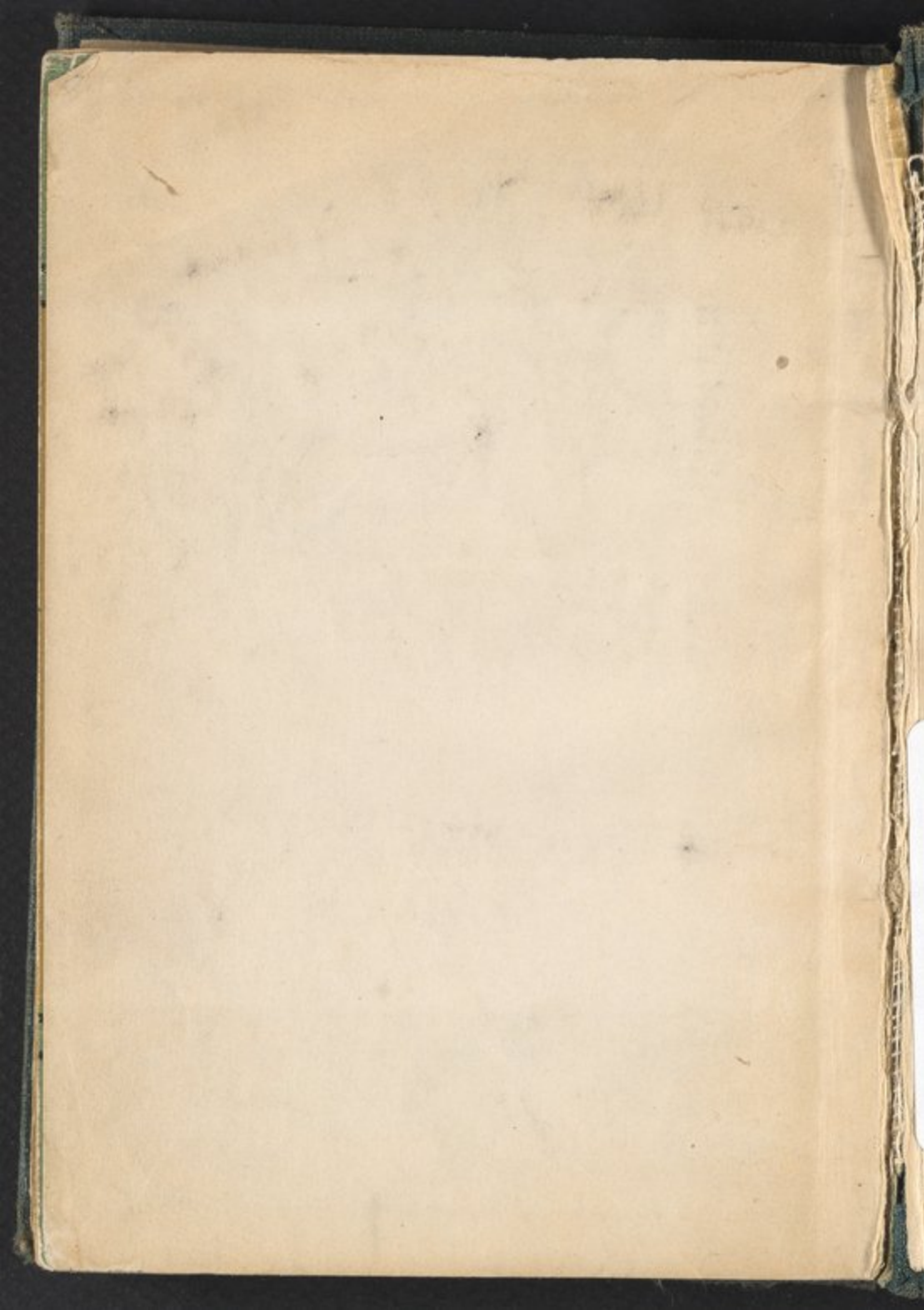
AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY

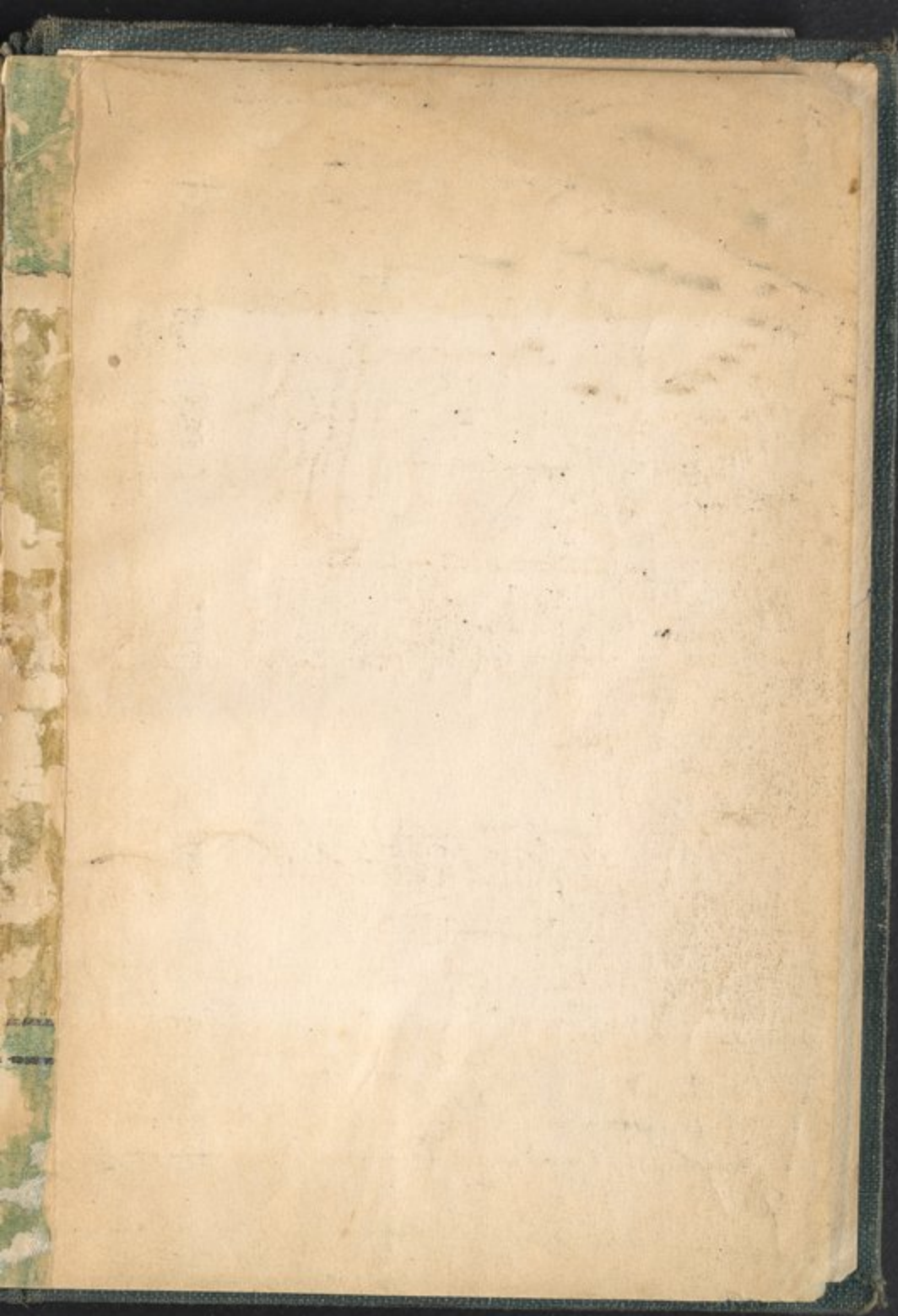


3 8534 01110 2294

04-B1083

Mar 10





كتاب الهلال

في الطريق

تأليف

أبراهيم عبدالقادر المازني



سلسلة شهرية
تصدر عن دار الهلال



كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »
شركة مساهمة مصرية

رئيس التحرير : طاهر الطناحي

العدد ٣٢ - صفر ١٣٧٣ - نوفمبر ١٩٥٢

No. 32 — November 1953

مركز الإدارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب
(المبتديان سابقا) القاهرة

المكاتب

كتاب الهلال - بوسنة مصر العمومية - مصر
التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

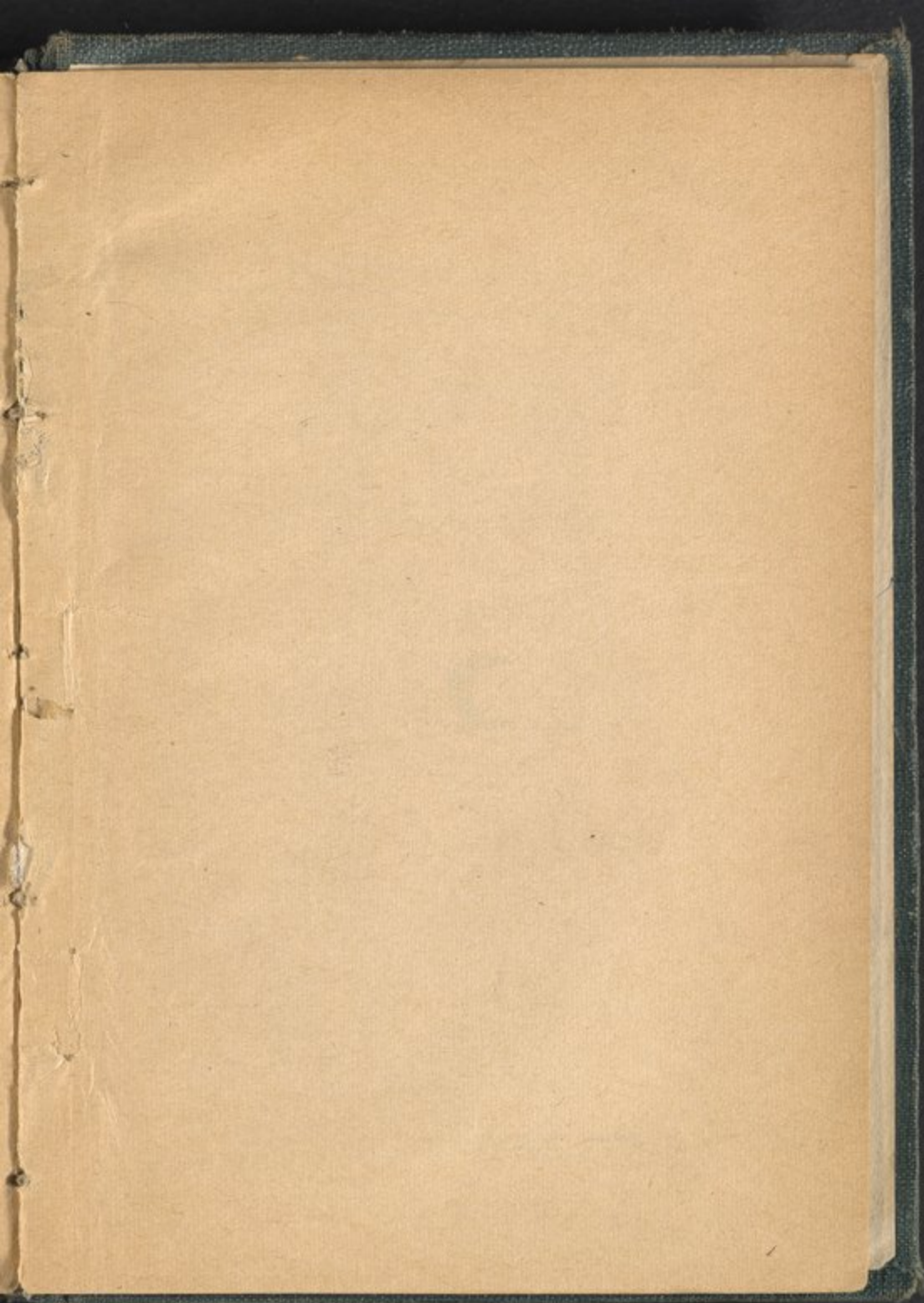
الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي (١٢ عددا) - مصر والسودان
٨٥ قرشا صاغا - سوريا ولبنان ١٠٧٥ قرشا سوريا
أو لبنانيا - الحجاز والعراق والأردن ١١٠ قروش
صاغا - في الأمريكتين ٥ دولارات - في سائر
أنحاء العالم ١٥٠ قرشا صاغا أو ٣٠/٩ شلن

كتاب الهلال



سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال



في الطريق

١٢٥
٣٨٤٦
٨٩
٢٥
١٩٥٣
٢.١

تأليف

أبراهيم عبد القادر المازني

~~١١٣, ٦~~
~~ط. ف~~

١١٣, - ١

40665

الأهداء

الى « حياة »

في بعض الأحيان أكون جالسا الى مكتبي قبل طلوع الشمس ، وامامى الآلة الكاتبة ادق عليها وارمى بورقة اثر ورقة ، والى جانبي فنجان القهوة أرشف منه وأذهل عنه ، فأحس راحتك الصغيرتين على كتفى فأدير وجهى اليك ، وأرفع عينى لأصبح على بستان وجهك ، وأستمد من ابتسامة عينيك النجلاوين ، وأفترار ثفرك النضيد ما افتقر اليه من الجلد والشجاعة ، وأدفع يدي فأطوقك بذراعى ، وأضمك الى صدرى ، وأشم خذك الصابح ، وأمسح على شعرك الأثيث المرسل على ظهرك وجانب محياك الوضىء ، وأتملى بحسبك وأنشر فى كهف صدرى المظلم نور البشر والطلاقة ، فتدفعين ذراعك الفضة وتتناولين بينناك الدقيقة ورقة مما كتبت ، وترفعينها أمام عينيك ، وتزوين ما بينهما ، وتتخذين هيئة الجد الصارم ، وتفيضين على نفسك السمحة العطوف ، وأنت مضطجعة على ذراعى ، سمتا وأبهة يفران بالابتسام ، وأنا أنظر اليك وفى قلبى سكينه ، وجوى من قربك معطر بمثل أنفاس الروطة الأنف فى البكرة الندية .
والبح شفتيك الرقيقتين تختلجان وعينيك تلمعان ، فتطيب نفسى بسرورك الصامت ، ثم أسمع ضحكك الفضية ، وأراك

تفطين وجهك الحلو بالورقة فيستطيرنى الفرح ويستخفى
الجدل ، ولكنى أظاهر بالخوف على الورقة التى لا قيمة لها
أن يمزقها أنفك الجميل فترمين رأسك على ذراعى وينسدل
شعرك الذهبى المتموج كالستار ، وتصافح سمعى من
ضحكاتك العذبة موجات لينة . ثم تعتدلين على ساقى ،
وتدفعين ذراعيك فتطوقين بهما عنقى ، وتجذبين وجهى
إليك ، ولكنك تشفقين على رقة شفئك من خشونة خدى
فتلثمين أذنى الطويلة - وتعطينها أيضا - فأصرخ ، فتشبين
الى قدميك خفيفة مرحة ، وتخرجين بعد أن خلفت فى
صدرى أنشراحا ، وفى قلبى رضى ، وفى روحى خفة ، وفى
نفسى شفوفا ، وفى عقلى قوة ، وفى أملى بسطة واتساعا ،
وفى خيالى نشاطا ، فأضطجع مرتاحا وأغمض عيني القريرة
بحبك ثم أفتحها على :

« صيد حرماه على أغراقنا »

فى النزاع - والحرمان فى الاغراق »

أى والله ، لولا الاغراق ما كان الحرمان . وهل هو
الا الشعور به من الاسراف فى الرغبة واللحاجة فى الطلب ؟
بل أفتح العين على جثة صغيرة حملتها يدي هاتين الى
قبرها ، وأنزلتها فيه ، ووسدتها التراب بعد أن سويته لها
بكفى ، ورفعت من بينه الحصى الدقاق ثم انكفأت الى بيتى
جامد العين وعلى شفتى ابتسامة متكلفة وفى فمى يدور قول
ابن الرومى :

« لم يخلق الدمع لأمريء عبثا الله أدرى بلوعة الحزن »

وتدخل على زوجتى لتحيننى تحية الصباح ، فأتلقاها
بالبشر والبشاشة ، وأهم بأن أحدثها بما كبر فى وهمى قبل
لحظة ، ولكنى أزجر نفسى وأردها عن التعزى باللفظ . ولو أنى
شرعت أحدثها بشيء من ذلك لما فرغت ، فما أخلو بنفسى قط
الا رايتنى أستطيع أن أتخيل فتاتى على كل صورة وكل

هيئة وفي كل حالة من حالات الطيش والحكمة ، والغضب
والسرور ، والسخط والرضى ، والضحك والبكاء ، والعشق
والسلوان والنفور والاقبال ، والحركة والسكون ، واللعب ،
والنط ، والقفز ، والسباحة ويحلو لى أن انشىء بينى
وبينها أحاديث فى كل موضوع من جد وهزل ، ويسرنى أن
أسمع نكتها ، وأرانى أستملح فكاهتها - وأنتحلها فيما
أكتب - وأضحك أحيانا بصوت عال ، بل أقهقه غير محتشم ،
فاذا تعجب لى داخل متطفل على فى هذه الخلوة المحببة الى
نفسى رفعت له وجها كالدرهم المسيح ، وهربت بالتبالة من
الجواب الذى يطلبه بعينه أو لسانه ، وتركته يظن بعقلى
ما يشاء . وماذا أقول له ؟ فى وسعى أن أكذب ، فما لباب
الكذب مفتاح ، ولكن الكذب ينقص على المتعة التى استفدتها
من الحوار الذى كان يدور بينى وبين « حياة »



وانت يا « حياة » الجديدة بديل من « حياة » التى فقدتها،
لا . . لست بديلا ، ولا أنت عوض عنها ، ولا أحسبك
يرضيك أن تكونى عوضا عما لا يؤاتى . وتلك قد رببتها
صغيرة ودللتها وهى رضيعة بيدي هاتين اللتين أتناول
بهما خديك ، ولاعبتها وأركبتها ظهرى ، وقطعت بها فراسخ
طويلة فى الغرفة الضيقة ، وسقيتها الماء ورأيتها تمص ثدى
أمها وهى ذاهلة عن الدنيا وما فيها - وما هو كائن وما عسى
أن يكون - ونحن ننظر إليها مسرورين مستغربين مفتونين
بهيتها ، وهى مقبلة على الثدى ، ويدها الدقيقة على
الثدوة ، وأصابعها تتحرك فى لطف وعلى مهل ، مستظرفين
شفقتها المثنية على سواد الثدى حول الحلمة وهى مكبة على
الرضاعة

ولكن فيك مشابهة منها . وأنا أغالط نفسي وأزعم أنها
لو كتب لها البقاء لما عدتكَ . ولست تجلسين على ساقى في
الصباح الباكر - كما تفعل تلك فيما أتخيل - ولكنك
تقراين ما أكتب - بعد أن ينشر - وأراك يسرك أن تسكني
إلى ، ستكون الطائر إلى وكره

وهل هذا كل شيء . ؟ لا أدري . وأظن - بل أنا واثق -
أنك تفهمين ما أعني حين أقول أنك فصل من كتاب حياة
وهل أحتاج أن أقول أن اسمكما ليس « حياة » ؟

ابراهيم عبد القادر المازني

التدريب الأول

« الا تنوى ان تعلمنى قيادة السيارة ؟ »
قلت : « انى انوى ان اعلمك أشياء كثيرة .. فى اوانها »
قالت : « مثل .. ؟ » وامالت رأسها الصغير والقت الى
ابتسامة أعوذ بالله من سحرها
فبلعت ريقى ، وقلت : « أووووه .. أشياء كثيرة كما قلت :
مثل الرقة واللفظ واللين وحسن المواتاة .. أشياء
كثيرة »

قالت وعلى فمها - وفى عينيها - ابتسامة المتسامح :
« الا ترانى لطيفة ؟ .. »

قلت : « عفوا .. انما اعنى أن هذه المسائل نسبية ،
فقد تكونين فى الواقع الطف فتاة تزين هذه الكرة الأرضية
بوجودها .. وقد اكون انا لا احس ذلك ولا اعرفه ، لبلادة
فى أو .. جهل .. أو .. »

فأشارت بكفها وقالت : « يكفى .. سأحاول ان اكون
لطيفة معك ، فكن لطيفا وقل لى متى يكون الدرس الاول ؟ »
قلت : « الآن .. تعالى .. ضعى هذا المعطف على
كتفيك »

فأولتنى ظهرها لأضع عليه المعطف ، وكانت تنظر الى
وانا افعل ذلك ببطء

وانحدرنا الى الطريق وركبنا ، فقالت وانا اهم بالمسير :
« الا تلبس المعطف .. ان الجو بارد »

فهزئت رأسى وقلت : « كلا .. سأصيب عرقا بعد
دقائق - بل ثوان - من ابتداء الدرس الاول ولكنك

تعرفيننى .. لا أهرب من الواجبات مهما كلفتنى «

وقالت : « هل هذا واجب شاق ؟ »

قلت : « سترين » .. ولم أزد

ووقفنا فى مكان خلوى رحيب لا خوف فيه من أن ندوس طفلا أو نصطدم بشيء ، فقلت لها بلهجة الجد : « اسمعى من فضلك .. الآن يبدأ الدرس ، التدريب الاول .. فاذكرى دائما أن هذا درس وليس بلعب .. اسمعى الكلام وافهميه واعملى به ولا تحوجينى الى شد شعرك أو قرص أذنك أو خدك »

وكانت تبتسم حينما شرعت أتكلم ، فلما رأتنى جادا لا أضحك ولا يبدو على أنى أمزح ، صارت الابتسامة كنور القمر المرتعش على صفحة الغدير الصافى .. فرق لها قلبى ، ولكنى تعاملت على نفسى وغالبتها وحدثتها - أعنى نفسى - بأن كل شيء خليق أن يفسد اذا لم أظهر الجد

وقالت بضعف : « انى مصفية »

قلت : « هذا حسن .. ابتداء طيب . والآن ، ادنى

منى .. التصقى بى »

قالت : « لماذا ؟ »

قلت : « لتتناولى العجلة وتندربى على ادارتها بالضبط

والاحكام الواجبين »

فحاولت أن تتناولها من غير أن تلقى بجسمها على صدرى ، وكان هذا متعذرا . وأدركت أنها مترددة ، فقلت : « بالطبع ستزهق روحى وتتقصف أضلاعى وتحتبس أنفاسى .. ولكن هذا لا مفر من احتماله »

قالت : « صحيح ؟ »

فخفت أن تدفعها الرقة والاشفاق على ، الى ايشار العدول فقلت : « ان فى قولى هذا بعض المبالغة ولا شك ، ولكنى

أعنى انه اذا كان لأحد منا أن يتردد أو يخشى شيئا ...
فانى أنا الخليق بذلك »

فظنت انى غضبت أو أن ترددها جرح احساسى وآلمنى ،
فقلت : « انى آسفة »

فابتسمت لها صافحا عنها .. وقلت : « تفضلى .. »
وتناولت كفيها فوضعتهما على العجلة وأنا أسأل الله أن
يلهمنى القوة ويرزقنى القدرة على مقاومة هذا الاغراء .
وصار كتفها على صدرى ، وشعرها على وجهى ، وأرجه
فى أنفى ، وصفحة خدها الغض المشرق تحت عيني ..
فلو مططت بوزى قليلا للمستته شفتاى . وسرنا خطوات
ترنحت فيها السيارة كأنها سكرى ، وأحسب أن لها - أعنى
للسيارة - عذرها .. فما لمست عجلتها كف كهذه ، رخصة
بضة دقيقة .. وكنت أنظر اليها ، فأشعر انى أوشك أن
أرتد الى عصور الاستيحاش ، وأحس انى أريد أن أكلها
لفرط حلاوتها . ولم أكن أحس وهى على صدرى أن فى
بدنها عظاما من فرط الرقة والظراوة . وكان شعرها يدير
رأسى ويسكرنى بعطره الطبيعى . وكانت يدي اليمنى على
كتفها ، فكنت بجهد أرددها عن ضمها الى

وقلت لها وقد وقفنا قليلا لنستريح ، فقد كانت جلستها
متعبة : « لن نستطيعى أن تختفى عنى بعد اليوم كما فعلت
من قبل »

قالت : « كيف .. ماذا تعنى ؟ »

قلت : « لا اظنك تعرفين ما أعنى ، فمن حقه أن تسألى
وتعجبى .. لقد انتقلت فجأة من بيتك فأصبحت يوما فاذا
أنت غير موجودة حيث ألفت أن أراك .. لا أدري كيف
تسنى لك أن تنتقل من بيت الى بيت من غير أن أشعر
بذلك ونحن جاران متقابلان .. ولكنك نجحت .. غافلتنى
واختفيت »

فقالت : « على فكرة .. كيف اهتديت الى البيت الجديد ؟ »
قلت : « أوه .. هذه حكاية طويلة .. رايت أخاك
فتبعته من حيث لا يشعر .. لو كنت شممت شعرك كما
شممته اليوم .. لما أحتجت الى أخيك أو غيره »

فضحكت وقالت : « لم أكن أحسب أنك .. » وأمسكت
فقلت : « قولها .. ولا تخشى أن تسيئى الى . نعم ، ان
فى بعض خصائص الكلاب .. ومن يدري ، لعل الله كان يريد
فى أول الأمر أن يخلق من طينتى كلبا ثم بدا له أن هذه
الطينة لا تليق بكلب فصنع منها هذا الانسان الذى يجلس
الى جانبك . ومن هنا بقيت لى حاسة الشم فى الكلاب ،
ولكن قوتها فى شئ واحد .. ما شممت شعرا الا بقيت
رائحته فى أنفى .. ولو أنك وقفت بين عشرين فتاة
وعصبت لى عيناى لاستطعت أن أهتدى اليك وأخرجك
من بينهن بأنفى .. بمجرد شم الشعور »

فدهشت وقالت : « هل تتكلم جادا ؟ »

قلت : « فى وسعك أن تجربى . هاتى عشرين فتاة ..
وارسلى لهن شعورهن وقفى بينهن وضعى على عيني
ما شئت .. ودعيني أشمكن . نعم فى من الكلب هذا ..
وليت لى منه مزاياه الأخرى .. بل ليتنى كنت كلبك على
الخصوص »

فضحكت وقالت : « ولماذا ؟ . لا تخف أن تتكلم فان
حديثك لذيذ »

قلت : « أشكر .. لو كنت كلبك لكان من حقى المعترف
به مثلا أن أقعد بين يديك فى حيث تكونين . لا أحرم ذلك
ولا يستطيع أحد أن يقصينى عنك ولو حاول أحد ذلك
لعرضته ومزقت ثيابه ولحمه ولأدبته .. نعم .. ولكن
من حقى أن أضع رجلى على .. على .. فى حبرك ..
والحس لك وجهك كلما شئت ذلك واشتهيته .. معذرة

فان الكلب لا يحسن التقييل .. وهذا هو البديل عنده من القبل .. ولو كنت كلبك يا فتاتي الجميلة لكنت حارسك الأمين وفارسك الذي لا يقصر ولا يغفل ولا يسهو .. ولو كنت كلبك لكان من حقى على الأرجح - فانك رقيقة القلب - أن أنام على سريرك .. »

فصرخت ووضعت راحتها على فمى فضحكت ، وقلت : « لا تخافى فانى لم أصر كلبا مع الأسف .. أبى الحظ هذه النعمة على المسكين الذى هو أنا »

واستأنفنا الدرس وعدنا الى التدريب ، واقبلنا على ذلك بعزم لا يفتر وارادة لا تلين أو تضعف ، ثم وقفنا واراحت يديها وتنهدت وقالت : « تعبت »

قلت : « انى آسف .. استريحى »

فسألتنى : « هل تعبت أنت أيضا ؟ »

قلت : « كلا .. انما تعبت من التفكير »

قالت : « فى أى شىء كنت تفكر ؟ »

قلت : « هل تصدقيننى اذا أخبرتك ؟ »

قالت : « لم لا أصدق ؟ .. هل هو شىء غريب جدا ؟ »

قلت : « نعم .. جدا .. لقد كنت - وأنت على صدرى -

أشتهى أن أمرغ نفسى فى هذه الرمال وأن أعوى كالكلب »

فضحكت حتى ترقرق الدمع فى عينيها ، وقالت بعد

أن وجدت لسانها : « ولكن لماذا ؟ .. أن هذا شىء غريب »

قلت : « لا غرابة على الاطلاق .. ألم اقل لك أن فى من

الكلب خصائص .. اشتهيت أن أفعل ذلك عسى أن تصنعى

معى ما كان يمكن أن تصنعى مع كلبك .. تحمليتنى بين

يديك .. على ذراعيك .. وتدنين فمك الدقيق من وجهى

وتقبليننى فالأعبك وأضع يدي على كتفك وأنظر فى عينيك

وأمسح خدى بخدك .. على فكرة .. وقبل أن أنسى »

فتركت الضحك ، واقبلت على تسألني : « نعم .. »
قلت : « هل تستطيعين ان تخبريني او تبينى لى كيف
يسعك ان تأكلى ؟ »

فاستغربت ، وقالت : « لست افهم .. لماذا تظن انى
لا أستطيع ان أكل ؟ »

قلت ، وأنا اضحك : « هل تسمين هذا فما ؟ . انه ادق
من ان يتسع لاصفر لقمة .. يصلح ان يكون قرنفة او
ما يشبه ذلك »

فقاطعتنى ، وقالت : « والآن اسكت قليلا .. لقد دار
رأسى .. لماذا تتكلم هكذا ؟ »

فهممت بأن أقول شيئا ولكنها اراحت كفها على شفتى
فلثمتها ، فابتسمت وقالت : « لقد كنت أفكر فى جزاء لما
علمتنى وقلت لى لثملانى غرورا .. ولكنك افسدت كل
شيء .. أخذت جزاءك بنفسك »

قلت : « لا .. لا .. لا .. نمسح القبله »

قالت : « كيف يمكن ؟ »

قلت : « هكذا .. بشفتى »

فأطرقت قليلا ، ثم رفعت رأسها وقالت : « لو سألتك
عما تحب ان يكون جزاؤك منى ، ماذا كنت عسى ان تطلب ؟ ..
افهم ان هذه مسألة نظرية بحت »

قلت : « الجواب حاضر .. وما اظن بك الا انك تعرفينه ..
وهل هو الا أن تعدينى كلبا لك ؟ .. »

قالت : « هذا سهل »

فصحت مسرورا وأنا لا أكاد اصدق : « ايه ؟ ! »

قالت : « لا تتعجل .. على مهلك .. لا تنس ان كلامنا
كله نظرى » . فارتددت وتنهدت أسفا محزونا ، فقالت وهى

تربت لى على كتفى : « لا تحزن يا كلبى العزيز .. انت
كلبى .. ألم تقل ذلك ؟ »

قلت : « نعم .. ولكن الكلب له مزايا .. لا تنسى ذلك »

قالت : « يحسن أن تتدرب عليها التدريب الاول .. »

فقاطعتها وصحت بها : « لا .. لا .. انى طول عمرى

كلب .. متدرب من زمان .. كلب عتيق .. والله »

وضحكنا ..

وافترقنا على موعد للتدريب الثانى



الدكان

وقفت « جلييلة » لا تدري ماذا تصنع ، فقد انغمرت
احدى العجلتين الخلفيتين فى الرمل وأبت أن تخرج منه ..
وعجز المحرك عن جذبها ، بل كانت العجلة تزداد غوصا كلما
حاولت نزعها . وكانت الشمس قد مالت الى المغيب ولم
يبدا أحد فى الأفق ، وكان الكشك الذى وقفت عنده منذ
لحظة تشرب « الكازوزة » يبعد مسافة كيلو ونصف او
اثنين ، فليتها ما جاوزته الى هذا المكان القفر .. ولكنها
أرادت أن ترى الطائرة الشراعية من مكان قريب والارض
بعد « الكشك » غير ممهدة . ولكن عناء السير فيها محتمل
ولا خوف من الفوص . وقد طوفت من قبل فى أرجاء هذا
الفضاء الرحيب . فهى تعرف صلابة الارض ولا تخشى
رخاوتها ، غير أن الحظ خانها فى هذه المرة .. فما كادت
تقف بالسيارة وتناهى عنها قليلا ثم ترجع ، حتى الفت
العجلة قد غاب نصفها فى الرمال الخائنة . وكان تلاميذ
الطيران الشراعى بعيدين عنها بعد « الكشك » ، فهل تترك
السيارة وتعود أدراجها الى الكشك تلتمس من صاحبه
المعونة ، وتسأله أن يدعو الى نجدتها بعض خفرائه ؟ .. لم
يبق من هذا مفر على ما يظهر ، والا صار خطبها أدهى بعد
الغروب . وصح عزمها على ذلك ، فأقبلت على السيارة
تريد أن تأخذ منها حقيبتها وقبعتها واذا بصوت يقول لها :
« اسمحى لى .. »

فالتفت مذعورة .. فما سمعت وقع قدميه وهو مقبل
عليها ولا رآته ، وان كانت قد دارت بعينها فى المكان ونفضته
قبل أن تنوى الرجوع الى « الكشك » . ولم يسألها الرجل
شيئا ولم ينظر اليها بل انطرح على الرمل بثيابه الانيقة بعد

ان القى طربوشه فى السيارة ، وراح يجرف الرمل بيده من
خلف العجلة وقدامها .. ولما فرغ من ذلك ووسع للعجلة
نهض ومشى مطرقا ينظر الى الارض كأنما يبحث عن شىء ،
ثم انحنى وتناول حجرا كبيرا ولوحا من « الصاج » وعاد
بهما فوضع الحجر خلف العجلة واللوح أمامها وتحتها ،
ليكون دورانها عليه لا على الرمل . ثم نهض مرة أخرى ،
وقال : « اظن هذا يكفى .. فلنجرب على كل حال »
فقلت : « أشكرك .. لا أدري ماذا كنت أصنع لو لم
تجدنى »

فأشار بيده ، وقال : « أجلى الشكر حتى أستحقه ..
ان العجلة المسكينة لا تزال غائصة ، فلننقذها أولا »
ومضى الى آخر السيارة ، وقال : « أديرى المحرك
وسيرى بها ، وسأدفعها من الخلف »
ففعلت وخرجت السيارة ثم وقفت على مسافة أمتار ،
ونزلت منها جليلة متهللة الوجه فصاح بها : « لماذا وقفت ..
هل حدث شىء ؟ »

قالت : « لا .. انما جئت لأشكرك »
ففرك يديه ومد يميناه اليها ، وقال : « آه صحيح ..
صار الشكر الآن واجبا . اليس كذلك ؟ »
فضحكت وسرها منه أنه لا يبدو عليه أنه يريد شكرا ،
وأنه كان ينتظر منها ان تمضى عنه بلا كلام
وقالت ، وهى تبتسم له فى عينيه : « ألا تريد ان
أشكرك ؟ »

فقال وهو ينفخ الرمل عن ثيابه : « كلا .. أنه دين قديم
أؤديه .. بعضه على الأقل »
ففاضت الابتسامة ، وقالت مستغربة : « دين ؟ . لى أنا ؟
ولكنى لا اذكر أنى أعرفك .. لا مؤاخذه »

قال : « صدقيني حين أقول لك انه يسرنى أن أراك
ناسية .. انها ذكرى خليقة الا تثير في نفسك الا الامتعاض
والنفور بل المقت .. فالحمد لله »

فدنت منه مقدار خطوة ، وقالت : « ولكن أرجو أن
تريحنى .. هل تعرفنى ؟ »

قال : « أعرفك ؟ اظن ذلك .. وان كنت لا اكنمك انى نسيت
اسمك .. انتظرى .. ورفع كفه الكبيرة الغليظة الى
جبينه .. اسمك يا ستى .. غريب أن تبقى الصورة كل هذه
الاعوام ويذهب الاسم .. اوه .. جما .. جميلة .. وجدته
وجدته .. جليلة .. اليس كذلك ؟ »

فصاحت : « نعم .. نعم .. ولكنى آسفة لانى لا اذكرك
ابدا .. لا صورتك ، ولا اسمك »

فقال بابتسام : « انهما جديران منك بالنسيان »

فألحت عليه أن يذكر لها اسمه ، فقال : « هذا لغز سأترك
لك حله وأنت عائدة »

فابتسمت ، وقالت : « ألا تخشى أن أشغل به عن الطريق
وما فيه فتحدث لى حادثة ؟ »

فقال : « صحيح .. صحيح .. اذن لم يبق لى مفر من
التضحية . سأخسر ما صرت جديرا به من الشكر ،
وأسترد سخطك القديم »

فسأله وهى تضحك : « هل كنت فظيما الى هذا
الحد ؟ »

فقال : « ستعرفين مبلغ فظاعتى حين تعرفين اسمى ..
مراد البارونى »

فأطرقت ، وقالت على مهل : « مراد .. البارونى ..
(وهزت رأسها) كلا .. أن ذاكرتى لا يختلج فيها شىء ..
آسفة »

فقال ، وهو يضحك : « أما أنا فان ذكراك يقشعر لها بدنى ، فما أستطيع أن أنسى أنك صبيت على ماء قربتين من الماء في الشتاء . سلطت على خرطوم الحديقة واطلقت على مائه .. اهذه ذكرى تنسى ؟ . الست معذورا اذا ظلت متذكرا ؟ »

فدنت منه ، وقالت بصوت خافت كالهمس : « مراد ؟ .. صحيح .. »

فقال : « وكنت ظالمة لى .. »

فقالت : « كلا .. لقد تذكرت الآن ، فقد وضعت لى دودة ميتة فى قفاى .. الحق أنك كنت فظيلا »

فأشار بيده اشارة المستنكر : « لا .. لا .. هذا كان سوء تفاهم .. اعنى انى كنت فرغت من اللعب بالدودة ، وظننت أنك قد يسرك أن تأخذها لتلعبى بها .. ولكنى أخطأت فوضعتها لك فى قفاك بدلا من يدك ، بل كان الخطأ منك لا منى .. فقد جعلت تجرين خائفة وانا أجرى وراءك ، فلم يسعنى الا أن أتركها حيث تيسر لى .. فالذنب ذنبك يا جليلة »

فقالت جليلة ، وهى تضحك : « اتذكر كيف كنت تصيح بأعلى صوتك كلما رأيتنى .. وكيف كنت تجرى ورأى وتدب برجليك كلما أدركتنى فتزيدنى رعبا ؟ »

فقال : « نعم أذكر ذلك .. أذكر كل شئ .. انه كل ما بقى لى منك .. لقد كنت أصيح وأدب لأخفى عنك حبى لك »

فقالت : « غريب .. أكنت تحبنى ؟ .. لقد كان نجاحك تاما اذن فى اخفاء هذا الحب »

ونظرت الى وجهه الذى لوحته الشمس وشعره الذى ظهر فيه الشيب هنا وهناك ، وأخذت الصورة القديمة

تسترد الوانها وتبرز معالمها شيئا فشيئا ، ثم قالت : « لقد كبرت جدا .. طولا وعرضا .. وتغيرت أيضا . من الذى يراك الآن فيذكر ذلك الطفل الشقي الذى كان يسود عيشى ويرعبنى كلما ظهر فجأة من وراء شجرة .. أو من تحت الارض فيما كان يخيل الى .. ماذا صنعت بنفسك كل هذه السنين ؟ »

فقال : « أوه .. ماذا يصنع الناس بنفوسهم ؟ . يكبرون ويقعون على عمل يشتغلون به . أنا أيضا وجدت لى عملا .. فى تجارة رابحة والحمد لله .. وانت ؟ .. »

قالت : « أوه .. كبرت مثلك »

فقاطعها وقال : « كلا .. انك لم تتغيرى .. لو كان هنا دود لما خطر لى وأنا أنظر اليك الا أننا ما زلنا طفلين ، ولهممت بأن أضع لك واحدة فى قفاك »

فضحكت وقالت : « لقد صرت مهذبا جدا .. لم يبق شئ من ذلك الطفل اللعين .. غريب أن نلتقى هنا هكذا بعد كل هذه السنين .. ماذا كنت تصنع ؟ .. أعنى هنا »

قال : « أتمشى .. للرياضة »

فتنبّهت ، وقالت : « اذن لا أقل من أن أحملك معى فى السيارة »

وقال وهو يركب معها مسرورا : « ما قولك .. نحتفل بهذا اللقاء الذى لم يكن لى ولا لك فيه حساب ، بالعشاء نتناوله فى محل الحاتى .. هه ؟ »

فابتسمت لنفسها فى مرآة السيارة وأصلحت شعرها الذى عبث به النسيم ، ثم التفتت اليه وهزت رأسها أن نعم .. ثم انطلقت تحطف بسيارتها الارض

ولم يكن فى جليلة خفة أو طيش ، ولكنها كانت فتاة وحيدة مدلة .. ورثت عن أبيها قسوة القلب واستقلال

الطبع ، وعن أمها سرعة الاستجابة لدواعي الخير . وقد مات أبوها قبل سنوات ، فلم يبق لأمها سواها ولم تهمل تربيته . . ولكنها كان ينقصها حزم زوجها وحكمته ، فألقت لها الجبل على الغارب وهي تحسب أنها لا تعدو ما كان يصنع أبوها . على أن الفتاة لم يكن فيها سوء ولم تثمر الحرية شرا ، وإنما أكدت استقلالها وأورثتها تمردا صريحا على كل قيد من القيود التي يفرضها العرف حتى على الفتاة الحديثة . وكانت أمها وبعض أهلها يشق عليهم ذلك أحيانا ، فتقول لهم انى لا أفعل سوءا ، ولا أسئء أدبى ، ولا أترقح على أحد ، ولا قيمة لخروجى وحدى ، أو مرافقة أصحابى وصواحبى الى السينما أو غيرها ، لأنى أستطيع بسهولة وبلا عناء أن أحافظ على نفسى . . فكانت أمها تسكت ولا تقول شيئا لعلها أن الكلام لا خير فيه

ولم تكن جليلة بارعة الحسن ، ولكن صوتها كانت له حلاوة التفريد . . وكانت نظرتها الحاملة تفعل فعلين يبدوان متناقضين . . تنعش القلب وتفتت الجسم ، فإذا أدامت إليك كرة الطرف - على عاداتها اذا سرها منك عمل أو قول - شاع الرضى فى نفسك وفاضت بالسرور ، ودار رأسك ، واحسست بالخدر فى أعصابك . وكانت أقرب الى القصر منها الى الطول ، والى الامتلاء منها الى النحافة والهزال ، وقد حمتها كثرة الحركة والولع بالمشى فى الهواء الطلق ، وفطام النفس عن الاطعمة الدسمة الثقيلة ، أن تصبح كأهها أكداسا من اللحم تلج على روحها . وكانت سمراء ، ولكن سمرتها مشربة حمرة لا كدرة فيها ولا نمش . وكان شعرها جعدا وأثيثا . . وكانت تفرقه وترسله الى الوراء وتعقصه وتأبى أن تقصه . كانت أنيقة بلا تكلف ، ولم تكن رقيقة الحال أو مضطرة الى حسن التدبير والاقتصاد . . فقد ترك لها أبوها الحازم ثروة كافية ،

ولكنها كانت تؤثر أن تصنع ثيابها بيديها ، فتحجىء محبوبة
التفصيل على قدها الجميل يبرز من تحتها ثدياها الناهدان
الراسخان كالرمانتين الصغيرتين . وكانت مجدولة الساقين
لا عظيمة العضلة ولا مضطربتها ولا عرقوب لها . وجمال
الساق في المرأة بشير بحسن القوام .. وكانت تكره الأحذية
العالية الكعوب نفورا من بروز الفخذين . على أن هذا كله
ما أكثر من يشاركها فيه ، ولو اقتصر الامر على التكوين
المادى لما كانت لها مزية تنفرد بها ، ولكن أنوثتها كانت قوية
الجذب شديدة الاغراء .. فلولا استقلالها وشخصيتها لما
استطاعت أن تنجو من المعاطب



وقال مراد وهو عاكف على البيان الذى قدمه اليه
الخادم : « معذرة ، فانى أتضور جوعا .. لم آكل فى نهارى
شيئا . ماذا تريدون .. كباب .. لحم رأس .. حمام ؟
انى أرى الحاتى عنده كل ما يؤكل .. لا الكباب وحده ..
ما قولك ؟ »

فأثرت الكباب ، وقالت : « ان هذا فنه الذى يمتاز به ،
فيحسن أن اقتصر عليه »

وكانا جالسين فى آخر القاعة ووجهها هى الى الباب
ووجهه الى الناس . وشغلا برهة بالأكل وذكريات الطفولة ،
فقال لها وهو يضطجع : « أتذكرين يوم تحديتك أن تتسلقى
النخلة ؟ .. (فهزت رأسها) لقد كنت لا تطيقين التحدى ..
فهل أنت ما زلت كذلك ؟ »

فوضعت الشوكة على الطبق ، ونظرت اليه وسألته :
« ماذا تعنى ؟ »

قال بابتسام : « أعنى أن وراءك .. بعد مائتين اثنتين ..

رجلين أحدهما يحدق في ظهرك ، لا يخالجنى شك في أنك
تحسين وقع نظراته على جسمك .. أنها نظرة حامية ..
كاوية .. انتظري قليلا وسأدعو الخادم ليجيئنا بالقهوة ،
فأديرى وجهك حين يقبل وانظري »

ف فعلت ثم اعتدلت في جلستها وقد علا وجهها الاضفرار ،
فأكب مراد على بقية الفاكهة وتشاغل بها عما رأى في
وجهها من دلائل التغير . ولم تفت جليلة هذه الكياسة منه ،
ووقع من نفسها اتقاؤه الفضول .. فتماسكت وضبطت
صوتها وهى تقول : « لقد تغيرت جدا .. من كان يظن أن
ذلك الطفل الخبيث الذى كان يتعقبنى وينفص حياتى يصبح
هذا الرجل الوديع الطريف الكيس ؟ . أتعرف من هذا
يا مراد الذى يكونى بنظراته ؟ . انه خطيبى زكى .. أفهمت
الآن ؟ »

فقال بهدوء وبصوت متزن النبرات : « خطيبك زكى ؟ ..
هذه أخبار .. اظن أن من واجبى أن أقدم لك التهنئات »

ولكنها أحست من نبرات صوته على الرغم من اتزانها أن
هذا الخبر لم يسره ، فقالت : « لا داعى للعجلة .. ثم ان
الزواج مسألة عادية جدا على كل حال .. أو كما يمكن أن
تقول أنت .. هو شر يصيب كل انسان .. عاجلا أو
آجلا .. متى يصيبك يا مراد ؟ »

فقال : « أنا ؟ .. لا أدري .. صاحبك .. أعنى خطيبك
لا يزال محمقا في ظهرك . فهل تستطيعين أن تنهضى
وتذهبي اليه وتقولى له بكل هدوء ان لك حقا فى أن تتناولى
العشاء مع صديق قديم مثلى وضع فى طفولته دودة فى
ظهرك وصيبت عليه عشرين قربة من الماء فى الشتاء ؟ »

فقالت ببساطة : « انى احب زكى .. وأنت لا تعرفه ..
بالطبع ليس فى كونى معك هنا ما ينبغى أن يسوءه ، ولكنه
لا يعرف أنك هذا الصديق القديم .. كل ما يعرفه انه

خطيبي .. واني - كما قال لي مرارا - طائشة .. مندفعة»
فقال مراد : « أشربي القهوة .. لا تفسدي على نفسك
الليلة .. ستشرحين له كل شيء ، فيعود حملا وديعا ويعتذر
اليك من هذه النظرات الحامية »

فشربت القهوة ، ولكنها كانت ساهمة .. فقد كانت
تحب « زكي » هذا ، وكانت تكره الاضطراب الى الشرح
وتستثقل أن تحتاج حتى الى ما يشبه الاعتذار

وقال مراد : « لقد قام الرجلان .. خطيبك وصاحبه »
فقالت : « يحسن أن تقوم اذن .. فسيودع صاحبه
ولا شك ويوقف في انتظاري .. أشكرك يا مراد .. نبهتني
الى أنه خرج فلألحق به »

وخرجها .. وودعها مراد بعد أن عرفت منه عنوانه ، وعرف
منها عنوانها ، والحق عليها أن تتصل به اذا جد أمر من جراء
لقائهما الليلة



وقالت جلييلة لزكي : « معي سيارتي ، فلا حاجة الى
تاكسي »

فدخل في السيارة واضطجع .. ثم قال : « من هذا
الرجل الذي كان معك ؟ »

فقصت عليه ما وقع لها عند المطار ، فقاطعتها وقال :
« كيف تكلمين رجلا غريبا ؟ ان هذا كثير .. »

قالت : « ولكنه ليس غريبا .. لقد نشأنا معا .. في حي
واحد »

فنفخ وقال : « ولكنك لم تكوني تعرفين أنه هو صديق
طفولتك »

فقلت بلهجة المستغرب : « هل كنت تريد أن أتقبل معونته ولا أشكره على الأقل ؟ »

فترك هذا وقال : « ولماذا تخرجين الى هذا المكان وحدك ؟ »
قالت : « لأنك مشغول عني بأعمالك الكثيرة التي لا تدع لك وقتا لمرافقتي .. ومع ذلك أى بأس هناك ؟ »

قال : « بأس ؟ . بأس ؟ هذا الذى حدث لك من غوص العجلة اليس بأسا ؟ »

قالت : « لا تكن متعنتا .. ان السيارات يمكن ان يحصل لها أى شئ فى أى مكان فى الدنيا » . فترك هذا أيضا وقال :
« ولكن تأتين معه الى الحاتى .. ماذا يقول الناس ؟ »
فقلت : « اذا كان الحاتى مكانا لا يليق ان يدخله الشريف .. »

فقاطعتها بسرعة ، وقال : « لست أقول هذا .. الأمر على العكس »

قالت : « اذن انتهينا »

فسكت ، فما رأى حجة له تنهض . وساءه ذلك فقد كان شديد الاعتداد بنفسه ، وكان عظيم الطموح واسع الأمل فى المنازل الملحوظة .. فلم يسره ان الفتاة التى سيتزوجها تقرر حجته بأقوى منها ، وأحس أن فى هذا تنقصا له وغضا من مقامه وسقوطا لهيبته ، ولكن الكلام خانه فأثر السكوت على مضض

وكان زكى - أو اذا أردت اسمه كله زكى الدين حمد - من أصل تركى أو شركسى - سيان - وكان يطمع ان يبلغ بماله الموروث حيث لم يستطع أن يبلغ بالكفاية الشخصية . وكان أمله الذى لا ينفك يحلم به فى اليقظة والنمائم ان يصبح يوما من أعضاء البرلمان ، ومن أجل هذا كان يتقرب الى الزعماء السياسيين بوسائل شتى .. وكان يعنيه جدا ان يحسن رأيهم فيه وظنهم به .. وكان يحرص على المركز

المأمول ، ويحيط نفسه سلفا بكل مظاهر الابهة والسمت والوقار ، وينظر الى الأمر كله كأنه واقع . وينتظر من الناس أن يعدوه كذلك ، بل أن يبالفوا ويروحوا يمدون بصرهم الى المستقبل ، وأن يخالوه كما يتخيل نفسه فيه وزيرا أو رئيس وزارة

وقال لجليلة ، وهو يودعها على باب بيتها : « أرجو يا جليلة أن لا تعرضينى لكلام الناس ، واذكرى أن لى مركزا يجب أن أحافظ عليه »

فسحبت يدها من يده وقد آلمها كلامه ، وأحست أن سهمها وقع في قلبها . وكانت حساسة وذكية . ولم يكن يخفى عليها أن ليس له مركز سوى ما يفيد الفنى . ولم تكن هى تحتاج منه الى مال فان مالها كثير . وكانت تدرك أن ما يسميه « مركزه » جانب ضعف فيه ، ولكنها كانت تفض عن ذلك لحبها له . . غير أنها لم تكن تتوقع أن يتهمها بأنها تسىء الى هذا المركز - وأن كان موهوما - فضلا عما تنطوى عليه عبارته من التعريض بها ، بعد أن شرحت له الأمر كله ولم تخف عنه شيئا . وماذا تخفى وليس فى الأمر ما يستدعى الكتمان ؟

وقالت له ، وهى تهيم بالدخول : « ليلتك سعيدة »
فسألها : « متى نلتقى غدا ؟ »

فأطرقت شيئا ثم رفعت رأسها ، وألقت اليه ابتسامة ساخرة ، وقالت : « غدا ؟ لا . . انى على موعد مع مراد . . »
ولم يكن ثم موعد ولا شبهه ، وانما قالت ما قالت مدفوعة اليه بضجرها والمها
ودخلت . . وتركتها واقفا وفمه مفتوح



ولم تحاول أن تلتقى بمراد فى اليوم التالى ، فقد كانت

تدرك ان هذا لا يكون منها الا خرقا وحماقة .. فلزمت بيتها الى المساء ، ثم خرجت في سيارتها على عادتها وجالت بها جولة قصيرة ، ثم ردت بعض الزيارات وعادت فلزمت غرفتها . وكان الالم لا يزال يحز في نفسها ، فساء نومها واضطرب . وذهب يوم وجاء يوم ، ولكنها احست ثقلا في جسمها وفتورا .. فبقيت في فراشها ، وأوصت أمها أن تمنع أن يزعجها أحد - حتى ولا زكى - فشعرت الأم أن في الأمر شيئا ، ولكنها حدثت نفسها أنه خلاف لا يلبث أن يزول . وجاء زكى يسأل عن خطيبته ، فعرفت الأم أنه لم يلقها منذ يومين .. فأظهرت تعجبها وزلت ، فقالت انها كانت تحسب انها لم تخرج الا للقاءه . وزل زكى أيضا فقال لها ان جلييلة تسلك مسلك الاطفال ، وان ذلك يسيء الى مركزه ، وأنه كلمها في ذلك ففضبت ولجت فيما نهاها عنه ، فهو يرجوها - الأم - أن تكبجها قليلا .. فما يليق أن تترك هكذا - حبلا على غاربها . وعرفت جلييلة هذا الذي دار بين أمها وبين خطيبها ، فدهشت له .. ولكنها لم تفضب ولم تثر ، بل كان من الغريب انها احست كأنما وضع لها في مكان القلب قطعة من الثلج

وجاء العصر .. فركبت سيارتها وخرجت بها الى مصر الجديدة . وكان كل همها أن تكون وحدها وأن تدور دورة في الهواء الطلق وتمشي قليلا ، عسى أن ينفعها ذلك .. فيعفيها من الشعور بالانقباض والفتور . وأنها لقي بعض الطريق ، واذا بها ترى مرادا يمشي بسرعة كأنما يريد أن يدرك موعدا .. فوقفت وأشارت اليه وقد احست أن جسمها قد صار اخف مما كان .. فجاءها يعدو ، فسألته : « الى أين ؟ .. »

فلم يجب عن هذا السؤال ولم يلق اليها تحية ، بل ركب وهو يقول : « أرانا نلتقى في هذه الأيام .. حسن هذا .. اليس كذلك ؟ »

فأعدها ما في وجهه من البشر ، وقالت ضاحكة : « غريب هذا .. تمضى سنوات لا نلتقى فيها مرة واحدة ، وفي أربعة أيام نلتقى مرتين »

فقال : « لا تغلطي يا فتاتي .. ليست هذه مصادفة .. » فنظرت اليه مستغربة ، وسألته : « ليست مصادفة ؟ .. » فقال وعلى فمه ابتسامته الوضيئة التي لا تفارقه : « كلا .. ليست مصادفة .. انها ارادتني سلطتها عليك فحذبتك الى حيث أنا .. نعم » . فعاد اليها اشراق وجهها واطمأنت ، وقالت : « أوه .. آه .. ارادتك ؟ طبعاً .. » فقال : « لا تمزحي .. اني أتكلم جادا »

فرمت اليه نظرة سريعة ، فالفته لا يزال يتسهم .. فحولت وجهها الى الطريق ، وقالت : « هذا بديع .. تكلم ، ان اذننى لك »

قال : « نعم .. ارادتني .. لم أزل منذ عشر سنين أربى هذه الارادة ، فهل تستغربين انها بلغت من القوة هذا الشأو ؟ . بالطبع لا .. وأنت أول من ينبغى أن يكون من تلاميذى المؤمنين بى .. من حوارى . هه ؟ .. وسأفتح بك العهد الجديد »

وبلغا آخر الطريق الى المطار - من ورائه - فجلسا على سلم السيارة ، وأخرج مراد سيجارة وذهب يدخن في صمت .. فلما طال ذلك التفتت اليه وقالت : « انك لا تسألنى ماذا حدث »

فلم يحول وجهه اليها وأدرك من كلامها أن شيئاً لا بد أن يكون قد حدث . ولم يشأ أن يتطفل عليها بالسؤال ، فاكتفى بأن يقول : « ان اذننى لك .. أعرناك السمع »

فقالت : « انك قليل الفضول »

قال : « لأننى مشغول عنه بما في نفسى .. الدكان غاصة . لا تحتمل زيادة »

قالت : « لغة التاجر .. اسمع .. غضب زكى .. أوه ..
غضب جدا .. لم يقل شيئا كثيرا .. كل ما قاله انى خفيفة
طائشة ، وانى أسىء بسلوكى الى مركزه »

فانتفض مراد واقفا وقد تجهم وجهه ورمى السيجارة ،
ثم التفت اليها وقال بلهجة صارمة : « من يكون زكى هذا ؟ »
وكبح نفسه عن الاسترسال ، ورد لسانه بجهد ، وضبط
أعصابه ، وعاد الى مكانه من السلم والتفت اليها وقال ، وقد
وسعه أن يبتسم مرة أخرى : « معذرة .. ليس لى حق ..
قولى انك صفحت عنى »

فسرها منه أنه غضب لها ، وفارت نفسه بالسخط على
خطيئها من أجلها ، فقالت له برقة : « أشكر .. اننا
صديقان قديمان »

فقال لها ، وهو ينهض مرة أخرى : « قومى نتمشى ..
دعى السيارة ، فلن يخطفها أحد »

وقطعا مسافة وهما صامتان ، ثم وقف والتفت اليها
وقال : « اسمعى يا جلييلة .. انى أعتمد على ما تخولنى
صداقتى القديمة من الحق فى الصراحة .. عشرون قربة
من الماء تجعل لى هذا الحق .. أريد أن أقول انى تحاشيت
فى مقابلتنا الأولى أن أكشفك بما أضمر لك من الحب كل
هذه السنين الطويلة ، لأنك قلت عرضا أنك مخطوبة ..
ولكن وجه المسألة تغير اليوم بعد أن سمعت منك ما قال
هذا البغل »

فقاطعته ضاحكة : « اذكر أنه خطيبى .. لا يزال خطيبى ..
وانى قلت لك انى أحبه »

فقال : « لم يعد هذا يعنينى .. لست أحاول أن أصرفك
عنه .. كلا ، ولكنه لم يبق لى بد من أن أقول انى أحبك ،
وانى أحبك مذ كنت طفلة ، وكنت أعابثك وأكيدك وأصرخ

في وجهك . وكان هذا مظهر حبي الصباني .. اما الآن ،
فان مظهره انى مستعد ان اذهب الى خطيبك هذا واخنقه
بيدى هاتين »

فقالت ضاحكة : « لقد توهمت لحظة أنك صرت ارق »
فقال : « كلا .. انا كما كنت .. واسمعى ولا تقاطعى
والا بحثت عن دودة ووضعتها لك في قفاك .. اذا حدث يوما
ان صار الدكان للايجار فاخبرينى »

فقالت : « لغة التاجر ايضا .. ولكنى سأستعيرها منك ..
ثق أنك مفضل عندي على كل مستأجر لهذا الدكان اذا خلا
يوما من الأيام .. لم يخطر لى أن هذا ما تنطوى عليه لى ..
ومن التى تتصور أن وضع الديدان فى قفاها يكون علامة
حب ؟ . ولكنك كنت دائما غريباً .. على كل حال ، المسألة
المهمة أن الدكان مزحوم . ليس خاليا .. رحت أستبضع
فامتلاً .. صحيح أنه امتلاً بأشياء لا قيمة لها .. ولكنى
لم اكن أعرف ان ما غص به عديم القيمة .. المهم أنه ممتلىء ،
وأظنك تدرك أنه ما دام مملوءاً فلا مكان هناك لجديد ..
يجب الصبر حتى أخليه مما فيه .. هذا يحتاج الى وقت .
ومن يدري ، ربما كان الاخلاء أصعب من الملء . ولكنك
تفهم .. قل أنك تفهم وتعذر .. »

فقال ببساطة وهدوء : « لا بأس . لا بأس .. ان دكاني
أيضا مزحوم . ولكنه مزحوم بالنفيس الغالى .. ولست
أريد أن أخليه - لا أستطيع أن أخليه حتى لو أردت .
وهيهات أن أريد أو أستطيع .. انه مكتظ منذ خمس عشرة
سنة ، وسيظل مكتظاً طول العمر . وقد عرفت أن مفتاحه
معك .. فى يدك .. فادخلى حينما تشائين . وعسى أن
تشائى .. عدينى أن تحتلى مكانك من الدكان بعد أن تفرغى
من امر دكانك .. وفى أثناء ذلك نبقى كما كنا دائماً ..
صديقين حميمين »

ولم يسع جلييلة الا أن تفكر في أمر الرجلين - مراد الذي تعرفه منذ الطفولة ، والذي كان يسود عيشها بعبثه - لأن هذا كان تعبيره الخاص عن حبه لها - وقد ظل بعد ذلك يحبها ، ولكنه أحجم عن طلب يدها لرقه حاله بالقياس اليها. وقد صار تاجرا، ولكنه لم يثر لأنه لا يربح الا الكفاية.. ومن هنا احجابه الى الآن عن خطوبتها كما حدثها . وقد زاد على ذلك أنه كان لا يتصور أن ترضى به فتاة مثلها ، فكتم حبه وطواه في صدره ، وسأل الله المعونة على احتمال اليأس المخامر . وهو ظريف كيس لبق دائم البشر واسع الادراك رحيب الافق حلو الفكاهة ... وزكى الفنى الذى لا ينفك مهموما بمركزه المتخيل والذي لا يتقى فى سبيل الحرص عليه أن يجرح قلب فتاة ويتهمها بالخفة والطيش فى سلوكها ، وبأن سيرتها توشك أن تسوء الى مركزه الموهوم هذا . وقد أحبته .. هذا صحيح ، ولكن عينها فتحت ، فهى تراه الآن على حقيقته . وليس يسعها الا أن تفكر فى حياتها معه كيف تكون ، اذا كان كل ما يباليه فى الدنيا هو هذا المركز .. ولكنها خطيبته وقد قبلت أن تكون زوجته .. فما العمل الآن ؟

وسألت نفسها : أى الرجلين أحب اليها ؟ .. وحيرها الجواب .. فهل هذا الذى تشعر به لمراد حب ؟ ان يكن هذا فهو هادىء جدا .. أما زكى فان الدكان كما قالت لمراد مزحومة .. صحيح أنها مزحومة بما لا قيمة له - كما ظهر الآن - ولكنها مزحومة .. فهل تخلو يوما ؟ . هذه هى المسألة .. والى أن تخلو لا سبيل الى شئ

ولو أن زكى ذهب اليها فى ذلك الوقت ولاطفها وضاحكها ومازحها واعتذر اليها - ولو كانت هى فى رأيه المخطئة - لعادت المياه الى مجاريها كما يقولون ، ولارتفعت قيمة ما فى

الدكان وارتدت اليه نفاسته . ولكنه أراد أن يلقيها درسا ، فأعرض أياها وجفاها وانقطع عن زيارتها ، ولم يكفه ذلك . . بل أرسل اليها خادمة من عنده تبلغها تحياته وتسألها باسمه عن صحتها ، وأوصاها أن تخلق مناسبة لتقول لها أن سيدها يكثر في هذه الايام من زيارة بيت خالته - وكانت لها بنت في مثل سن جلييلة - ليثير غيرتها واشفاقها من أن يطير العصفور من يدها ، فأفلح ولكن في استشارة نقيمتها عليه . . فقالت لنفسها ان رجلا يهينها ويعرض بها ويرميها بأن سلوكها من شأنه أن يسيء الى سمعته وأن يضر بمركزه ، ثم لا يجعل هذا بينه وبينها بل يفضي به الى أمها ، ثم لا يكفيه هذا بل يجفوها ثم يغلو في تعمد الاساءة اليها فيرسل اليها خادمة تبلغها أنه أنصرف عنها الى سواها . . مثل هذا الرجل خير له ولها أن ينقطع ما بينهما



على أنها لم تتمتع - وان كان عزمها قد صح على الفراق - فقد كانت شديدة الثقة بنفسها والاعتداد باستقلالها وارتدتها الحرة ، فلم تر ما يدعو الى العجلة بعد أن انتوت أن تفصم العروة . واستوى عندها أن يكون ذلك يوم انتهت الى هذا العزم ، وأن يكون بعده بأيام أو أسابيع . فقد كانت واثقة أنه ما من شيء يستطيع أن يحولها عنه . وصار عجبها أن الدكان خلا بسرعة مما كان يفص به . ولم تكن تلقى في تلك الايام مرادا ، لأنها أرادت أن تختبر نفسها لتعرف ما تنطوي عليه له . . فأدهشها أنها تحس وحشة ، وأنها تشتت أن تكون معه ، وأن تستعيد ما تشعر به في مجلسه من سكينه النفس واطمئنان القلب والرضى الهادئ . وزاد شوقها اليه أنها كتمت الأمر كله عن أمها ، فلم يكن هناك من تبثه ما في نفسها . ولو كان مراد الى جانبها ، لكان خليقا أن يفهم

ويعذر ويعطف وأن يسرى عنها بفكاhte التي لا تخونه ،
وأن يغذيها بقوته التي تجعله لا ينسى أن يضحك وهو يفجع
في أمله الذي عاش به سنين وسنين ..

وتعجبت لسرعة استيلاء مراد على هواها ، فما لقيته
الا مرتين بعد طول الانقطاع والغيبة . فهل هذا هو الحب
الذي يقال عنه انه يكون من أول نظرة .. أم تراها كانت
تحبه مذ عرفته وهي لا تدري ، وكان حبها له راقدا كامنا
ينتظر فرصة للظهور ؟ .. لا شك انها كانت تحبه ، كذلك قالت
لنفسها وهي راقدة على سريرها بعد الغذاء . نعم كان
يقسو عليها ويركبها بالمزاج المتعب ، وكان يختبئ لها وراء
الأشجار ثم يفاجئها بصرخة ترعبها فيضحك ويقهقه . وكان
يجرى وراءها حتى تنقطع أنفاسها وتقع من الإعياء ..
فيحملها ، ولكنه لا يرحمها ، ولا يترفق بها .. بل يقرصها
ويعضها ، فتصرخ وتصيح وهو يضحك ولا يبالي . ولم
تستطع أن تنتقم منه الا مرة واحدة حين أرسلت عليه خرطوم
الماء فأغرقته ، فجعل ينتفض من البرد . ولكنه كان يضحك
مع ذلك ولم يسخط عليها .. ولم ينطق بكلمة تشي بالآلم
أو النقمة أو الغضب ، بل احتمل ذلك . ولما رق له قلبها
وأقبلت عليه بالاعتذار اليه وطلبت الصفح منه ، لم ينس
دعابته وعبثه ونبحها كما يفعل الكلب « وو .. وو .. »
ففزعت . فما كانت تتوقع شيئا من ذلك ، ومضت عنه
مفيضة محنقة معتقدة أنه شر صبي في الحارة ، وكان هو
يقهقه وينطوى من شدة الضحك غير عابئ بالماء والبرد ..
فتالله ما أقواه . ومع ذلك كانت لا تلعب الا معه .. واذا أقبل
عليها غيره من الصبية نفرت . نعم لا شك انها كانت تؤثره ..
ولماذا لا تقول انها كانت تحبه ؟ . صحيح انها لم تكن تعرف
الحب .. ولكنها تعرف الآن ، فقد صارت خبيرة مجربة ..
فلماذا لا تسمى الشيء باسمه الصريح ؟

وارتدت من الماضي الى الحاضر ، وذكرت كيف غاصت

عجلتها في الرمل ووقفت حائرة .. واذا به يظهر كأنما شق الأرض وخرج منها - كما كان يفعل وهو صبي - وينطرح على الأرض بلا كلام أو سؤال ، ولا يبالي ما يصيب ثيابه ، ويجرف الرمل بيديه الكبيرتين ويحمل الحجارة .. يفعل كل ذلك ولا يرفع عينه الى .. ثم يعرفني فيتلفف في تذكري بنفسه . ويتظاهر بنسيان اسمي وهو منقوش محفور في قلبه .. وتنازعه نفسه أن يفضي الى بحبه ، فيشير اليه من بعيد في معرض الكلام على ذكريات الحداثة .. ويعرف أنني مخطوبة ، فيفقد كل أمل . ولكنه يتجلد ويتكلف الابتسام ويمضي في مؤانستي بحديثه ، كأنما لم ينهد ولم يتقوض بنيانه .. وهل أنسى كيف ثار وانتفض حين رويت له ما أهانني به زكى ؟. فقد كانت وثبته تلك دليلا كافيا على عمق ما يجن لي من الحب .. ومع ذلك أبت له الكياسة والأدب إلا أن يكبح نفسه ويردها عن النيل من زكى مخافة أن أكره ذلك منه ..

وظلت تناجي نفسها على هذا النحو ، ولا تكتحل عينها بغمض حتى كان العصر .. فقامت ولبست ثياب الخروج ، واستقلت سيارتها الصغيرة الى دكان مراد ، فأقبل عليها يرحب بها ، فقالت : « أنت أولى من الغريب »

فابتسم وقال : « آه .. أهو ذاك ؟ »

قالت : « نعم .. أريد شيئا من الحرير .. قطعا كثيرة . ألوانها شتى .. الوقت ضيق »

فقال : « الوقت ؟ .. لست فاهما شيئا .. »

قالت : « ألا تعرف أن العروس تحتاج الى ثياب كثيرة ؟ » فامتقع لونه ، ولكنه تجلد وقال : « متى ، ان شاء الله ؟ . لست أطمع أن أدعى ، ولكنني أريد أن أحتفل بليلة الجلوة وبسرورك فيها .. وحدي »

فسأله بخبث : « وحدك ؟ »

فقال : « نعم .. لن يكون معى سوى خواطرى »
وأدار وجهه الى الباب ليخنق زفرة يعلو بها صدره ،
ثم التفت اليها وقال : « متى يكون هذا ؟ »
فرفعت اليه وجهها مشرقا ، ونظرت اليه نظرتها الحاملة ،
وقالت : « متى تريد أن يكون ؟ »
فقطب ، وقال : « ايه ؟ »

فأعادت سؤالها : « متى تريد أن يكون ؟ »

فحدق فى وجهها - فى عينيها - ثم صاح وقد فطن الى
ما تعنى ، وانحنى عليها فرفعها بيديه عن الكرسي غير عابىء
بالعمال والزبائن ، وأهوى على قمها باللثمت ثم ردها الى
الكرسي ، وصاح بأحد رجاله : « اذهب . اذهب . حالا . حالا »
فوقف الرجل كالأبله لا يفهم ولا يدري أين يريد منه أن
يذهب ، فصاح به : « هات المأذون .. الا تعرف المأذون
يا أبله ؟ اذهب .. حالا .. »
فوقفت جليلة واقبلت عليه تسأله : « ماذا تعنى ؟ ماذا
تريد أن تصنع ؟ »

فقال : « ماذا أعنى ؟ . يا له من سؤال .. نعقد العقد ..
هنا .. حالا فى الدكان .. هذا ما أعنى .. رجالى وزبائنى
شهودى .. شهود سعادتى .. لقد كان التجار فى الزمن
السالف يجيئون برجال يقفون على أبواب الدكاكين ويدعون
المارة أن يدخلوا ويزينون لهم البضاعة ، وقد انقضى ذلك
الزمن وحلت الاعلانات فى الصحف محل هؤلاء المندادين ..
ولكنى اليوم سأقف بالباب وأدعو الناس .. كل الناس .. أن
يدخلوا ، لا ليشترروا ، بل ليشاركونى فى سعادتى . لماذا
لم يجرى المأذون ؟ اذهب أنت وراءه واستعجله »

وفرحت جليلة بهذا الجنون وخجلت أيضا .. أفرحها
أن عقله استطير من فرط الجذل ، وأخجلها أن كل هؤلاء

الناس من العمال والزبائن يرونها وأن عيونهم جميعا عليها ،
وأنهم جميعا يفحصونها ليعرفوا سر هذا السحر الذي
ذهب بلب الرجل الذي الفوا منه الرزانة والوقار والسكينة
والظرف والعقل .. وأرادت أن تستمهله ، فأبى .. فاقترحت
أن يذهبا بالمأذون الى البيت ، فأبى أيضا ، وقال : ان ناسا في
هذا الزمان يتزوجون في الطيارة .. فماذا يمنع أن نتزوج
في الدكان ؟ فقالت : انه فرق ساعة ، والمسافة الى البيت
لا تستغرق زمنا . فأبى أيضا ، وقال انه يخاف عليها أن تطير
وتتسرب في الهواء .. كلاً ، ولا بد أن يكون العقد هنا

وراقها هذا الجنون والهيب خيالها فرضيت ..

وتزوجا في الدكان !

وقالت له وهما خارجان : « نسيت أن أقول لك انى
وجدت أن الدكان لم يكن خاليا قط .. كان ما فيه مخزونا
من أيام الصبى .. فلما أدركت عينى فيه عرفت ، ولهذا
جئت »

فقبلها على باب الدكان ..

ولم يستحى الرجل !

الكاتب

يقول بعض الأطباء بلهجة الجزم التي لا تردد فيها
ولا تلثم ، ان حيوية الجسم الانساني تكون أدنى ما تكون
بعد منتصف الليل . وفي تلك الساعة العصبية ، يعجز
العقل عن تدبر الحاضر بسكينة ورضى ، واستشفاف
المستقبل بشجاعة ، ورجع البصر في الماضي بغير أسف .
ولكن كل أمرىء غير هؤلاء الأطباء يعرف ان ساعة الكتابة
والهبوط لا وقت لها ، وانها قد تكون الاولى صباحا
او الثانية مساء . كما قد تكون في العصر او الفسق .
فليس لها ثبات ولا أوان معروف ، وأن ساعتها قد تكون
ثوانى أو دقائق . وقد تمتد وتطول ، فينطوى فيها الليل
والنهار جميعا والعمر أو خيره في بعض الأحيان

ومهما يكن من ذلك ، فان المحقق على كل حال أن كاتباً
مثلى لا يسعه الا أن يشعر وهو يتأمل « سعيداً » بقصوره
وعجزه .. فان مثل هذه الكتابة لا يستطيع أن يوفيقها حقها
سوى مجمع من أعلام البيان . وقد يسع « زولا » أن
ينصفها ، وعسى أن يكون « جوركى » قادراً على تناولها
بقلمه ، ولعل « دستوفسكى » كان أقدر من سواه على
ذلك ، ولكنها فوق طاقتى وحدى . وشر ما فيها أنك
لو سألت « سعيداً » نفسه عنها ، ما سببها أو داعيها ،
لما وسعه أن يعلله .. ولكان الأرجح أن يتعجب لها ، فقد
كان حسن الحال ميسر الرزق . ولا نكران أنه كان يكدر
ويتعب في سبيل الرزق .. ولكن كل انسان يفعل ذلك ،
حتى أصحاب الضياع لا مفر لهم من العمل والسهر والتعهد
والعناية بما يملكون ، والا نضب المعين وجف المورد . وكان

فوق ذلك ذا زوجة سالحة فيها رقة وجمال وادب وصدق ولها عقل ، وكفى بهذا نعمة . وكان في تلك الساعة في « قهوة » لها حديقة تشرح الصدر . والطريق أمامها واسع نظيف ، واليوم يوم أحد ، والغواني يرحن ويجنن على الرصيف . كل اثنتين أو ثلاث أو أربع معا ، وهن في حفل من الزينة . وأخلق بالمرء حين ينظر الى وجوههن الصبيحة وقدودهن البارعة وخطرتهن الرشيقة ، ويسمع أصواتهن الببلية أن يشيع البشر في نفسه . وكانت في حديقة القهوة نافورة صغيرة ، ترسل الماء خيوطا دقيقة تعلو ثم تتناثر على صورة المظلة . وقد اجتمع الماء والخضرة والوجه الحسن - بل الوجوه الحسان - فماذا يبغى سعيد فوق ذلك ؟ .. أم ترى اجتماع ذلك كله هو سر الكآبة .. من يدري ؟!

وجاء ماسح الأحذية وقعد ومد يده بالصندوق الى رجل سعيد بلا استئذان ، فرفع هذا قدمه الى الصندوق بحكم العادة لا بدافع الرغبة . فقد كان الحذاء نظيفا لماعا

وقال الرجل بعد فترة صمت شغل فيها بفصل الحذاء بالماء والصابون : « من زمان ما جئت الى هنا يا بك »

ولم يكن سعيد « بيكا » ولا كان له أمل أو رغبة في رتبة كهذه . فانه رجل عمل لا يحفل بالألقاب والرتب ، ولكن كل امرئ « بك » عند ماسح الأحذية وسائقى المركبات . ولم يزد سعيد في جواب السؤال على « آه » ، ثم أدار عينه في الجالسين بهذه القهوة فالفى ناسا يشربون وآخرين يلعبون « الطاولة » وحولهم كثيرون ينظرون اليهم وهم وقوف . وأخذت عينه رجلا وامرأة جالسين تحت شجرة وأمامهما قدحان من « الزبيب » فقد كان هذا أحد الشهور التي لا « راء » في حروفها - وهى مايو ويونيه ويوليه واغسطس - والقاعدة المصرية أن شرب « الزبيب » يحلو ويطيب في هذه

الشهور الأربعة . فاشتتت نفسه قدحا من الزبيب ..
وصفق فجاء الخادم ، ولكنه تردد وخطر له أنه ليس معه
من شاربه . فنظر الى الخادم الصبور ، وسأله : « عندك
ايه ؟ » ولم تكن به حاجة الى سؤال كهذا ، ولكن الخادم ألف
هذا من الزبائن ، ووطن نفسه عليه ، فقال بلا تملل : « قهوة ،
شربات ، كازوزه ، شاي .. » وأمسك . ثم كأنما تذكر ، فزاد
« خشاف ، ليموناده .. » ولم يأنس من سعيد قبولا ، فقال :
« ويسكى ، كونياك .. » فاستوقفه سعيد بأشارة ، وسأله :
« كونياك من أى صنف ؟ » فقال الخادم : « كمبا ، كمبا عال ،
مارتل ، كورفوازييه ، انيسى .. »

فهز سعيد رأسه ، وقال : « هات زبيب »

ومضى الخادم ، فقال ماسح الأحذية : « القهوة دى يا بك
عال »

فزاد صدر سعيد ضيقا ولم يجب ، ودار بنفسه أن كل
إنسان سعيد الا هو . وأنكر أن يكون اسمه سعيدا ، ورأى
في هذا الاسم تهكما من الأقدار . وخطرت في هذه اللحظة
فتاة أمامه وألقت نظرة سريعة على حديقة القهوة وهى تمر
بها ، فقال سعيد لنفسه أنه كان خليقا أن يشعر ببعض
السعادة لو كانت معه فى هذه الساعة فتاة كهذه تؤنس
بحديثها . ومرت فتيات أخريات وراءها ، فقال لنفسه :
« ما أكثر الفتيات اللواتى يمشين وحدهن ولا رجال معهن »
وتنهّد تنهّد الأسف .. لا عليهن ، بل على نفسه !

وقال ماسح الأحذية : « شارع ظريف يا بك .. وخصوصا
يوم الأحد .. » وأشار بيده إشارة عامة يمكن أن تشمل
المباني ومركبات الترام . ورفع وجهه الأسمر الى سعيد
وابتسم له ابتسامة لا تخلو من معنى .. فعبس سعيد ،
ثم بدا له أن التعبّيس لا موجب له ، فابتسم متكلفا ورد
عينه الى الشارع ومن يمشين فيه

وقال الرجل : « بس سعادتك ما بتجيش »

فاحمر وجه سعيد ، فقد أدرك غرض الرجل . ولم يخف عليه ما يرمى اليه ، وكان الزبيب قد جاء فصب عليه ماء ، ورفع الكأس الى فمه ورشف . وأقبلت اذ ذاك فتاة تعدو على الرصيف وكان جسمها لينا وثوبها محبوكا ، فلم يسعه الا أن ينظر الى صدرها العارى ، وخصرها الهضيم وتحتة ردفاها يرتجان ، وثناياها اللؤلؤية التى تفتت عنها شفتاها الحمراء . . فرفع الكأس مرة أخرى وشرب وقال لنفسه : انه مسكين مسكين ومحروم محروم . ثم ارتد يقول - لنفسه أيضا - انه ليس مسكينا ولا محروما فان له زوجة جميلة ، وأن فى وسعه أن يعجب ما يشاء بجمال النساء غيرها . . ثم يسكن بعد ذلك الى زوجته ، وأن حسبه من السعادة وفاءها وبرها واخلاصها . ثم هز كتفيه - وأن كان وحده - وقال : « وما قيمة أن يعجب المرء بالجمال وما خير ذلك ؟ . وماذا يكون معنى هذا الاعجاب على مسافة امتار ؟ لكأنى أنظر الى شريط سينما . . ولا فرق بين أن أرى الفتيات يخطرن على الرصيف أمامى ، وأن أرى صور النساء فى شريط السينما . انما تكون للاعجاب قيمة اذا جالس الرجل المرأة وحادثها ونعم بوجودها وحديثها وأنس بمحضرها على العموم . ولكن . . » وهز رأسه مرة أخرى متحسرا . فقد كان فيه احتشام وحياء شديد . وكان من غريب أمره أنه يجتنب المجالس التى يختلط الرجال فيها بالنساء . وكان يدعى الى سهرات من هذا القبيل عند من يعرف من الاجانب والمصريين ، فيعتذر ثم يروح يقرع نفسه ويسخط عليها . وكان حياؤه أو شعوره الشديد بنفسه يوهمه أنه ليس مقبول الشكل أو ظريفا ، ولا أنس لأحد به . وكان كثيرا ما ينظر الى نفسه فى المرأة ويدور أمامها ، ليرى كيف يبدو من كل ناحية . . فلا تعجبه الصورة التى تظالعه ، فيمط بوزه

ويقطب وينحط على أقرب كرسي ويروح يفكر في سوء
طالعه ، حتى أورثه هذا اضطرابا في الأعصاب

وصفق ، فقال ماسح الأحذية : « حاجة يا بك ؟ »

فقال سعيد : « لا .. » وتردد فقال : « ناد الجرسون »
فوضع الرجل الفرشاة ونهض ، ولما عاد جلس وهو يقول :
« أنا خدامك يا بك .. تحت أمرك .. بس أوامر . أتمنى
خدمة .. والله يا بك »

فدار رأس سعيد ، وقال لنفسه : « لم يبق الا هذا ..
نعم لم يكن ينقصني الا أن أستعين بهذا الرجل .. مصيبة .
مثلي يخطر له أن يستعين على سد الفراغ الهائل في حياته
الجافة برجل من هذا الطراز .. ومع ذلك ، لم لا .. ؟ وماذا
يستطيع مثله .. انه لا يسعه شيء أعجز حتى أنا عنه ، لأنه
إذا كان يعرف أحدا فانه لا يعرف ولا يمكن أن يعرف
الا الطبقة التي هي كالشمس لكل الناس .. أعوذ بالله ..
لا .. ليس هذا ما أريد . ومع ذلك من يدري .. ألا يمكن
أن أختبره ؟ .. »

وجاء الجرسون ثم انصرف ليحجى بالكاس الثانية ، فخطر
لسعيد خاطر ، والتفت الى الرجل وقال : « اسمع .. انى
أريد شقة صغيرة .. غرفتين فقط .. شقة اشتغل فيها .
البيت ضجة وضوضاء .. شقة صغيرة هادئة .. فى حى
محترم .. »

فأقبل الرجل على الحذاء يمسحه بهمة ونشاط ، وقال :
« كثير يا بك .. بس أوامر »

فقال سعيد : « طيب ابحث وابق قل لى »

فقال الرجل : « حاضر .. من عيني »

فرمى اليه قرشين ، فتقبلهما الرجل مسرورا داعيا مؤكدا
صحة عزمه على خدمته باخلاص ، ومضى عنه

وتناول سعيد الكاس وشرب وهو يحدث نفسه ان هذا جنون. وماذا يصنع بالشقة ؟ أما ان أمره لغريب .. وهم بأن يدعو الرجل ويصرفه عن البحث ، ولكنه عدل وقال ان الأمر بيدى أنا لا بيده ، فلا داعى للعجلة . غير أنه مع ذلك استثقل أن يدع الرجل يظن به الظنون . وعاد يقول لنفسه انه رجل لا قيمة له ولا لظنونه ، فليظن ما شاء .. ولكن حملته على نفسه لم تفتقر

وكان الليل قد أظلم ولم تبدد سواده المصابيح .. وكان هو فى النور ، فقد رته على رؤية الشارع محدودة .. فصارت الفتيات كالأشباح ، واتسع المجال بذلك للخيال ، فالدميمة منهن يحيلها الخيال فاتنة ساحرة. وساعدته الخمر على اتمام الصور ، وجلاء غامضها ، وعلاج عيوبها المرئية أو الموهومة . وكانت الخمر قد انعشته قليلا ، فكان ينظر ويفكر ويتخيل بشيء من الارتياح .. ولكنه مع ذلك أحس أنه عاجز عن احتمال كل هذا الجمال ، وان كان أكثره مما رسم خياله ، فنادى الجرسون ونهض ..

ولقيه ماسح الاحذية وهو على الرصيف ، فسأله :
« تجى بكرة يا بك ؟ .. »

ولكن البك لم تعد له أذن تستطيع أن تحتل الاصفاء الى مثل هذا الرجل ، فقال له : « رح .. رح » فآلح الرجل ومشى الى جانبه ، يقول : « ليه يا بك .. أنا خدامك .. بس استنى طول بالك .. ان ما كنتش اخدمك خدمة .. » فقاطعه سعيد ونهره .. ومضى عنه

والمثل يقول : « راحت السكره وجاءت الفكرة » ولكن الفكرة تروح أحيانا مع الصحو وتجىء مع السكر .. أو على الأقل ، هذا ما كان من أمر سعيد ، فقد قال لنفسه انه اذا كان من العجز بهذا القدر .. فأولى به أن يظل عاجزا وأن يعترف لنفسه بذلك ويوطنها عليه . ولم يكن هذا الخاطر

مما يجلو الكآبة ويلطف الوحشة التي تحسها النفس، واخلق
بالاعتراف بضعف الحيلة وقلة الوسيلة وعدم الصلاح أن
يزيد هبوط الروح ، ولا عجب اذا كان سعيد قد عاد الى
بيته وهو يسأل نفسه لماذا شرب هذا الزبيب السخيف

ودخل على زوجته ، وهو يقول لها : « اسمعى .. من الآن
فصاعدا لا تدعيني أخرج ومعى فلوس .. بس الكفاية
للانتقال .. فاهمة ؟ »

فظنت أن ما معه سرقة النشالون ، فقال : « لا .. بس
شربت زبيب .. جنون بالطبع .. الرجال مجانيين »
وارتمى على كرسي ، وهو يقول : « قال زيب .. كلام
فارغ .. مسخرة وقلة حيا »

واتخذت كآبته صورة السخط على النفس ، ولا نعرف
كيف كانت أحلامه في تلك الليلة .. فانه لم يقصها على أحد ،
ولكن الأرجح أنها لم تخل من « الزبيب والكلام الفارغ ! »



العقد الضائع

رجعنا من السويس على عجل - أختى وزوجها وأنا -
وكنا نقضى فيها أياما ، فقد تلقينا نبأ من خادمتنا القديمة
الأمينة « فرحة » بأن عمدة قريتنا قادم .. وسينزل علينا
ضيفا اجابة لدعوة قديمة نسيناها ، فأسرعنا نحشو
الحقائب حشوا بلا عناية ، لنكون فى البيت قبل أن يصل .
ومضى ابن عمى - زوج أختى - فجاء بالسيارة . وكنت
قد هضت ساقى قبل ذلك بيوم ، فلم يبق مفر من أن يسوف
هو السيارة وان كان لا يحسن ذلك .. ولم يتلق فيه
الا بضعة دروس قليلة . وكان الأحجى أن نستأجر رجلا
لهذا ، ولكننا كنا نحرص على ألا يكون معنا غريب يحول
وجوده دون حريتنا فى الكلام والضحك واللهو أثناء الطريق .
وقد عزيت نفسى بأن طريق السويس سهل والحركة فيه
قليلة ، فلا داعى للخوف . وفى وسعه أن يخطئ كما يشاء ..
فلن يضره أو يضرنا ذلك ، وان كان يخشى أن يضيع وقتنا
وجلسنا الى جانبه ، وجلست أختى على المقعد الخلفى ،
وطمأننتها بأنى وأنا معه سأكون السائق الحقيقى ، وانه
لن يفعل الا ما أمره . ولكننا لسوء الحظ ، ألفينا الطريق
غاصا بالسيارات .. فتعجبنا أولا ، ثم تذكرنا أن هذا يوم
الأحد ، فلا عجب اذا كان الكثيرون قد أقبلوا على السويس
ليقضوا اليوم فيه

وقطعنا بضع عشرات من الكيلومترات فى سلام - وفى
ضحك أيضا - ثم بلغنا أول مرتقى فى طريقنا ، فأشرت على
ابن عمى بأن يضع ناقل السرعة فى المحل الثانى .. ففعل ،
فوقفت السيارة فى منتصف الانحدار . وكنا لا نزال فى مكاننا
حين وقف المحرك للمرة العاشرة ، فاقترحت عليه أن يكف

عن العمل ، وان يضطجع ويشعل سيجارة. ولكنه هز رأسه وقال : « هل أرجع بها القهقري ، ثم أبدا من جديد ؟ »
فقلت له : « كلا ، انى افضل لسخافتى أن اواجه الموت »
فقالت أختى : « هل نستطيع أن ندفعها بأيدينا حتى نبلف ذروة هذا المرتفع ؟ .. » قلت : « كلا .. ان زنتها لا تقل عن طنين »

وقال ابن عمى : « لن أسألك عن السبب فى وقوفها كلما حاولت أن أحملها على السير ، فانى أعرف جوابك .. ولكنى أؤكد لك انى أضع ناقل السرعة فى مكانه بأقصى ما يسع انسانا من الترفق والبطء .. واذا كنت تريد أن تعرف رأى فهو أن السيارة قد اصابها تلف »

قلت : « سيصيبها التلف على التحقيق ، اذا ظللت تحاول أن تدير المحرك ثم توقفه .. فستنفد الكهرباء وتحتاج كلما أردت ادارة المحرك أن تنزل وتديره « بالمنفيلة » . وقد ينفعك هذا ، فيغيريك بالتفكير قليلا »

فصاح بى : « أظن انى لم افكر ؟ .. أتتوهم انى لا افكر الآن ؟ .. أن راسى يكاد ينفجر من فرط التفكير » ..
فضحكت أختى ، فصاح بها : « نعم اضحكى .. أنظرى الى الجانب المضحك .. ولم لا .. قد يطير عقلى ، ولكن هل يجوز أن يمنعك هذا من الضحك ؟ »

وداس برجله الزر يريد أن يدير المحرك .. ووقفت السيارة مرات أخرى لا أذكر عددها فاضطجع واغمض عينيه وراح يقول : « لا فائدة .. لا فائدة .. قضى الأمر ، وأنا واثق أنه كتب علينا أن نبقى هنا الى الأبد . ومن يدرى .. ربما كان فى الطريق مارد فى يده سيف مسلول .. والسيارة تراه وان كنا نحن لا نبصره . ومن العبث أن يقاوم المرء القضاء والقدر . كلا .. لا تتكلموا .. فانى أوثر أن اقضى نحبى فى سلام وبغير ضجة »

وفي هذه اللحظة وقفت الى جانبنا سيارة ونزل منها رجل لم نكد نبصره حتى ايقنا أنه انجليزى ، وحقق هو ظننا فقال لنا بلغته : « هل أستطيع أن أساعدكم ؟ »

فشرحت له الأمر وعرفته خطبنا ، فابتسم وهم بكلام ولكن ابن عمى قال له : « امض عنا .. اذهب .. وحده .. ان اماننا ماردا وقد حذر السيارة من المضى ففهمت عنه .. كان صريحا فيما قاله لها ، اذهب وأرجو لك السلامة »

فابتسم الرجل ودعاه الى النزول ، واتخذ مكانه .. وصعد بنا الى رأس التل ، ولم يكتف بذلك بل ظل معنا - على مسافة منا .. وراءنا - حتى فرغنا من المرتفعات ، وصار الطريق بعد ذلك سهلا منبسطا ، فشكرناه ولكن أى شكر يمكن أن يفى بحسن صنيعه ومروءته ؟

وكان مساء .. ثم كان صباح

ولم يكن النهار قد ارتفع ولا كانت الشمس قد علت ، لما دخلت على « فرحة » توقظنى قبل موعدى المؤلف بساعتين ، وتخبرنى أن أختى تصيح على وتدعونى إليها فى غرفتها . وقد عجبت ، وحق لى أن أعجب .. فما أعرف موجبا لازعاجى فى مثل هذه الساعة المبكرة - السابعة من فضلك - ومع أختى زوجها ، فما حاجتها الى ؟ وقد حاولت أن أهمل هذه الدعوة ، ولكن « فرحة » أبت أن تمضى عنى وتدعنى أستأنف النوم .. فتمطيت وفركت عيني وتشاءبت وقلت لها : « ماذا هناك يا فرحة ؟ »

فقالت بلهجتها الهادئة المطمئنة وصوتها المتزن النبرات الذى لا اذكر أنه ارتفع عن هذه الطبقة مرة واحدة فى عشرين عاما قضتها معنا منذ كانت طفلة : « ان الامر يستدعى وجودك » وفرحة عاقلة ذكية وحريصة دقيقة العبارة ، قد رباها أبى مع أختى وعننى بتعليمها أيضا ، وجعل لها حصاة فى الوقف الذى وقفه قبل وفاته . وكانت هذه مفاجأة سارة

لنا ، فقد أحببنا فرحة حب الأخت . وكانت هي -
وما زالت - ربة البيت . ولسنا نعاملها معاملة الخدم وانما
نعدّها واحدة منا لها علينا مثل الذى لنا عليها . وحسبك
منها ، أنها ما أخذت فى حياتها معنا اجرا على خدمة ، وأنها
بعد وفاة أينا لم تحاسبنا قط على ريع حصتها وان كنا
نودعه البنك باسمها . . فاذا أرادت ثوبا أو خاتما أو غير
ذلك طلبته منا ، كما يمكن أن تطلبه أختى منى أو من زوجها .
فاذا كانت تقول الآن أن الأمر يستدعى وجودى ، فقد صار
القيام لا بد منه

ودخلت على أختى وورائى فرحة ، فالفيتها مستلقية
على السرير فى منامة قرمزية مزركشة ومعتمدة بكوعها على
وسادة وثيرة مربعة محشوة بريش النعام وخدها على راحتها
ويسراها على فخذه وبين أصبعيها سيجارة . . وكان
منظرها فاتنا فأنها جميلة ممشوقة ، وكانت هذه الرقدة
تبرز خطوط جسمها الرشيق وبراعة الانحناءات فيه .
وكان زوجها قاعدا فوق السجادة ، فنظرت منها اليه
وقلت : « لاعجب أن تدللها . لست بانسان اذا لم تفعل »
فابتسمت مسرورة وأدنتنى منها وقبلتنى ، وقالت :
« اجلس هنا . . الى جانبى على السرير . . وأنت يا فرحة
. . قصى عليهم الحكاية » فأراحت فرحة أناملها على شبك
السرير وأشارت بيدها الاخرى الى منضدة صغيرة قريبة ،
وقالت : « قبل أن أترك الغرفة وضعت يدي عقدتها -
وأشارت الى أختى - على هذه المنضدة ، وفى الصباح
دخلت عليها فلم أجده . وسألته عنه فقالت انه فى مكانه ،
فذهبت الى البك - تعنى زوجها فان فرحة مؤدبة -
وسألته فجعل يضحك ويتحسس عنقه ويقول انه ليس
هنا . . هذه هى الحكاية »

فقلت متمما لها كلامها : « فجئتم بشرلوك هولز ليحل

اللفز ويضع يده على اللص .. اشكر لكم هذه الثقة العظيمة»
فقالت أختي ، وهى تضحك : « العفو .. الواقع أن كل
ما اذكره هو أنى قمت بالليل ، وغبت عن الغرفة دقائق ،
ومررت فى عودتى بغرفة هذا الزوج الصالح .. ولكن
شخيره كان عاليا فهربت »

فنهض ابن عمى محتجا وقال وهو يتمشى : « شخيرى ..
هل تريدن أن تقولى أنك أفردت لى غرفة من أجل شخيرى
.. شخيرى .. ليتك ترين نفسك فى المرأة وأنت نائمة .
اذن لرايت كيف ترمين اللحاف وتضربين برجلك هنا
وبيدك هناك ، كالأطفال بلا أدنى فرق . لقد تزوجت طفلة
حين تزوجتك .. تقول شخيرى .. مثل هذا الطعن القبيح
على سيدها وتاج رأسها ، هل يليق يا فرحة ؟ »

فابتسمت فرحة ولم تقل شيئا . وماذا عساها تقول ،
وشخيره يزعم الجيران حتى لقد جلا السكان عن هذا الحى ،
وخربت بيوت أصحاب العمائر فيه

... وانتهت ضجة الضحك أخيرا - ولكل شيء آخر -
فقلت : « ماذا كان شرلوك هولمز خليقا أن يصنع فى مثل
هذه الحالة ؟ »

فصاح بى ابن عمى : « دع الفلسفة من فضلك .. الأمر
واضح .. البيت موصد من كل ناحية والمنافذ كلها
مسدودة ، فالذى أخذ العقد لم يجىء من الخارج وإنما هو
ولا شك واحد ممن فى البيت »

فصحنا جميعا - ما عدا فرحة فانها مؤدبة .. « برافو ..
برافو .. » فلم يعبأ بنا ومضى يقول : « الجديد علينا هو
ابن العمدة .. فهو السارق »

فلما نطق بهذا ، صحنا به جميعا - حتى فرحة وان
كانت مؤدبة - فلم ينهزم ، وقال وهو يعود الى الجلوس
على الحشية : « لا بأس .. ولا داعى للصياح .. المسألة

بسيطة ، اذا لم يكن هو اللص فمن عسى ان يكون غيره ؟ »
فقلت : « أنت مثلا .. لم لا ؟ »

فقهقه ، فقلت : « الا يمكن أن تكون قد أخذته لتضعه في مكان أمين ثم نسيتته كعادتك ؟ » انك هكذا وانت تعرف ما يكلفنا نسيانك . قم انظر أين وضعت العقد ، واذكر الأسفنجة .. قبل أن تعترض وتحتج .. قم من فضلك »
فقلت اختى وهى تعتدل فى مجلسها : « يا سليم .. انى لم اخطىء حين ازعجتك .. كلا ، وأنا الآن واثقة ان ابن العم قد نسي أين وضعه »

فصاح بها محتجا : « ولكنى يا ستى لم ادخل غرفتك .. ودعتك - أعنى قبلتك ولا مؤاخذة يا سليم ، فهذه عادة الأزواج - ثم لم أعد .. فكيف يمكن أن أكون قد أخذته ؟ »
فقلت وهى تقف : « تذكر .. حاول أن تتذكر .. »
وزدت أنا على قولها : « جرب مرة واحدة أن تكلف هذا الرأس عملا .. لا تخف أن تتعب »
فمضى عنا الى الباب وهو يقول : « انى ذاهب الى الحمام .. »

وهنا ينبغي أن أقول أن العقد الذى غاب مما ورثناه عن أمى ، وهو من اللؤلؤ النفيس .. وكانت حباته نحو مائتين ، وأكثرها من الكبار فى حجم الفولة ، وقد رأينا أن نجعل منه عقدا واحدا صغيرا أعطيناه لفرحة ، وبقي الكبير وآخر صغير لأختى .. فكانت اذا ليست أحدهما تلفه على نحرها الجميل ، فغير معقول أن يسرق منها وهو على نحرها . على أن الأمر لا محل فيه للتخمين ، فقد قالت فرحة أنها وضعتة على المنضدة .. وفرحة صادقة ، ثم أن ذاكرتها لا تخونها أو تعابثها كما تعابث ابن عمى - احمد - ذاكرته . ولم يكن أسخف من قوله - وأن كان يمزح على عادته - أن ابن العمدة « حسن » هو الوحيد الذى تتجه اليه التهمة ،

فان « حسنا » هذا من سراة الناس ، وهو فوق ذلك من اقرباء أحمد الأذنين . وقد ذكرت ذلك لأريك الى أى حد يذهب أحمد في مزاحه

ولا أحتاج ان أقول اننا استقبلنا يومنا مكتئبين مهمومين محزونين ، فان للعقد قيمته الذاتية والمعنوية .. وقد كنا نتكلف المرح ونبدى صفحة البشر ونتلقى الأمر بما يشبه الاستخفاف ، لأننا اعتدنا ان نواجه الأمور على هذا النحو ، وربانا أبوانا على الجلد وضبط الأحساس . أما أحمد فكان بطبيعته هزالا يركب الحياة بالدعابة والبشاشة والعبث ، وقد احبنا واجبيناه وأنس بنا وأنسنا به ، فعاش معنا وآثر بيتنا على بيت أبويه ، وانتهى الأمر بما كان لا بد أن ينتهى به - أى أن يتزوج أختى - ولست أعرف أسرة أخرى تعيش هذه العيشة السعيدة الرغيدة . وحسبك ان المال موفور وان الطباع رضية والأمزجة متطابقة



ومن عادة أحمد ان يغنى وهو فى الحمام . ولست أعنى أنه يغنى الأصوات الشائعة ، وانما أعنى أنه وهو فى الحمام يصف كل ما يعمل ، ويرفع الصوت بالغناء بهذا الوصف .. فاذا كنت على مقربة من الحمام لم يسمعك الا ان تسمعه يقول - أو يغنى على الأصح : « أين الأسفنجة يا سيدى .. لا بد أن تكون هذه الزوجة المبهمة قد ضيعتها .. ومن يدري يا حبيبى .. فلعلها خبأتها عمدا .. آه يا روحى .. وأين الكبريت .. اظننى نسيت .. هذا خازوق يا حبيبى .. وكيف أسخن الماء الآن .. يا لعنة الله انزلى على رأس الذى اخترع التدفئة بالغاز .. آه يا عيني .. والله وحسة .. نجد الكبريت فلا نجد القرش الذى نضعه فى الثقب لينطلق

الغاز .. ويسخن الماء فلا نجد الاسفنجة .. واجد كل ذلك وأنام في الحوض ، وبدأ الشعور بالراحة وإذا بالغاز قد فرغ . وأخذ الماء يبرد .. ويجب أن أخرج من الحوض لأضع قرشا آخر في الثقب وأبحث عن الكبريت .. والكبريت مبلول .. معلوم يا سيدى .. أو الكبريت فرغ .. طبيعى .. أصبح .. ومن يسمع .. ألبس البرنس وأخرج لأجىء بكبريت .. خازوق آخر يا حبيبى .. لقد سببت الغاز مفتوحا .. فالحمام كله غاز .. وستختنق يا ولد إذا لم تفتح النافذة .. افتح يا سيدى وأبرد .. وحوح يا حبيبى من البرد .. الذى سمي هذا حماما كان ولاشك ابن حرام » وهكذا الى غير نهاية .. ومن تحصيل الحاصل أن أقول اننا اعتدنا أن نقف قرب الحمام كلما دخل فيه احمد لنعرف ما يجرى فيه ، فنقع على الارض من كثرة الضحك . ولا بد أن يحدث له شيء لا يحدث لسواه ، لأنه كما أسلفت سريع النسيان .. ينسى أين وضع الاسفنجة وأنه رمى الكبريت في الحوض ، وينسى أنه نسي أن يجيء معه بقروش ليضعها في الثقب .. فانه يبقى في الحوض ساعة وساعتين وهكذا . ولولا أنه نساء لعابثناه عامدين لنضحك ، ولكنه أغنانا عن ذلك

وكان حسن قد استيقظ ونهض ليلحق بنا ويجلس معنا ، فالفانا عند الحمام واقفين وأن كانت المقاعد في الدهليز ، فحيا بيده .. فأشرنا اليه أن اسكت .. ورآنا نبتسم وأحسن من هيئتنا أننا نتسمع ، فمشى على أطراف أصابعه ووقف معنا يصغى أيضا ، وكان احمد يقول : « العقدة ضاع .. قال ضاع .. كلام فارغ يا حبيبى .. والله ما أخذه الا هذا الحرامى الذى نزل في ضيافتنا .. بالطبع سرقه .. فى عمر أمه ما رأت مثله .. الأقارب عقارب يا سيدى .. ضاع العقدة يا ستى .. أنا المسكين يا حبيبتى

.. هات لى عقد غيره يا سيدى .. طبعاً يا ماما .. من
يدرى .. لعل العقد لم يضع .. أبوه يا سيدى .. لم
يضع .. الأرجح .. والمعقول أن يكون فى الدولار .. أخفته
الزوجة الصالحة لأشترى لها عقداً سواه .. النسوان
ملاعين يا روحى .. قالوا العقد ضاع .. ضاع فىن يا أهل
القنونة .. لا يا ستى العقد فى الدولار ، والفرض مرض »
وكان يبديء ويعيد فى هذه المعانى .. فأما حسن فلم
يفهم وكان ينظر منى الى أختى ، وكان يرانا نضحك فيتكلف
الضحك مثلنا .. وأما أختى فضحكت أولاً ثم لما سمعته
يتهمها بأنها خبات العقد لتطالبه بحليّة .. تجهمت ،
فشددت على ذراعها ، فنظرت الى مبتسمة وهزت رأسها ،
وعاد الى وجهها الاشراف .. ولكنها لم يسعها الا أن تقول
لنا ونحن نمضى عن الحمام قبل أن يخرج هو علينا : « شف
.. ينسى أين وضع العقد ثم يدعى أنى خباته .. طيب .. »
وقال حسن : « ألا تقول ما هى الحكاية ؟ »

فضحكت ، وقلت : « الحكاية باختصار أن أختى لا تجد
عقدها .. وأحمد يتهمك بسرقة العقد .. لقد سمعته
بأذنك .. والآن أفهمت ؟ »

وكانت هذه صدمة ، فان معرفة حسن بأحمد يسيرة ،
وان كان من أقاربه الأدين .. ولكنه احتمل هذه الصدمة ،
واسرعنا نحن فعرّفناه بأساليب قريبه ، فضحك معنا .
ولكنه مع ذلك صار يطرق من حين الى حين

وخرج أحمد أخيراً ودخل علينا وفى يده صحيفة يتأملها
وينظر الى الصور التى فيها فما كانت له عناية بقراءة
الصحف . وجلس الى المائدة وأدار عينه فيما عليها ، ثم
سأل : « ماذا أعددت لنا يا امرأة ؟ »

فاغتنمت أختى هذه الفرصة ، وصاحت : « ألا تنتظر
حتى يستعد الباقون للأكل ؟ . ما هذه الشراهة .. ثم كيف

تزعّم انى اخفيت العقد لتشتري لى سواه ؟ ! »
فقال ببطء : « الجواب على السؤال الأول بالنفى ..
النفى البات .. أما الشطر الثانى من السؤال ، فان الرد
عليه يكون بعد الأكل .. فانه يحتاج الى عقل ، والعقل
يذهب به الجوع » . فعادت تصيح به : « ولكن كيف تجرؤ ؟ »
فقال بهدوء : « من الغريب انى جئت الى هنا لآكل
لا لأتكلم أولا يا امرأة » . فقالت : « هل عنيت بالبحث فى
ثيابك ؟ . بالطبع لم تعن .. »

فالتفت الى حسن ، وقال : « شف يا حسن .. شف ..
احذر يا ابنى أن تتزوج .. لا عذر لك وقد رأيت بعينك
ما تصنع الزوجات ببعولتهن »
فقال حسن : « اظن انى سأزوج .. وعلى فكرة كيف
تسمح لنفسك أن تتهمنى بالسرقة ؟ »

فرفع احمد يديه الى السماء ، ثم التفت الى حسن
وقال : « وانت ايضا ؟ .. لم يبق لى عيش فى هذا البيت ..
فلأرحل » . ونهض ، وقال : « يا امرأة ، انى فى المكتب »

لم ندع مكانا فى البيت الا بحثنا فيه ، ولا ثوبا فى خزانة
احمد الا نفضناه وقلبنا جيوبه .. حتى السجاجيد رفعناها
ونظرنا تحتها .. حتى الستائر نحيناها وأجلنا عيوننا فيما
وراءها وفيها ايضا مخافة أن يكون حبل العقد قد علق بشىء
منها . فلم نجد عقدا ولا حبة من عقد ، فيئسنا وحل
الاكتئاب محل البشر ، فقد كنا الى ما قبل ذلك نعتقد أن
العقد موجود فى مكان ما ولكن أعيننا لا تراه . وقد أعدنا
البحث مرة اخرى لظننا وتوهمنا أننا تخطيناه بعيوننا ونحن
ندبرها كما هى العادة فى حالة الاضطراب . ولم يكن احمد
يعفينا من مزاحه فى خلال هذا البحث المتعب .. فلما
كففنا ، قال وهو يضطجع ويشعل سيجارته : « لا فائدة ..
لقد كنت أعلم من أول الأمر أن لا فائدة .. قلت لكم مائة

مرة أن هذه الزوجة تعرف أين يوجد العقد .. نعم ، هي
خبأته » . فصاحت به : « ألا يمكن أن تسكت ؟ »

فقال : « أسكت كيف .. وأنت تحمليننا كل هذه المشاق
من أجل خرزات ؟ » .. ولم يتمها .. فقد هجنا به احتجاجا
على وصف حبات اللؤلؤ بأنها خرزات

ولما هدأت الضجة ، قالت أختى : « اسمعوا .. انى لم
أعد أطيق البقاء هذا النهار فى البيت ، فلنذهب الى أى
مكان آخر ولننفذ هناك »

وكان هذا اقتراحا حسنا ، فان بقاءنا فى البيت كان خليقا
بأن يغرينا باستئناف البحث مرة وأخرى ، فنشقى على غير
جدوى . فمن الخير أن نخرج وأن نقضى النهار فى مكان آخر
ثم نعود .. ومن يدري ؟ .. فقد نجد العقد تحت عيوننا
حين نعود كما يحدث كثيرا . وما زلت أذكر كيف كنت
أبحث مرة عن قلمنى وكانت أختى معى ، فلما تعبنا جلسنا
على الكراسى وهممت بأن أخرج سيجارة وإذا بالقلم بين
أصابعى .. ومن الغريب أن أختى لم تره فى يدى كما لم
أره . وقد ذكرت أختى بهذه الحكاية أو الحادثة ، وفى
مرجوى .. أن أبعث فى نفسها الأمل ، فلا تقضى النهار
يائسة ، وإن كانت تتشجع وتتجلد ولا تبدى جزعا

وقمت الى حمامى على حين راح غيرى يلبس الثياب
استعدادا للخروج .. وكان طبعيا أن يفرغوا من شأنهم
قبلى وأن يستبطنونى ، فأنى أنا فى حركة دائمة فى الحمام ،
وهم لا يصنعون شيئا بعد أن لبسوا الثياب ووقفوا
ينتظرون .. وليس أشد على المضطرب القلب من الانتظار .
فأقبلوا على باب الحمام يدقون عليه بأيديهم وينقرون
بأصابعهم ، ويدعوننى أن أسرع ..

وأخيرا خرجت .. فما يمكن أن تكون لمستحم راحة أو
لذة وعلى بابهِ من يصيحون به ويسمعونه ما يكره ، فلحقوا

بى فى غرفتى ولكنى أخرجتهم منها بجهد .. فانى مستعد
أن أحتمل كل شيء الا أن يحيط بى هؤلاء الصائحون
الصاخبون وأنا البس . على أنى أسرع وعجلت لأتقى شر
هجومهم على كرة أخرى ، وكانت ساقى لا تزال أحسها
ثقيلة مما أصابها فى السويس وهاضها ، وان كانت
لا تؤلمنى . فلما صرت اليهم فى الردهة وقفت هنيهة أدعكها
بكفى لآليتها ، فسألتنى أختى : « الا تزال تؤلمك ؟ »
قلت : « كلا .. لا ألم ولكنى أحسها ثقيلة »
فقال ابن عمى : « كلك ثقيل يا أختى .. تعال »
فقلت : « ولكنى حقيقة أشعر انها أثقل مما كانت أمس »
فقلت أختى : « طبيعى .. هذا من الجهد الذى تكلفته
اليوم فى البحث »

فاقتنعت ونزلنا الى الباب ، وكان ابن عمى قد جاء
بالسيارة قبل ذلك وتركها أمام الباب ، فجلست أختى ومعهما
حسن على المقعد الخلفى ، واتخذ أحمد مكان القيادة ،
وقلت له وأنا أفتح الباب الآخر لأجلس الى جانبه : « لعل
درس الأمس نفعلك ، فلا تكرر أخطاءك المعتادة »
فزام أولا ، ثم قال : « ولكن اذا كنتم تريدون أن أشرفكم
بتولى القيادة العامة .. أفلا يحسن أن أعرف الى أين يراد
منى أن أحملك ؟ »

فقلت أختى : « أوه .. الى أى مكان .. الى القناطر
الخيرية اذا شئت أو الى أى مكان تحب »
قال حسن : « الى القناطر اذن . اركب يا هذا ..
أم تريد أن أنزل وأحملك ؟ »

وكان الركوب يحوجنى أن أحمل ساقى بيدي ، لأن ثنيها
كان يؤلمنى فى موضع الركبة .. فجلست على المقعد ووجهى
الى الباب وملت على ساقى وهى ممدودة لأحملها وأدور بها
لأدخلها فى السيارة . ثم ارتددت ضاحكا ، فسألتنى أختى

عن الخبر ، فقال لها زوجها : « دعيه .. انه يحلم . لا يزال
نائما .. ألا ترين ؟ .. أعني ألا تسمعين ؟ »

فمسحت أولا الدموع التي ترقرت في عيني من فرط
الضحك، ثم مسحت بطنى التي صارت توجعنى .. ثم تنهدت
وقلت : « أخ .. مسألة ظريفة جدا »

فقلت أختى : « ولكن ما هى الحكاية ؟ . اتظن أن من
اللائق أن نقف ساعة أمام الباب ؟ »

قلت : « أظن أن الواجب أن ندخل .. نعود الى البيت
دقائق قبل أن نخرج الى رحلتنا »

فنهضت أختى عن مقعدها قليلا وزحفت الى الامام مقدار
شبر ووضعت كفها البضة على كتفى ، وقالت : « لا تعذبنى
انطق » . قلت : « لا حاجة بى الى الكلام .. خذى »

وانحنيت فأخرجت العقد المفقود من طية البنطلون عند
حرفه ، ورفعته الى عينها وقلت : « لقد كنت أظن أن ساقى
اليوم اسوأ مما كانت أمس لأنى أحسها أثقل .. فالآن عرفت
السبب ، ولكنى لا أعرف كيف سقط العقد فى طية البنطلون »

ولا أزال الى الآن أجهل كيف أمكن أن يحدث هذا ، وانما
الذى أعرفه أن أختى نعمت فى يومها هذا ، وأن ابن عمى
حاول أن يركبنى بعبثه المألوف .. فوضعت كفها على فمه ،
فقبل أصابعها ، ثم عضها ، فصرخت . فقال : « هذا جزء
من يدافع عن السراق واللصوص والخونة ! »

البحارة



كثيرا ما اطلب العزلة والهرب من الناس لا لانى اكرههم
او انفر منهم ، بل ليتسنى لى أن اخلو بنفسى وخواطرى .
ولست أعنى انى أشتهى أن اكون فى مكان خلاء . . وانما أعنى
انه يحلو لى أحيانا أن أرى أن كل من حولى ممن لا أعرف .
ولا أدرى كيف هذا . . ولكنه يخيل الى حين يتفق لى ذلك ،
انى خلعت ثيابى على ساحل بحر ورميت نفسى على مائه
ورحت أسبح فيه ، وأضرب بذراعى ورجلى ، وأفعل غير ذلك
مما يفعل السابح . وما أعرف من السباحة شيئا . . وانى
لشبيهه بابن الرومى الشاعر الذى يقول فى بعض شعره انه
لم يتعلم من السباحة سوى « الفوص » وانه لو ألقى به فى الماء
لسبق الحجر . ولكن هذه هى الصورة التى ترتسم بذهنى
حين أرانى فى حشد كبير ممن لا أعرف من الخلق . وكثيرا
ما يسألنى اخوانى : « أين كنت البارحة ؟ » فأقول : « كنت
فى السينما » فيسألوننى : « وحدك ؟ » فأقول : « نعم مع
الأسف » ولا داعى للأسف ، ولكنى أقول ذلك لهم على سبيل
المجاملة ، فيقول قائلهم : « ولم لم تخبرنا ؟ . . اذن لذهبنا
معك وأنسى بعضنا ببعض » فأقول : « أى والله . . ولكن
هذا هو الذى كان ، فلندعه الى الحاضر الذى نحن فيه »

وفى نوبة من هذه النوبات ، ركبت سيارتى وانطلقت بها
الى سينما « المتروبول » وأنا أحدث نفسى بما أرجو أن أفيده
من السرور والمتعة حين أرى تلك الطفلة الفاتنة « شيرلى تمبل »
من غير أن يكون الى جانبى أحد يقول لى : « انظر . . يا سلام
أما أنها لراقصة . . يا للبراعة . كيف استطاعت أن تجيد
التمثيل الى هذا الحد ؟ . ترى كم ينقدونها اجرا لها فى

الاسبوع ؟ .. » الى آخر هذا الهذر الفارغ الذى يفسد على كل متعة

ووقفت امام الشباك ومددت يدي الى الفتاة بضمن التذكرة ، واذا بيد على كتفى .. فأبيت أن ألتفت الا بعد أن أخذ التذكرة ، ويحل غيرى محلى امام الشباك مخافة أن يكون هذا صديقا فيلازمنى ، وماذا يبقى لى حينئذ من الوحدة التى اطلبها واحداث نفسى بحلاوتها . ومن يدرى أى صديق هذا ؟ .. فقد يكون ممن أحب وأنس بهم وارتاح اليهم ، وقد يتفق أن يكون من الثقلاء الذين يفرضون انفسهم على الناس ، فلا مهرب لمن يقعون عليه . وأحسست أنى نجوت فقد اخترت مقعدا بين مقاعد أخرى ليس واحد منها خاليا ، فأنا على الأقل فى أمان من جيرة هذا الذى وضع كفه على كتفى . ووسعنى أن التفت اليه وأنا مطمئن لأرى أى انسان هو .. فلم يخب ظنى ، فقد كان ممن ينبغى أن يهرب المرء منهم ويسأل الله السلامة من صحبتهم ، فسألنى : « وحدك ؟ » فكرهت أن اكذب واكتفيت بأن أشير بيدي ، وأنا امضى عنه ، اشارة قد يكون معناها أن معى غيرى أو أنى ذاهب الى مكان ما أو غير ذلك ، مما يمكن أن يفهمه الانسان من اشارة غامضة كهذه

ونجوت بنفسى ، وكان فى الوقت متسع .. فقلت لنفسى : انى أخشى أن يلحق بى فلأبعد . فرحت أتمشى على الرصيف فى شارع فؤاد - وهو يغص بالناس فى مثل هذه الساعة - فجعلت أنظر الى الرائحين والغادين أو لعل الأصح أن أقول الرائحات والغاديات وهن مقبلات ومدبرات فى ثيابهن المحبوكة التفصيل التى تبدى منهن أكثر مما تستر . نعم تستر الجسم ، ولكنها تعرض على عينك صورة للقوام هى أبرع من صورة البدن العارى . فقد يكون الشدى مسترخيا

فيرفعه ويبرزه الرباط ، وقد يكون الخصر أكثر امتلاء مما يجب .. فیرده حسن التفصيل أهيف ويبرز من تحته الردفین . ولم أزل أتمشى حتى آن أن أعود ، وإذا فتاة أعرف وجهها ولا أجهل أين بيتها ، فانه قريب من بيتي .. وكثيرا ما رايتها في شرفتها أو داخله أو خارجه من البيت أو نازلة من الترام . وأحسبها تعرفنى كما أعرفها ، فقد لفتت وجهها وأطالت النظر الى - فى عيني - فبيننا معرفة يسهل جدا أن تصبح وثيقة فى أوجز وقت ، اذا أمكن أن يفتح احدها فمه بكلمة . ولكن من هو الذى ينبغى أن يبدأ ؟ أما أنا فانه من العسير على - بل من المستحيل كما تبينت ذلك بالتجربة المرة - أن أبدا انسانا لا أعرفه بكلام ، رجلا كان أو امرأة . وقد خطر لى وهى تنظر الى - لا بل تحدد فى وجهى - أن فى وسعى على الأقل أن أبتسم . ولم لا ؟ .. ان الابتسامة تحية ظريفة ، فاذا قابلتها بمثلها انتهى الأمر ، واستطعت أن أنتقل أو أترقى الى الكلام . واذا أغضت عنها كأنها لم ترها ، ففى مقدورى أن أعزى نفسى بأنها خجلت أو انها خشيت الا تكون هى المقصودة بها . واذا قابلتها بالعبوس أو غير ذلك من مظاهر الامتعاض والنفور ، ففى امكانى أن أزعم لنفسى مغالطا انى لم اكن أعنيها حين تبسمت ، وأن أهز كتفى استخفافا بها كأنما أريد أن أقول أنها ليست المرأة الوحيدة فى هذه الدنيا ، وأنها ليست أجمل الفتيات ، وأنها حرة .. ولها اذا شاءت أن ترفض نعمة الاتصال بى دار كل هذا بخاطرى ، وأنا أنظر اليها وهى تنظر الى ، وكان ينبغى أن أبتسم .. فما فى ذلك بأس ، ولكنى لفرط شعورى بنفسى خشيت أن أبدو كالأبله ، ووددت فى هذه اللحظة لو أن معى مرآة فأنظر فيها الى وجهى ، وأرى كيف يكون حين أبتسم لفتاة لا أعرفها . ولكنى أرجو أن تفتنها

الابتسامة وتغريها بمثلها - على سبيل التجربة - واين المرأة؟ .. ومتى كان الرجال يحملون المرايا معهم كالنساء؟ وهب مع الرجل مرآة ، فهل يستطيع أن يخرجها ويتأمل وجهه فيها ويروح يبتسم وحده وهو يفعل ذلك كالمجنون؟!

وذهبت الفتاة وغابت عن عيني ، وأنا أحدث نفسي بهذه السخافات .. وضاعت الفرصة وأزف الوقت ، فعدت الى السينما وأنا أقول لنفسي : « ألم يكن في وسعي ان أدنو منها وأقول لها مثلاً اننا جاران من قديم أو كلاماً آخر كهذا .. كلاماً أبرع من هذا والطف وأوقع في النفس فان كونها على طريقى الى البيت لا يستوجب أن تعرفنى وأعرفها ؟ »

وذهبت أنشئ أحاديث وأتخيل حواراً بينى وبينها من أظرف وأرق ما يمكن أن يخطر على البال ، وكنت وأنا أتخيل ذلك أحسن وجهى ترتسم عليه المعانى التى تدور فى نفسى .. فخجلت وخفت أن يرى الناس ذلك منى فيتعجبوا ويشكوا فى عقلى - أعنى فى صحته - وكنت قد بلغت المدخل ، فدفعت « التذكرة » الى العامل فتقدمنى ووقف عند صف ، وأشار الى موضع الكرسي وقال : « السادس » فسألته على سبيل التثبت : « الثالث ؟ » قال : « لا . لا . لا . السادس .. » فاستأذنت الجالسين ودخلت بظهرى - أعنى أن ظهري كان اليهم وأنا أخطو أمامهم متحرزاً - فلم أر وجوههم ثم جلست وبدأت أتلفت ، فما راعى الا أن الفتاة جالسة الى جانبي ..

ولا أدري لماذا فزعت .. وقد كان المعقول أن يسرنى هذا لأنه يتيح لى فرصة جديدة ، فقد تلتقى يدي بيدها أو تقع رجلى على رجلها فأعذر بأدب وأعرب لها عن الأسف فيفتح باب الكلام الموصل . أو قد تضحكن « شيرلى » بنكاتهما أو بحسن أدائها فالتفت الى جارتى فأراها تضحك مثلى ، ويمنعها السرور فى هذه اللحظة السعيدة أن تعبس أو تقابلنى بالجفوة . ولكنى فزعت كما قلت ولم أشعر

بسرور . وانما كان فزعى لأنى توقعت أن أعجز عن اغتنام
هذه الفرصة الطويلة - وهى اذا ضاعت لا يمكن أن تعود -
فأروح أوسع نفسى بعد ذلك تأنيبا وتقريبا وذما وهجاء .
وأدرت عينى فى المكان لأرى هل فيه من يعرفنى . . أو على
الأصح من أعرفه أنا . . فان من عوامل التشجيع أن يشعر
المرء أنه غير معروف ، وخجل المرء ممن يعرف أقوى من
خجله ممن لا يعرف فى مثل هذه المواقف . . على أنى لست
على يقين من هذا ، فقد يكون وجود الاخوان دافعا الى
الجرأة ، والانسان لا يسره أن يعرف أصدقاؤه أنه جبان

ولم أر وجها أعرفه ، فأخرجت سيجارة وأشعلتها ،
ورحت أدخن . وخطر لى وأنا أفعل هذا أنه يحسن أن
أستأذنها . . فلعلها لا تحتمل الدخان ، وهذا أدب لا ضرر
منه ، ثم أنه مألوف . ولكن الوسوس لم تترك لى راحة .
فقد قلت لنفسى انى أستطيع أن أستأذن أى فتاة أخرى
فلا تستغرب ولا تستريب ، أما هذه فانها خليقة أن تتوهم
أنى أتحدك بها واحتال للكلام معها . ثم عدت فقلت لنفسى
انى أريد أن أكلمها ، وما أظن بها الا أنها تعرف ذلك . نظرتى
اليها تشى بهذه الرغبة . ولماذا لا أكلمها ؟ . . أى بأس هناك
فى ذلك ؟ . . ولماذا أقدر أن يسوءها كلامى ؟ . ومن يدرينى
أنها لا ترغب فى كلامى ؟ . ولكن ماذا بالله يدعوها الى الرغبة
فى قزم دميم الخلقه مثلى ؟ . سخافة . . كلا ، لست دميما
الى هذا الحد المنفر . . ثم ان رأى المرأة فى الجمال غير رأى
الرجل . . أو هو هو . . لقد وصلت الى الكلام فى الجمال .
أما أنى والله لسخيف . .

وضحكت . . فالتفتت الى مستغربة ، فليس من المألوف
أن يضحك العاقل وحده ومن غير أن يكون هناك ما يوجب
الضحك . فلها العذر اذا كانت قد استغربت . . ووجمت
أنا ، وخيل الى أنها تنحت قليلا . ومن المحقق على كل حال
أنها لمست طرف المعطف وكان متديلا، فجعلته على فخذه .

فسخّطت على نفسى وصببت وجهى فى قالب صارم من
الجد ، وجعلت عينى الى الستار لا أحولها عنه

وبدأت الرواية ووضعت كوعى على المسند - عفوا -
وكانت كفها عليه أيضا .. فلمسها كمي ، فجذبت يدي
وتمتت بالفاظ اعتذار لم أسمعها أنا ، فكيف بها ؟ ولم يسعنى
الا أن اضع يدي على ساقى . ولم اعد أرى أو اسمع شيئا
من الرواية . وكانت نفسى تقول لى بصوت غليظ فيما أحس :
« انك بليد .. هذا أنت .. وحمار أيضا .. أين جراتك ؟ ..
لماذا تجفل من هذه الفتاة الوديدة التى تتوقع منك أن تكلمها
والتي وطنت نفسها على ذلك واستراحت اليه ؟ . هل بلغ
من سخافتك وجبنك أن تتوقع أن تبدأك هى بالكلام ؟ .
اجترىء يا شيخ .. لقد كان أجدادك الأولون يخطفون النساء
خطفا ولا يبالون شيئا ، وكان النساء يسرنهن ذلك . وقد
ذهب زمان الخطف بالقوة ، ولكنه بقى - وسيظل باقيا -
ان المرأة تنتظر من الرجل أن يهاجمها ، بالكلام على الأقل ..
ثم بعد ذلك بالقبل والضمات والعناق »

فقلت لها : « استحى يا نفس .. اننا فى سينما .. وهذا
الكلام .. هذا التحريض على الأعمال الفاضحة لا يليق ..
اننى رجل متمدين ولست وحشا كما كان آبائى »

فسخرت منى نفسى ، وضحكت .. نعم ضحكت الملعونة
ضحك السخر والزراية .. فكدت أجن ، ولكنها لم تعبأ
بذلك وذهبت تقول : « أين المدنية ؟ . سبحان الله العظيم !
وهل المدنية تمنع أنك انسان وأن شعورك بالمرأة هو نفس
شعور جدك الأعلى الذى كان يسكن الكهوف والغيران ؟ ..
أو تخشى أن تغضبها بالتطفل عليها ؟ .. فاعلم أن المرأة انما
يغضبها أن ترى الرجل بليدا جبانا .. هذه يدها على مسند
الكرسى فضع يدك عليها . نعم لا تخف .. وماذا تخاف ؟ .
أنها لن تأكلك ، بل ستترك كفها تحت كفك وتنعم بلامستك

لها ادن ساقك من ساقها . . انقل اليها بعض الحرارة التي في جوفك . قرب فمك من خدها . . يا له من خد أسيل . . هل رأيت أحلى منه ؟ . دع أنفاسك تصافح هذا الخد . قد انتهى الفصل الذي لم ترمنه شيئا وأضيئت الأنوار ، فادع هذا البائع واشتر منه قطعتين من الشكولاتة المثلوجة وقدم لها واحدة وتبسم . تبسم يا شيخ . . هل أنت قطعة من جليد القطب الشمالي ؟ »

ولكنني استحييت أن أفعل ما تشير به هذه النفس . . فظلت تقرر عنى طول الفصل الثاني وتفسد على قصة « شيرلى » وانتهت الرواية ، فنهض الناس ونهضت . . وأولتني الفتاة وجهها ، فأفسحت لها لتخرج قبلى ، فقالت « مرسى » فابتسمت ابتسامة عوجاء وتحركت شفتاى ، ثم فتح الله على فقلت لسخافتى : « تفضللى » فابتسمت وقالت مرة أخرى : « مرسى » والخطوة الأولى هى الصعبة ، كل شيء يسهل بعدها . . فلا غرابة إذا كنت وجدت لسانى الذى كأنما كانت به عقلة ، فقلت لها : « أظن أننا جاران » قالت وهى تضحك : « أظن ذلك »

قلت : « إذا كان طريقك الى البيت ، فان معى سيارة صغيرة تحملنى . . فإذا خربت حملتها انا »

قالت : « أعرفها . . لا تطعن عليها . . رأيتك فيها كثيرا » قلت : « سنجد السيارة ترقص » قالت : « ولماذا ترقص ؟ » قلت : « طربا . . الست تثنين عليها ؟ ليتنى انا السيارة »

وفتحت لها بابها وقلت لنفسى وأنا ادور الى الباب الآخر : « أرايت ؟ . . ان أساليب المتوحشين لا تصلح لهذا الزمان . . انك نفس قديمة . . عتيقة »

فقهقهت اللعينة وقالت : « لولا درسى . ! على كل حال العبرة بالخواتيم »

البحث عن الذهب

وجدت صديقي ينتظرني - كما وعد - فدخلنا معا وجلسنا متقابلين الى مائدة صغيرة ، وبدانا بأيدينا ففركناها .. فقد كان البرد شديدا ، وكان كلانا قد خلع المعطف والطربوش ، وكانت الحجرة دافئة ولكنه لم يكن قد مضى من الوقت ما يكفي لانتقال الدفء الى ابداننا . ثم اكب صاحبي على البيان الذي فيه ألوان الطعام ، وجعل يسردها لي لاتخير ما يطيب لي منها . وفرغنا من ذلك بعد طول التردد ، وانصرف العامل بدفتره الذي دون فيه ما طلبنا ، فقال صديقي وهو يميل على المائدة : « والآن ما العمل ؟ »

قلت : « هذا هو السؤال الأبدي .. وما أظن بنا الا أننا سنظل نسأل عن ذلك طول العمر - طال أم قصر - المسألة مسألة حظ يا صاحبي »

فقال : « كلا .. لا بد أن هناك وسائل لاكتساب المال بسرعة .. كثيرون يفعلون ذلك . وهذا دليل على أن الوسائل موجودة ، ولكننا نحن - لسبب ما - لا نهتدي اليها »

قلت : « فليكن الأمر كما تصوره ، فلست أرى أن هذا يجدينا شيئا »

قال : « ولكن لا بد أن تكون هناك وسيلة »

قلت : « اذا كان ينفعك أو يريحك الايقان من ذلك .. فأيقن وأرح نفسك »

فقال وهو يهز رأسه : « نحن اثنان .. كلانا محتاج الى مبلغ حسن من المال .. والحاجة ملحة والسرعة لا مفر

منها . لا سبيل الى الاقتراض ، لأن الذين يقرضون يطلبون ضمانا . . شيئا يطمئنون به على مالهم . . سخافة . . ولماذا ينبغي أن نرد شيئا ؟ . . السنا أحق بالمال من هؤلاء الذين لا يعرفون كيف ينفقونه ويروحون يكنزونه ويدفونهم في خزانات أو في قدور يدسونها تحت الارض ؟ »

فضحكت ، وقلت : « هذه باشفية »

قال : « لا تصدق . . آه لو كنت غنيا ، اذن لصارت الدنيا أرغد وأهنا »

قلت وأنا أبتسم : « ماذا كنت تصنع ؟ »

قال : « أصنع ؟ . أتسأل ؟ . كنت أضع المال في صرر وأرمى بها لمن أتوسم فيهم أنهم أهل لأن يكون في يدهم مال » — وأطرق شيئا ثم رفع رأسه وقال : « هل تعرف انى زرت اليوم أختى ؟ . انها غنية كما تعرف . . وكيف لا تكون غنية وهى لا تنفق شيئا ؟ فلما دخلت عليها وفتحت فمى لأتكلّم ، رفعت يدها وقالت : « ولا مليم » فغضبت وصحت بها ونهرتها عن هذا السلوك . أكدت لها مائة مرة انى محتاج الى قليل من المال ، فوقفت وأكدت لى انى سأكون محتاجا الى هذا المال حين أخرج من بيتها . . سلوك يطير العقل . . فهل تسمى هذه أختا ؟ . . انى اتصور أختا ظريفة لطيفة سخية كريمة تعطينى وهى تعتذر وتملأ يدى وهى مفضية . هكذا تكون الأخت »

فقلت : « لماذا لا تفكر فى طريقة لكسب المال ؟ »

فقال بلهجة الاستنكار : « أفكر . . ؟ وما الفائدة من التفكير . . لا فائدة ما دامت الدنيا مقلوبة . آه لو كان لى سلطان فى هذه البلاد ، اذن لعقدت امتحانا كل ثلاثة شهور للأغنياء . . يجلس أعضاء اللجنة ويقف أمامهم الغنى ، فيقول له أحدهم : « كم تملك يا مولانا ؟ » فيقول : « ألف فدان ونحو مائتى ألف جنيه فى المصرف ، وعمارتين — كل

منهما ذات سبع طبقات في شارع الملكة نازلي . فيقول أحد الأعضاء : « وماذا تصنع بكل هذه الثروة ؟ » فيقول : « أوه لا أصنع شيئا .. كل ما زاد على حاجاتي الضرورية جدا أضيفه الى المدخر » فتقول اللجنة : « شيء جميل .. أهذا رأيك فيما ينبغي أن يصنع المرء بالمال ؟ .. لا بأس .. اسألوا أحمد - أي العبد الخاضع المطيع - ماذا يكفيه ، فأقول ردا على السؤال : « أوه يكفيني القليل .. خمسون ألفا . كفاية .. اعني مؤقتا » فتقول اللجنة : « أحمد هذا رجل يحسن انفاق المال .. أعطوه ما يطلب » فأقبض المبلغ وأشكرهم وأفرك يدي وأقول : « اذا سمحتم لي يا حضرات الأعضاء الموقرين ، أستاذكم في لفت نظركم الى رجل يعرف كيف يعطى .. بارع جدا في الانفاق » فيسال أحدهم : « من هذا ؟ . قل بسرعة » فأقول : « انه المازني » فيقول : « آه صحيح .. كيف نسيناه .. هاتوه حالا .. علينا به . اقبضوا عليه في حيثما تجدونه » فيقبض عليك الشرطة ويجرونك مصفدا الى اللجنة ، فيضحك الأعضاء ويقولون : « خذ .. خذ .. خذ أيضا » فتخرج معي مسرورا .. وتروح تنفق باليمين وبالشمال حتى يحين موعد الامتحان التالي . ما قولك ؟ »

فقلت وأنا اضحك : « شيء عظيم جدا .. ولكن الى ان يتيسر ان تلى أمور الناس ، ماذا تصنع ؟ » فقال : « آه هذه هي المسألة .. ما رأيك أنت ؟ » قلت : « يمكننا ان نكسب الورقة الاولى الرابحة من يانصيب المواساة أو اليانصيب الارلندي » قال : « هذا ممكن .. ولكن ذلك يتطلب أن ننتظر بضعة شهور والعجلة من الشيطان » قلت : « صدقت .. يمكن أن نخترع شيئا ونحتكر بيعه - وصنعه بالطبع - فنفتنى »

قال : « صحيح .. فكرة لا بأس بها .. سادون هذا في
مذكرتى .. تنفع في المستقبل .. وعلى ذكر ذلك ، ماذا
نخترع ؟ »

قلت : « باب الاختراع واسع .. واسع جدا : مثلا
نخترع طريقة تجعل السيارات تستغنى عن البنزين وتكتفى
بالماء - أو حتى بالهواء - أو نخترع بديلا من النقود فان
النقود هى أصل البلاء فى هذه الدنيا .. أو نخترع .. »

فقال : « يكفى .. يكفى . ولكن هذا كله يحتاج الى
زمن .. والمطلوب هو الاهتداء الى وسيلة تكفل أعداد المال
اللازم فى أربع وعشرين ساعة .. أنا أقول لك ! »

فقلت وأنا أضطجع وأرسل الدخان من فمى خيطا
ملتويا ، بعد أن فرغنا من الطعام : « يظهر أن الضرورة تفتق
الحيلة حقيقة »

فقال : « معلوم .. اسمع .. اترى هذا الرجل القاعد
هناك فى الركن الأيمن ؟ اترى كيف يأكل ؟ اترى كرشه
الدورة كالكرة ووجهه المنتفخ ، وكيف يفتح عينا ويغمض
أخرى ، وينظر حوله قبل أن يدس اللقمة فى فمه كأنما هو
يخشى أن يراه أحد ؟ . الحق أقول لك انى أكره وجهه ولا
أرتاح الى النظر اليه »

قلت : « يا أخى لا تنظر اليه .. دعه وحول عينك عنه »
قال : « ولكنى لا أستطيع .. انه وجه سوء ، لا يمكن أن
يكون هذا الرجل من أهل الخير .. انه ممن لا يؤمنون على
القصر والأيتام والآرامل .. هذا الرجل لا بد أن يكون منطويا
على أسرار يكره أن تداع .. لأن وجهه ناطق بأنه شرير .
فلو قمت اليه الآن وهمست فى أذنه انى أعرف سره الذى
يجاهد لاخفائه ، ألا تظن انه يفرغ ويضطرب ويشترى
سكوتى بأى ثمن ؟ »

قلت : « أها !. أهذه طريقتك ؟. أتريد ان تبتز المال من الناس بهذه الوسائل ؟ »

قال : « المصيبة انى لا أستطيع .. تنقصنى الشجاعة ، ولكنى واثق انى أنجح اذا استطعت أن أصنع هذا .. ومع ذلك لكل انسان سره القبيح .. ولو أن واحدا جاء الى ووقف على رأسى الآن وحذف فى وجهى ، ثم هز رأسه هزة العارف بكل ما هناك ، ثم قال : انى أعرف سرى يا احمد ، لما وسعنى الا أن أضطرب .. على كل حال يظهر أنه لا فائدة .. لا أمل فى مال كثير نحصل عليه بالسرعة اللازمة »

قلت : « صدقت لا أمل »

قال : « خسارة .. سأظل أتحسر لأنى لم أجد الشجاعة الكافية للوقوف على رأس هذا المجرم - هو مجرم ولا شك - وأبلاغه انى أعرف باطنه كما أعرف ظاهره البادى لنا .. خسارة .. نهايته .. نقوم ؟ » . قلت : « تفضل »

ودفع الى الخادم ثمن الطعام وخرجنا ..

وقلت لصاحبى وأنا أودعه : « على فكرة .. من قبيل الاحتياط للمستقبل ما هو الجواب الصحيح أمام اللجنة ؟ »

قال : « آه .. انفق ما فى الجيب يأتك ما فى الغيب »

قلت : « أهو ذاك ؟ .. أما ما فى الجيب فلست أحتاج فى أمر انفاقه الى التكلف .. وأما ما فى الغيب فهل تعرف متى يأتى ؟ »

فاشار لى بيده .. ومضى عنى وهو يضحك

تفيدة

A stylized signature or calligraphic mark, possibly a name, written in dark ink. It consists of several overlapping, fluid strokes that form a complex, abstract shape.

نشأت في بيت لم أكن أجد فيه من يكلمنى ، لا لقلة في أهله ولا لبكم يعقد سنتهم .. بل لأن مشاغلهم كانت تصرفهم عني . فهذه جدتى ، لأبى ، كانت لاتفارق السجادة - أو القروة على الأصح - وفي يدها السبحة التى لا أذكر أن الخيط الذى ينظم حباتها انقطع ، وشفتاها لا تكفان عن الحركة والتمتمة بما لا أعرف من الادعية والصلوات على النبى . وما أكثر - وأطول - ما كنت أقعد أمامها محذقا في هاتين الشفتين الدائبتين دؤوب الليل والنهار . وكانت ربما التفتت الى فتبسم وتدنينى منها وتمسح لى راسى ، ثم تبسط يديها بالدعاء الى الله بصوت يبريه الضعف وتبجه الحسرة ويهدجه الألم والأسف لما صرنا اليه بعد وفاة أبى ، ثم تربت على كفى وتميل على وجهى الصغير بفمها الأدرد وتقبلنى ، فتخرج شفتاها صوتا كهذا «مق» . وتلك أمى لا تزال مصروفة عنا بشئون البيت من طبخ وغسل وكنس ونفض ، ومن حمام تسقيه وتطعمه ، ودجاجات لا تنفك تجس حوصلاتها أو تصبغها لترى أفيها أم ليس فيها بيض أو تنتف ريشها . وكثيرا ما كنت أقف أنظر اليها وهى تتناول فراخ الحمام وتزقزقها ، أى تمج فى مناقيرها الماء والحب .. ولا آخر لعمل السيدة فى البيت . ولم يكن لنا فى ذلك الوقت خادمة ، وكانت أمى تنهض بالأعباء كلها اقتصادا فى النفقة .. فكانت هى تطبخ الطعام ، وتكنس الغرف ، وترتب الأثاث ، وتخيظ لنا الثياب ، وتصنع كل شئ الا أن تخرج لتشتري الأشياء التى نحتاج اليها لطعامنا . فقد كان رجل من أتباع أقاربنا الذين يقيمون فى أجنحة أخرى من هذا البيت الكبير ، يقوم لنا

بذلك . وكانت عمّة أبى معنا ، ولكنها كانت عجوزا ناهزت
المائة . . وكانت تجلس وساقاها ممدودتان امامها ورأسها
مستند الى وسادة ، ولسانها لا يمل الدوران ، وكان كلامها
هذيانا فكنت اضحك منها أحيانا ثم أمل ذلك فأتركها
لهذرها الذى لا ينقطع

وكنت اذا شعرت بالشوق الى مكالمة احد ، انحدر الى
فناء البيت . . وكانت فيه غرف كثيرة ، يقيم فيها أتباع
الشيخ قريينا ويحيون الليل بقراءة الأوراد . وكانت هناك
ايضا مية ومصلى ، فكنت اذا رايت الشيخ مقبلا اندس
بين المصلين واروح أقف وأركع وأسجد كما أراهم يفعلون .
ولكن هؤلاء كانوا يرونى صبيا صغيرا ، فينظرون الى
ويبتسمون - لأن أفواههم مشغولة بالتمتمة - ولكن
لا يكلموننى . غير أنه كان هناك فى أكبر غرفة فى الفناء ،
رجل ليس من الأتباع ولا هو يعنيه أمرهم أو يشاركونهم فيما
يصنعون . ولا أدري الى هذه الساعة كيف سكن هذه
الغرفة . . فما كان يعطى الشيخ شيئا ، وكان الشيخ
يستنكف أن يؤجر بيته أو بعضه . وكان هذا الرجل يصنع
أزرار الطرايش ، فكان يطيب لى أن اجلس اليه لأحظه
وأحادثه أو أستمع الى حديثه وقصصه وكان يحادثنى
كأنى رجل كبير لا طفل صغير ، وكان يبرم خيوط الحرير
المصبوغة ويفتلها ويعقد أطرافها ويجمع كل بضعة خيوط
معا ثم يشينها ويربطها ويصمغها ويدقها على قالب من
القوالب التى تتخذ لى الطرايش . وكانت لهذه الخيوط
رائحة لا أزال أذكرها ، وانى لأجدها الآن فى أنفى وأنا اكتب
ذلك . وقد علمنى صناعته ، فكان يدع لى الخيوط فأفتلها
وارتبتها وأعقد أطرافها وأفعل مثل ما أراه يفعل بالمدق على
القالب . ثم يعود الى فينظر فيما صنعت ويصلح لى
اخطائى ، أو يشنى على حذقى . وكان يكل الى ذلك كلما قام

لاعداد طعامه أو خرج لشرائه . وفي وسعى أن أقول
بلا مبالغة انى قلما تعشيت الا معه ، فكنت اصعد فأجىء
بطعامى واضيفه الى ما عنده ، فنأكل معا . ولكنى لم أكن
أصنع هذا الا اذا كان عندنا طعام يليق أن يقدم الى غريب . .
أما اذا كان فولا أو عدسا أو ما هو من هذا القبيل ، فقد
كنت أخرج فأشتري زيتونات وشيئا من الجبن « والحلاوة
الطحينية » وأعود بها اليه ، فيؤنبنى على فعلتى وينهانى
عن العود الى ذلك ، فأصارحه بأن طعامنا الليلة فول أو
عدس وانى لا أحبه . فكان يحدث أن يقول لى انه
يحب هذا الطعام ، ويرجو منى أن اصعد وأجئ به شئ
منه ، فاستغرب . . . ولكنى أطيع . فلا عجب اذا كنت قد
أحببته والفته . ولم يكن أغرب من هذه الصداقة بين رجل
جاوز الأربعين وطفل فى التاسعة من عمره . وقد الفنى كما
الفته ، وتعلق بى كما تعلق به . . فكان ينادينى اذا أبطأت
عليه ، فأستبطنى النزول على الدرج وأركب الدراجين لأن
التزحلق عليه أسرع . .

وكانت له بنت أخت تزوره من حين الى حين . . رأيتها
أول مرة فى ليلة شتوية كثيرة المطر شديدة البرد ، وكنت
العب فى الحارة . . فلما أخذ المطر ينهمر فجأة ذهبت أعدو
الى البيت . ولمحت ، وأنا أجرى ، ضوءا فى غرفة صديقى . .
فاشتهيت أن أخبره أن السماء تمطر وأن الريح تعصف .
ودخلت الغرفة ثم وقفت على العتبة ، فما رأيت المصباح
المالوف وانما رأيت نارا موقدة ، وكانت السنة الذهب عالية . .
فرايت ، أول ما رأيت ، كفا بدت لى كأنها - ولسان النار
من ورائها - مرجان شفاف . وطالعتنى محيا فتاة صغيرة
على هذا الضوء المضطرب ، فرايت شعرا أسود يتوهج هنا
وهنا ، وضفيرتين فى طرفيهما خيوط من الصوف نسج
عليها الشعر واستراحتا على جانبيه الصدر ، وانفا فى

عزيبه نوء قليل ، وفي مارنه لين ، وفي أرنبته انشاء الى فوق ، وعينين ضيقتين مائلتين بعض الميل . وكانت الحدقتان تلمعان كأنما تطلان من شقين ، وفي نظرتهما من وراء الاهداب الوطفاء معانى الرضى التام والسكون العميق والاعتباط الذى لاسبيل الى العبارة عنه . وكانت هذه المعانى على الفم أيضا ، وكانت الشفتان رقيقتين وفي العليا منهما نشلة بينة ، وهنة دقيقة نابتة فى وسطها ، وكانت عليها ابتسامة ابلغ فى العبارة عن السرور من الضحك المجلجل ، وكان خط الشفتين موازيا لميل العينين ، وقد خيل الى وأنا انظر الى هذه الابتسامة المرتسمة على الشفتين المتلامستين كأنما هى معلقة على ما تغضن على جانبى الفم ، وكانت صحيفة الوجه عريضة عند الوجنتين ولكنها تنتهى بذقن دقيق ، وفي الديباجة حسن ، وفي الخدين رى واسالة وبضاضة . أما العنق فطويل مستدير ، وأما الذراعان - وكانا معتمدين على الركبتين - فمستدقان

وقفت احدثق فى هذا الوجه الذى أضاءته لى النار المضطربة الخفاقة اللمعان ، وخيل الى وأنا أنظر انى لم ار قط أجمل ولا أبرع من هذا الحسن ، وراعنى على الخصوص ما على الوجه من آيات السرور الباطن . . فالفيتنى اتساءل : ماذا ترى يسرها وهى قاعدة وحدها تتدفأ ؟ . . ومن أين جاءت ياترى هذه السعادة التى تومض بها عيناها وتشى بها هاتان الشفتان الصامتتان ؟ وأحسست أن أنفاسى أسرع وأن الدموع تجول فى عينى ، فقد كانت الفتاة جميلة وكانت الروعة قد غمرت صدرى ، بل ملأ قلبى الخوف كأنما أشهد الحياة نفسها لا انسانا فانيا مثلى . وارتفع لسان النار فجأة وخفق ضوءها على محياها المبتسم ، فخيل الى أن الدم يجرى كالمجنون تحت جلدها الرقيق . وكانت هى ساكنة لا تتحرك ، ولا تزايلها ابتسامتها الهائلة المرتسمة

على عينيها الضيقتين المائلتين وفمها المطبق الشففتين .
نعم .. كانت الحياة تنظر الى من عينيها .. وبينيها
رايتها بعد ذلك مرة أو مرتين في نحو عام ، وعلمت من
صديقي - خالها - أنها يتيمة وأنها تقيم مع عمها وتزور
خالها أحيانا ، وأكثر ما تكون الزيارة في الصباح حين أكون
أنا في المدرسة .. ولكنها لا تبقى معه الا ساعة أو بعض
ساعة . وقد حاولت أن أكلمها ، ولكنني كنت أستحي أن
أطيل الوقوف معها أو الجلوس اليها ، وكانت هي تحدف في
وجهي ولا تطرف حين تكلمني ، ولا أذكر ما كانت تقول وإنما
أذكر كيف كانت لهجتها هادئة وحالها بادي الوثاقة .. كما
ينبغي أن تكون الحياة

وكنت أسألها أحيانا وأنا لا أجد كلاما أقوله لها غير
ذلك : « هل تلعبين الجبل ؟ » .. ولا أصفى الى جوابها ،
بل أروح أفكر في جمالها وأعجب له .. وأسأل نفسي مستغربا
ماذا وراء هذه العين ياترى ؟ .. لماذا أراها سعيدة دائما بلا
سبب أعرفه ؟ واشتهد أن أسألها عن ذلك ، ولكنني آنس
من نفسي جينا فأسكت

ومضت الايام وتعاقبت السنون وكبرت وعرفت الادب
والقراءة ، فصار كل ما أقرأه عن الحب في شعر الشعراء وفي
وصف الروائيين ، يدور حول ذكرياتي القليلة منها ،
وابتسامتها الساكنة ووجهها الجميل وسعادتها الهادئة .
وكان زملائي في المدارس يذكرون مغامراتهم ويتحدثون بها
ويباهون ، وكنت أنا أسمع وأسكت وأتغذى بأن هذا الذي
يلهجون به ليس من الحب في قليل أو كثير ، وأقول لنفسي
أنى أعرف ما لا يعرفون ، وأعرف ما أعرف بالتجربة . ومع
ذلك لم يخل هذا الصدر من أيامي مما يسمونه المغامرات ،
ولكنها لم تكن كثيرة أو باعثة على الرضى .. بل كانت على
النقيض سببا في السخط على نفسي واحتقارها ، فآليت

لانصرفن عن هذا العبث . واقبلت على الدرس والتحصيل
واشتغلت بالشؤون العامة ، فصرت احضر جمعيات الخطابة
بل الفت مع اخوان لى جمعية للخطابة . وعנית بقراءة
الصحف فكنت على صغرى اقرا كل يوم ثلاث جرائد
سياسية ، وكنا جميعا من انصار مصطفى كامل وعشاقه
فى ذلك الزمان

ثم جاءت الحرب العظمى ، فشغلنا بأنبائها وبالاختلاف على
نتائجها المحتملة وبالخوف على انفسنا من الجواسيس
والاعتقالات التى كنا لا نأمنها ولا نستطيع أن نعرف الطريق
الى اتقائها . . ولكن يوما من ايام تلك الحرب اذكره ولا أنساه .
وكان لى صديق داره قريبة من دارى ، ولم يكن معه أحد
فى بيته وكان السهر محرما بعد الساعة التاسعة ، فكنت
اقضى عنده السهرة فى الأغلب ، ولا سيما فى الصيف . .
فأرانى يوما مسدسا ورساصات ، فجعلنا نتدرب على
اطلاقها ونرمى بها باب الحمام ، ولم نكن نخشى أن يسمعا
أحد لأن البيت كان بعيدا عن العمار . ثم افترقنا ، واتفق
أن زارنى بعد ذلك ونسى عندى مسدسه . . ولا أدري كيف
كان يجترىء على حمله معه ؟ . . فوضعت المسدس فى درج
المكتب ونسيته فيه ، وتكدست فوقه الاوراق على مر
الايام . فحدث يوما أن جاءنى صديق وثيق الصلة بالسلطة
العسكرية ، وأخبرنى أن بيتى سيفتش الليلة . . فشكرته ،
ولم أعر الأمر اكترأنا . . لأنه ليس فى بيتى ما أخشى على
نفسى منه . فلما كان العشاء ، جاء ضابط انجليزى ومعه
من المصريين ضباط وجنود ، فدخلوا المكتب أول ما دخلوا .
ورأى الانجليزى الكتب الكثيرة على رفوفها ، فأقبل عليها
يتأملها . . فالفأها كلها كتب ادب ، فجعل يقلبها وينظر الى
ثم سألنى عن عملى ، فقلت : « مدرس » فاطمان واعتقد
مما رأى انى رجل مأمون الجانب ، وارسل المصريين يفتشون

بقية البيت ، ووقف هو معى فى غرفة المكتب ، ثم دنا من المكتب وجعل يقلب ما عليه من الاوراق المنتشرة بغير احتفال ، ثم فتح درجا وألقى عليه نظرة ثم رده وشد الدرج الثانى . . ولم تكن للأدراج مفاتيح ، فجمد الدم فى عروقى ، فقد تذكرت المسدس فجأة ، ولم أستطع من فرط الجزع أن ادعو الله أن ينقذنى . وكان الاعداء عقوبة من يحمل سلاحا كهذا بلا ترخيص - أو هكذا اعلنوا - ولكن الله سلم . . فرد الرجل الدرج ، وكان زملاؤه قد عادوا ، فحيا وانصرف وهو يبتسم . ولعله كان يعتقد أن تكليفه تفتيش هذا البيت سخافة مطبقة

وما كادوا يذهبون حتى أسرع الى المسدس ، فقدفت به فى بستان مجاور لبيتنا ، وتشهدت . . ولم أطق البقاء فى البيت بعد ذلك من فرط الاضطراب ، فخرجت أتمشى على غير هدى واذا بى فى بعض الطريق - طريق حدائق القبة - ألتقى بفتاتى القديمة . عرفتھا على الرغم من طول الزمن . . وعرفتنى هى كذلك ولم تتكرنى ، فصحت بها كالأبله : « تفيدة . . انت . . ؟ »

فابتسمت لى ابتسامتها القديمة الهادئة ولم تزد ، فقلت لها : « من أين ، والى أين ؟ » قالت : « الى البيت » فمشيت معها اليه . وكان شقة فى عمارة عند « المحمدى » فدعتنى الى الدخول فلم أتردد . . فأنا صديقان قديمان . ولم أر فى بيتها غيرها فلم أستغرب فانها يتيمة ، ولكنى لم أعرف من أين جاءت بهذا الاثاث الحسن وان كان قليلا وعلى قدر الحاجة ، واتفقت معها على يوم نخرج فيه للتنزه فى القناطر أو حديقة الحيوانات ، فهزت رأسها أن نعم . . فتركتها ولم أسألها عن حالها وكيف تعيش

والتقينا فى الموعد المضروب . . وكان النساء يتقنعن فى ذلك الوقت ولا يخرجن الا فى النادرة القليلة بوجوههن

سافرة ، فركبنا عربة يجرها جوادان هزيلان ، ومضينا الى حديقة الحيوانات ، وجلسنا على دكة منعزلة .. وقضينا أكثر الوقت صامتين ، ثم فتحت فمى فحدثتها عن الزمن الماضي وحبى الصبيانى لها ، وكيف طال عمر الحب وامتد الى الحاضر ، فلم تزد على أن تبسمت - كعادتها - وقالت : « لا أدرى لماذا أرى الناس يجنون بى »

فأحسست ان لوحا كبيرا من الثلج يوضع على قلبى .. الناس يجنون بها .. الناس .. اذن هناك مجنون .. أو مجانين بها غيرى . ودار راسى ، وذهبت أسأل نفسى عنها كيف تعيش . ولم يخطر لى هذا من قبل ، ولكنه خطر الآن نعم كيف تعيش هذه التى يجن بها الناس .. وأين وكيف ترى هؤلاء المجانين كلهم .. لا بد انهم كثر .. فمن أين يجيئون .. انى أنا صديق صباها ، فلا عجب اذا كنت أعرفها .. ولكن غيرى .. غيرى

وقطع على هذه الخواطر المزعجة سودانى فى ثياب الردنجات . وكان كهلا ، ولكنه يمشى معتدل القامة كالرمح .. فدنا منها وحيها باسمها وسألها عن حالها وعينه تومض ، فردت عليه برزانة وسكون ومن غير أن تفارقها ابتسامتها المطبوعة . ولم يطل الوقوف ، فمضى عنا وقد عرفت منها انه ضابط فى الجيش وانه الآن فيما يسمى الاستيداع ، وان بيته فى العباسية - قرب « المحمدى » فلم أقل شيئا ولكنى قلقنت - أو على الاصح زدت قلقا وصرت أناجى نفسى بأن لعل هذه طريقة حياتها ..

وتعددت المقابلات بيننا والخروج الى الحدائق العامة ، وكنت أعود بها الى بيتها فى الليل .. فتدعونى الى مقام قليل ، فألبى ونذهب نتحدث كأننا رجلان لا رجل وامرأة . فرأيت منها - شيئا فشيئا وعلى مر الايام - ما أقنعنى انها ليست الفتاة التى أحببتها فى صغرى ، وانها لا أكثر ولا أقل

من امرأة كغيرها من النساء . ولا أدري الآن وأنا اكتب هذه
السطور أى شىء كنت أحسبها قبل أن أتبين أنها ليست
سوى امرأة ، ولكن الذى أدريه انى ظلت أحبها على الرغم
من ذلك وانى جعلت احاول أن اقنع نفسى بأنها كما كنت
أتصورها - على الاقل فى حقيقتها الكامنة ، ولكن حبي
القديم لها تغير .. فلم يعد فيه تعلق بخيال ، بل صار
حبا لامرأة معينة . وليس فى هذا ما يدعو الى العجب ، فان
الرجل يحب المرأة لأنها امرأة ولأن فيها من بواعث الاغراء
ما يكفى لاثارة الرغبة فيها والتعلق بها ، ولكن هذا شىء
لم أكن قد تعلمته فى تلك الايام ، فرزقنى الله فى شخص
« تفيدة » معلما لا يفتر ولا يتردد ولا يترفق بالمثل العليا
وصور الكمال وغير ذلك من الافلاطونيات السخيفة . وكان
اول ما تعلمته - او من اول ذلك - أن من الممكن أن يحب
الرجل حبا عميقا طائفا امرأة لا يحترمها ولا يرى لها مزية
ولا ينطوى لها على اكبار أو مودة أو صداقة ، ولا يستطيع
أن يتفاهم معها ويشركها فى نفسه وخواطره وآماله ومخاوفه
وعواطفه .. امرأة لا يرى فيها الا انثى منحطة .. بل امرأة
يشعر بالشقاء وهو الى جانبها وبالمثل والضجر من قربها
وحدثها . نعم تعلمت ذلك .. وكان هذا لما تعلمته شيئا
فشيئا يبدو لى مدهشا ، ويخيل الى ان الحال فيه مقلوب
والآية معكوسة ، ولكنى الآن أضحك من نفسى وأسألها ولم
لا يعشق الرجل بالله امرأة كهذه .. واين ترانى كنت أعيش
يومئذ ، فلم أر ان كثيرين من الرجال يعشقون نساء ليست
لهن اية مزية .. نساء هن فى الحقيقة كوم عظيم من صنوف
الانحطاط .. ونساء يحبين رجالا ساقطين منحطين
لا يساوى الواحد منهم ملء أذنه نخالة . ولكنى كنت فى ذلك
الوقت أعتقد ان الحب شىء سام جدا ، وانه سماوى لا ينبغى
أن يخالطه الا الاعجاب والعبادة

وكانت كل لحظة اقضيها مع تفيدة ، تزيدنى ايقانا بانها
 عاجزة عن السمو بنفسها الى المرتبة التى وضعتها فيها فى
 حادثتى . وكان يزعجنى وينفص عيشى ويسود الدنيا فى
 عينى هذا التباين بين الواقع والصورة القديمة التى احتفظت
 لها بها فى نفسى . . وتغير حبنى لها كما قلت واشتهيتها
 وصبوت اليها ، ولكن هذا التحول لم يعفنى من التنقيص
 والعذاب . وقد كنت أخجل مما صرت أحسه لها ، وأعنف
 نفسى على ذلك وأزجرها عنه . وكانت هى ترى ضبطى
 لنفسى ورياضتها لها على العفة ، وتعلقى بخيالاتى وسخافاتى
 وأوهامى ، فتمتعض وتظهر لى التأفف والتبرم ولا تكتمنى
 الضجر الذى يثيره حديثى ، ولها العذر . وقد كنت ارتفع
 بالكلام عن طبقتها . . وأتركها على الارض ، واذهب أحلق
 فى أجواء لا تستطيع أن تذهب ورأى فيها . وكنت أنشدها
 ما أقوله فيها من الشعر ، فيسررها انها وجدت شاعرا يحبها
 كل هذا الحب ويتغنى باسمها ، وأن يقرأ الناس ما يقوله
 فيها وما يصف به وجده لها . ولعلها كانت ترى فى هذا
 اعلانا . . ولكنها لم تكن تفهم ما انظم او تقدره ، وكثيرا
 ما كانت تمط شفيتها ساخرة . وربما قالت لى : « الا
 تستطيع أن تقول كلاما حسنا » فأهز رأسى وأقول لنفسى
 انى وقعت وقعة سوداء ، وانى يجب أن أصد عنها فانها
 لا تصلح لى ولا اصلح لها لأنها لا تفهمنى . . ولا انا ايضا
 مع الأسف ، أستطيع أن أفهم هذه الطبيعة المادية التى يكون
 فيها الجمال ستارا لكل ما هو منحط . . وكانت تدعونى كل
 ليلة الى دخول بيتها حين نعود اليه ، وكنت البى فى بعض
 الأحيان . . فاقعد معها كالصنم من شدة الكبح ، فلا تلبث
 أن تشاءب فأقوم وانصرف فلا تعنى بأن ترافقنى الى الباب . .
 فيسوءنى ذلك ، ولكنى أراجع نفسى وأقول انه ليس بيننا
 كلفة فاننا صديقان قديمان . وقالت لى ذات ليلة ، وقد

دنونا من البيت : « لا تغضب اذا لم ادعك الى الدخول »
فسألتها بوقاحة : « هل هناك غيري ؟ » فلم يسوؤها ذلك
ولم يظهر عليها الامتعاض منه ، وقالت بابتسامتها الهادئة :
« يخيل الى انك لا تحب الوجود معي في البيت .. انك
شاعر ، تحب الرياض والبساتين والماء والسماء والنجوم ..
اليس كذلك ؟ » فضحكت وان كنت لم يفتنى ما في كلامها
من التهكم والزراية ، وحدثت نفسي ان هذه دعوة صريحة
لايليق ان اغضى عنها مخافة ان يؤدي الاغضاء الى القطيعة
والجفوة .. وكانت هذه مغالطة مني لنفسي ، فقد كنت أنا
أريد ذلك ولكنني كنت أصرف عنه نفسي وأفطمها بجهد ،
فقلت لها : « بل سأدخل الليلة - اذا سمحت بالطبع -
وسترين اني أحب بيتك كما أحبك »
قالت : « صحيح ؟ .. »

وأحسست من نبرة صوتها أنها ارتاحت الى كلامي ،
وانها استغربت به في الوقت نفسه .. ودخلنا ، وأغلقت الباب
وراءها كعادتها .. فلم أمهلها بل طوقتها بذراعي في الدهليز
وقبلتها على خدها ، فأدارت وجهها ومنحتني فمها ..
وكنت أسخط على نفسي بعد كل ليلة وأرميها - نفسي -
بالانحطاط ، ولكنني الفت ذلك - فصار الأمر عادة كالتدخين
وغيره مما يعتاده المرء ويتأفف منه ويود لو كف عنه ،
ويمضي فيه مع ذلك ولا يكلف نفسه جهد المقاومة وعناءها .
وبقيننا هكذا زمنا غير قصير ، وعرفت ان لها أصدقاء غير
قليلين .. فقد كنا نلقاهم في الطريق ، فيومئون اليها
بالسلام فتبتسم لهم ، ولكنهم كانوا لا يدنون منها ولا يكلمونها
كما فعل الضابط السوداني في حديقة الحيوان . ولم أكن
أعيا بذلك ، فقد كنت أرى اني منفرد بها وان كنت لا أعلم
ماذا تصنع في غيابي ، فما كان يسعني أن اظل معها كل
ساعة . وكنت أروض نفسي على الاطمئنان والثقة لحاجتي

اليهما ، لا لأنى واجد ما يدعو الى الثقة والاطمئنان ..
ولم يكن هذا المنطق يقنعنى أو يريحنى ، ولكنه كان
المنطق الذى اضطرتت اليه .. على أن الأمر لم يطل ، فقد
جاء يوم اعتذرت لى فيه بأنها مسافرة .. فاستغربت ، فما
أعرف لها من تسافر اليه ، ولكنى سكت ولم أقل شيئا .
ورأيته بعد أيام ، فسألته عن رحلتها ورجوت أن تكون
كما أشتهى لها .. فقالت بضجر متكلف لم يخف على :
« أوه أبدا .. كانت رحلة مملة .. انك تعرف هؤلاء
الفلاحين وكيف يعيشون .. ليس فى حياتهم أى تسلية »

ومضت أيام ، فعادت تعتذر من التخلف عن لقائى لأنها
مدعوة فى بيت صاحبة لها . فلم أجادل ، وتركته ، وتكرر
بعد ذلك الاعتذار ، وتوالى انقطاعها عني . وكنت أحيانا
أقسم أن أهملها وأبقى أياما لا أسأل عنها ، لأعرف أعادت
أم هى لاتزال مع هؤلاء الذين ظهروا فجأة فى حياتها ، ولم
أسمع بهم مرة واحدة قبل ذلك كل هذه الشهور . وأحيانا
كنت أضعف فأذهب الى بيتها .. فتفتح لى وتلقانى كأنها
كانت معى قبل ساعة ، ولا تسألنى لماذا غبت ولا ماذا
كنت أصنع وكيف كنت أقضى الوقت .. لا .. لا شيء
من هذا على الإطلاق ، فأشعر بالفصمة ولكنى أكتم الألم ..

وكنا قد دخلنا فى الشتاء ، وكنت أعرف انها لا تحب
أن تكون فى غير بيتها بعد العشاء على الأكثر .. فذهبت
الى قهوة قريبة من مدخل الحارة ، كى أرى ما يكون .
وانحدرت الشمس وأنا لا أرى شيئا .. نعم رأيت ناسا
كثيرين راكبين أو ماشين وباعة متجولين ومركبات الخ الخ ،
ولكنى لم أرها تدخل أو تخرج . وكانت نفسى لا تفتأ
تنازعنى أن أنهض منصرفا ، وكنت أحدثها بأن من السخافة
والحماقة أن أتعب نفسى بهذه الجلسة المضنية لأعرف
ما أعرف . وهل فى الأمر سر ؟ .. أليست قد ملتئمتى ونبت

بى وجفتنى واعتاضت منى سواى كائنا من كان هذا السوى؟ وما حاجتى الى علم ما أعلم؟ ولماذا احقر نفسى وامرغ وجهى فى التراب واضعه عند قدمى امرأة سوء كهذه؟ وأهم بالنهوض ولكنى احس انى قد سممت الى الكرسى أو لصقت به .. ويتجسد وهمى ويضحكنى امرى أحيانا ثم تغلبنى الكآبة والحزن - على نفسى وعليها - ثم أرانى غضبت وثرث وهاجت تقمى على هذه المستهترة التى لا تبالى ولا تدرك . ثم أراجع نفسى فأسألها : « ماذا تريدن منها أن تبالى .. أمن العدل أن اطالبها - أو أتوقع منها - أن تحفل ما لا تدرك ؟ » وأستسخف من نفسى أن أروح أنتظر من هذه العامية - على الرغم من انها تعلمت شيئا - أن ترتفع بنفسها الى حيث ارتفعت أنا . ثم أرجع فأقول ان المسألة ليست مسألة تعليم أو ثقافة ، وان كان التعليم يهذب ..

وانقضى النهار فى هذه الهواجس أو الخواطر ، واقبل الليل ومعه البرد .. فاحتجت أن أقوم وأن أتمشى لأشعر بالدفع ، فرحت أتمشى فى الحارة وعينى على بيتها وأنا فى حماية الظلام . فسمعت بعد قليل صوت باب يفتح ويفلق فدنوت على اطراف أصابعى فاذا هو بابها ، واذا الخارج منه هو الضابط السودانى . وكاد يختفى فى الظلام ، ولكن الباب فتح مرة أخرى وخرج منه صوت كهذا : « هسسس » فوقف الرجل وتلفت ثم كر راجعا ووقف أمام الباب . وكنت على مسافة مترين منه ، فادرت ظهرى اليه ولويت عنقى لأكون اقدر على السماع ، فسمعتها تقول له : « الساعة الثالثة تماما .. فانى أخشى أن يجيء ذلك الثقيل للسؤال عنى » فمشيت .. ولم أقف لأسمع رده

الحارب

دخل « سعيد الميداني » على مدير دار الكتب - حين
أذن له - وهو يحيى وينشر الجريدة التي كانت مطوية
تحت إبطه ، وقال وهو يقدمها له : « هل قرأت هذا يا بك ؟
ان الحملة واضحة التلفيق ، ولهذا جئت وفي مرجوى أن
أظفر منك ببيان للرد عليها »

فتناولها منه المدير وألقاها على طرف المكتب ، ولم يكتف
ضجره وهو يقول : « تفضل .. تفضل .. ان كل ما يعنى
رواد الدار هو أن يجدوا ما يطلبون - كل ما يطلبون -
فيها وأن يهتدوا اليه بسرعة وسهولة وبغير عناء أو تضییع
وقت . ومتى كان هذا حاصلًا فلست أبالي ما تكتب
الصحف أو يقول غيرها . وهذا حسبى وحسبك بياناً ،
فاذا اقتنعت به فذاك .. والا فأمرى الى الله ، فما أستطيع
أن أضيع وقتى فى الكلام الفارغ »

وكان أمامه وهو يقول هذا كتاب ضخيم وضع بين
صفحتين منه قلما أحمر غليظاً . وكان ينظر الى إحدى
الصفحتين ويشير بأصبعه الى سطور فيها كأنما يتلو منها
ما ينطق به . بل لقد خيل الى سعيد أن الأمر كذلك ،
ولكنه هز رأسه كأنما يريد أن يطرد هذا الخاطر ، فقد
استأذن من غير أن يبين الغرض من المقابلة . وكان سعيد
من أحدث خريجي كلية الآداب بالجامعة المصرية ، ومن
أنشطهم وأشدهم إقبالاً على التحصيل والإطلاع ونزوعاً الى
الاستقلال والعمل الحر . وخال فيه صاحب جريدة
« الأحوال » الخير من لمحاته ، وأنس الرشد من أعماله ..

فألحقه بمساعديه الكثرين ، وما لبث أن صار يعتمد عليه
في تعقب الأخبار وتقصى الحقائق

ورأى المدير أن سعيدا ينظر الى الكتاب الذى بين يديه ،
فمسح جبينه العريض بأنامله ثم قال : « على فكرة .. هل
عندكم فى « الأحوال » ملفات خاصة بترجمة المشهورين ؟ »
ثم كأنما تذكر أمرا ، فقال : « متى أسست جريدة
الأحوال ؟ »

فقال سعيد : « بعد الحرب العظمى .. سنة ١٩١٩ -
أو ١٩٢٠ »

وقال المدير : « اذن لا فائدة .. »

فقال سعيد : « هل تسمح لى أن أسأل ما هى الحكاية
لعلنى أستطيع أن أساعد ؟ »

فقال المدير : « الحقيقة انها مسألة غريبة .. كنت أمس
أقرا كتابا لعبد القادر التميمي ، وهو كاتب مصرى وشاعر
أيضا .. وان كان شعره قد ضاع باهماله - أو على الأصح -
لأنه هو أبى أن ينشره لأنه كان يستضعفه ولا يرى رأى
الناس فيه . وقد كان مشهورا منذ أربعين سنة ، ثم اختفى
فجأة ولا يدري أحد أهو حى فىرجى أم ميت فىبكي .. وقد
رجعت اليوم الى المستدرك - وأشار بيده الى الكتاب الذى
بين يديه - وهو كما تعلم الجزء الرابع من كتاب الاعلام
للزركلى ، فوجدت فيه نبذة عن الرجل فيها تاريخ ميلاده
وأسماء كتبه الى آخر ذلك ، وليس فيها تاريخ لوفاته .
والمفهوم من هذا بداهة ، انه كان حيا حينما صدر الجزء
الرابع من الاعلام - أعنى المستدرك . ولعل صاحب الاعلام
لم يقف على تاريخ لوفاته اذا كان قد مات ، ولكنه كان
حينئذ خليقا أن يذكر تاريخا تقريبا لوفاته على عادته .
لهذا أرجح ان الرجل كان حيا وقت صدور الكتاب . ولكن
المسألة تبقى مع ذلك بلا حل .. فهل هو لا يزال حيا .. أم

تراه مات .. واين .. هذه هى المسألة . ولست أعتقد
أن فى وسعك أن تساعدنى ، ولكن أدر المسألة فى خاطرك عسى
أن تهتدى الى شىء فتخبرنى .. اذا سمحت ولك الشكر »

ونھض واقفا ايذانا بانتهاء المقابلة .. ولكن سعيدا كان
مطرقا ، وكان يفرك جبينه بأصابعه ، فلم ير المدير يقف ..
فعاد ذلك الى مقعده على مهل وقد جال بذهنه أن لعل هذا
الشاب يعرف شيئا يستحق أن يصفى اليه ، وتنبه سعيد
ورفع رأسه وقال وعينه على السقف : « عبد القادر
التميمى ؟ اى نعم .. أذكر هذا الاسم ، وان كنت لم أقرأ له
شيئا . قرأت عنه ولكن لم أقرأ له ، وسمعت من أستاذنا
فى الجامعة أن الناس فى عصره كانوا فى حيرة من أمره ، وكان
أكثرهم لا يعرف له جدا من هزل .. وكان يتهمكم بكل شىء
.. كل شىء حتى نفسه . وكان أسلوبه جديدا فى بابہ فأخذ
الناس على غرة وكثر مقلدوه ، ولكنهم أخفقوا فأقصرُوا »
وهنا تلملم المدير ، فما كانت به حاجة الى من يصف له
الرجل .. وانما كانت حاجته الى من يدلّه عليه أو على
مكان قبره

ومضى سعيد فى كلامه غير عابىء بضجر المدير ، فقال :
« نعم .. وأذكر أن أستاذنا قال أنه رحل من مصر وخلف
أسرته بها ، وترك لها كل ما جمع من مال . وكان ابنه قد
كبر وصار ذا عمل يكسب منه رزقه ، ولم يرجع الأب بعد
ذلك .. ولكن من المحقق أنه لم يمِت وان كانت أخباره قد
انقطعت .. نعم أذكر هذا »

فقال المدير : « أوافقك أنت من ذلك ؟ »

قال سعيد : « كل الثقة .. ولكن أين هو .. لا يدرى
أحد »

قال المدير : « ولكنه اذا كان لا يزال حيا - لابد أن يكون

الآن قد جاوز الثمانين .. انتظر .. ولد .. ولد .. نعم ..
سنة ١٨٥٠ ، فهو الآن في السادسة والثمانين من عمره .
هل تظن ؟ ولكن .. السادسة والثمانين ؟ يا الله ! اتظن ..
انى لا أكاد أصدق .. لقد كان معروفا عنه انه مسرف في
انفاق حياته .. لايبالى أعاش أم مات .. فكيف يمكن .. »
فقال سعيد : « مثل هؤلاء الذين لايبالون أعاشوا أم
ماتوا هم الذين يعمرن »

فقال المدير وهو شارد : « ربما .. ربما .. ولكن ٨٦
سنة .. هذا عمر .. هذا .. »

فنهض سعيد ومد يده الى المدير ، وقال : « ساعنى
بالبحث .. واذا وفقت الى شىء فساخبرك »

فمد المدير اليه يده ، وهو يقول كالمحدث نفسه : « ٨٦
سنة .. اما لو كان حيا ؟ ولكن كيف يمكن ؟ كيف يمكن ؟ »



مضى شهران على هذا الحديث لم يسمع فى خلالها كلمة
من سعيد ، ولم يكف هو اثناءهما عن البحث والتقصى -
عبثا- فاقصر يائسا وصرف نفسه أسفا عن عبد القادر
التميمى . وكان جميل بك - أو اذا شئت اسمه كاملا ،
جميل بك أحمد القناوى - رجلا مخلصا عطوفا رقيق القلب ،
وقد شق عليه جدا ان يحدث فى القرن العشرين ان يختفى
أديب مشهور وان تنقطع أخباره نحوا من أربعين سنة ،
فتنساه الدنيا التى يسرها ويملؤها حبورا وجذلا ، ولا تعود
تعرف عنه حتى أبسط ما ينبغى أن يعرف : « أهو حى أم
تراه مات ؟ » . وكان جميل بك يرى أن هذه فاجعة انسانية
لأنه لم يشك فى ان اختفاء هذا الأديب وانقطاع أخباره
سببهما يأس عميق أخذ بالكاتب ، وهو مع ذلك الذى يرفه

بكتابتة عن الناس وينعش نفوسهم ويهذبها بفكاهته ويفيض على حياتهم البشر والسرور كما تفعل الشمس ، ولم يسهه الا ان يعجب لاختفاء رجل مشهور في عالم لا يكاد يختفى فيه شيء في هذا العصر ، ورجح عنده لهذا ان الرجل لا بد ان يكون قد لقي حتفه في أول مراحل هجرته - اذا صح ان تسمى هجرة - ولا يبعد ان يكون قد تنكر واتقى الا يحمل معه ما يدل على حقيقته . وأخلق به حينئذ ان يكون قد دفن حيثما اتفق بالاسم الجديد الذي تنكر به ، وهز جميل بك كتفيه ومط شفتيه ، ثم زفر زفرة طويلة وقال : « ايه لاحول ولا قوة الا بالله » وشرع يشعل سيجارة واذا بالتليفون يدق الى جانبه ، فتناول السماعة متثاقلا وقال : « نعم » ولكن ما عثم ان اعتدل في جلسته ، وصاح : « ايه ماذا تقول ؟ »

ولكن الذي خاطبه اكتفى بما قال ، فوضع جميل بك السماعة ، وقام يتمشى بسرعة ويشعل سيجارة ويضعها في الطبق وينساها ويروح يشعل غيرها حتى اجتمع في الطبق أربع سجائر بعضها أقصر من بعض وهو ذاهل عنها جميعا . وانه ليهم باشعال الخامسة ، واذا بالخادم - فقد كان في بيته - ينبئه ان « سعيد أفندى الميدانى » قد حضر ، فيقول له بلهفة : « ادخله .. ادخله » ويسبقه هو الى الباب

ويدخل سعيد أفندى ويده في يد جميل بك ، وهو يقول : « نعم وجدته .. في غرفة في ريع قديم في أعتق أحياء هذه المدينة .. أو هو من أعتقها .. »

فيقول جميل بك : « وكيف وجدته ؟ »

فيقول سعيد أفندى : « أوه .. هذه حكاية طويلة . وليس المهم كيف وجدته ، بل المهم انى وجدته . ويمكننى

أن أقول لك انى استعنت بابنه ، وقد كان اعتقاده انه مات
لا محالة ، ولكنى زعزعت له هذا الاعتقاد بعنف بل بقسوة . .
هل تعلم ان ابنه أحيل على المعاش منذ سنتين ، وان له
حفيدة تزوجت وولدت بنتا ؟ »

فيقول جميل بك : « ليس عجيبا أن يعتقد ابنه ان أباه
مات وشبع موتا ، ولكن كيف وجدته ؟ »

فيقول سعيد مرة أخرى : « لقد قلت لك ان هذه حكاية
طويلة »

فيقول جميل بك : « انما أعنى كيف حاله »

فيقول سعيد : « حاله . . وماذا تنتظر أن يكون حال
رجل قارب التسعين وأقعدته شيخوخته العالية عن العمل
. . فقر وضعف وعمش . . حال لا يعلم بها الا الله »

— ولكن كيف يعيش ؟

— كان يستعين به طابعو الكتب القديمة لضبطها وهم
يجهلون شخصيته لأنه يسمى نفسه عبد القادر ناجى . .
أليس اسما غريبا ؟ ان اختياره له يشى بثقته بالله وبحسن
المال على كل حال . . لقد أدهشنى منه انه لا يزال يبتسم
للدنيا ويؤمن بحسن حفظه في الحياة على الرغم مما هو فيه
من الفاقة الشديدة . . ولكن من يدري ؟ لعله قد خرف فهو
لا يقدر سوء ما هو فيه » . فسأله جميل بك : « ألا يعرف
أن ابنه موجود ؟ »

فقال سعيد : « يعرف . . ولكنه أبى أن يذهب إليه حين
عاد من رحلاته لأنه استكبر أن يجعل نفسه حميلة عليه ،
وخشى أن يأنف ابنه من الانتساب إليه اذا وقف على حالته
الزرية »

— وهل قابل ابنه ؟

— بالطبع .. وقال له حين رآه : من يصدق انك ابني ؟
انى ابدو اصفر منك .. على كل حال ، يمكنك دائما ان
تنسى انى ما زلت على قيد الحياة .. فما أشك في ان عشورك
على حيا صدمة لك بعد ان وطنت نفسك على موتى . واحسب
أن بعشى الآن قد خيب أملك في .. كذلك قال لابنه ..
مدهش .. ان ذهنه لا يزال حافظا لقوته .. قال لابنه في جملة
ما قال : انى لما كبرت كنت أقول : لو عاش أبى لما عاشرتة ،
لانى أستنكف أن أكون فرعا وأحب أن أشعر انى أنا أصل
مستقل بنفسه عما عداه وعما غذاه ونماه . ولكن ذهنه
يشرد أحيانا فيخلط في كلامه ، لانه يكر راجعا الى ذكرياته
الطويلة في حياته الحافلة ، من غير أن يشعر بالانتقال
أو الرجعة .. فتحس أنك تهت وضللت طريقك ، وقد تظنه
يهذى ولكنه ليس هذيانا بل كر الذهن الى الورااء فجأة بغير
انذار . ولما قلت له أنك تبحث عنه ، ضحك وقال هل يريد
أن يلفنى ويضعنى على رف .. وقال عن كتبه لما عرض
ذكرها : ان خيرها ما لم يكتبه .. ولا تزال أسنانه باقيا بعضها ،
وقد قال لى ان متانتها وسلامتها من الآفات هما السبب في
بقائه حيا الى الآن .. ولما قلت له ان من واجبه أن يملأ
مذكراته على بعضهم ، صاح بى : « أعوذ بالله يا شيخ ..
حرام عليك .. اتق الله فى يابنى »

فسأل جميل بك : « وماذا كان يعمل كل هذه السنين
الطويلة ؟ »

— أوه كل شيء .. قال لى انه لم يعيش لنفسه ساعة
واحدة أيام كان يشتغل بالأدب ، وان كل ما كان يرى نفسه
تشتهيه كان يرى أنه محروم منه . وكان مما يثقل عليه
جدا أنه لا يرى نفسه يفعل الا ما يكره فهو لا يحب المجالس
التي يكثر فيها الناس ولا يرتاح الى أحاديثها ولا يقتبط

بالزوار ويحب ان يشعر ان بيته حصن منيع لا يقتحم ،
ويود الا يجالس الا الذين يصطفيهم من الاخوان ويأنس بهم
ويطمئن اليهم ، ولكنه كان يجد - لسبب خارج عن ارادته
بل ضد ارادته - انه يعيش كما يعيش الناس ، ويفعل
ما يستثقل ، ويحرم ما يحب ، وقد كبر في ظنه انه سيظل
حياته هكذا . ولم يستطع ان يروض نفسه على السكون
الى هذه الحياة او ان يوطنها على احتمال هذا التقيد الذي
لا يعرف ماذا يفرضه عليه ، وشق عليه ان يظل هكذا ..
يعرف انه حر ولا ينعم مع ذلك بحريته ، فكره هذه الحرية
الظاهرية ، ومل السخط على نفسه .. وود لو انه مقيد
حقيقة بارادة غيره ليتسنى له على الاقل ان ينحى باللائمة
على هذه الارادة الخارجية ويجعلها غرضا لذمه وطفنه .
ولهذا فر من مصر والتحق بشركة اجنبية للملاحة ، وركب
على بواخرها البحار .. واقام في الموانئ مندوبا لها ، ثم ترك
ذلك وعمل وكيلا تجاريا يجوب المدن ويذرع الارض داعيا
مرغبا ، ثم انقلب مدرسا للغة العربية في بلاد الافغان حتى
اقعدته الشيخوخة ولم تقعه في الحقيقة ، ولكن الناس كانوا
يرون ان سنه علت فهم يزهدون فيه من اجل ذلك ويؤثرون
من هم ادنى منه سنا ، وكان قد جمع مالا في رحلاته الكثيرة
فصار ينفق من رأس ماله حتى قارب النفاد فعاد الى مصر
فدخلها ومعه نحو تسعين جنيا . . قال لى وهو يضحك انه
حدث نفسه انه ينبغي ان يموت بعد ان تنفذ ، فما له رزق
سواها . ولكنه كان يخرج ويتردد على المكاتب التجارية ،
فانس به اصحابها وادركوا انه عالم وان في وسعهم ان
يستغلوه ، فكان يضبط لهم الكتب القديمة التى يعيدون
طبعها ، وساعده ذلك على اطالة عمره ، فقد أغناه عن الانفاق
من رأس ماله او ما بقى منه . ومعنى ذلك عنده ان عمره
طال لانه يحسب عمره بما لديه من المال ، فعلى حسب كثرته

أو قلته يكون ما بقى له في الدنيا من السنين .. فهل رأيت أعجب من هذا ؟ »

فأطرق جميل بك شيئا ، ثم رفع رأسه وقال : « لا شك أن الامر عجيب ولكن ابنه .. ألم يأخذه بعد أن اهتدى اليه ؟ » فقال سعيد : « أوه .. أن الرجل شاذ كما تعرف وقد أبى كل الاباء أن يذهب الى بيت ابنه ، لأن هذا خليق أن يحدث في رايه اضطرابا لا داعى له في حياة ابنه . وقد أطل النظر الى البذلة الانيقة التي يلبسها ابنه ، ثم ألقى نظرة على الجلباب البسيط الذي يرتديه هو وأشار بيده المعروقة الى الثوبين ، وقال : « دعنى لشأنى ، فانه غير شأنك » ولم يزد بعد على الابتسام كلما ألح عليه ابنه في القيام معه »

فقال جميل بك : « والآن الا نستطيع أن نصنع شيئا لهذا الرجل الذى كشفنا عنه .. أن رجال الآثار يملأون الدنيا ضوضاء كلما وقعوا على حجر قديم ، أفلا ينبغى أن ننبه الناس الى حقيقة هذا الرجل الذى لا يزال حيا وان كان محسوبا في أهل القرون الخالية ؟ »

فقال سعيد : « بالطبع نستطيع .. يمكن مثلا أن نقيم احتفالا كبيرا في اكبر الفنادق ندعو اليه رجال الادب والعلم والصحافة وطائفة من كبار الرجال وتقدم اليهم صاحبنا .. غرابة الموضوع نفسه كفيلة وحدها بنجاح الحفلة »

فهمز جميل بك رأسه ، وقال : « لا شك .. ولكن صاحبنا لا يبالي هذا ولا فائدة له منه على كل حال ، وأنا أخشى اذا دعونا الى الاكتتاب أن لا نفوز بشيء يستحق الذكر .. فنكون قد أهنا الرجل بلا داع .. ثم من يدري .. فقد يأبى هذا وذاك .. »

فقال سعيد ، وهو ينهض : « أقول لك .. دع هذا الى والله الموفق »

لم يكن الاستاذ عبد القادر التميمي يبرح بيته ، وكان

يجلس طول النهار على سريريه الضيق تحت النافذة ويطل منها ولا يكاد يحول عينه عنها . ولم يكن يرى شيئا في الحقيقة الا اشكال المباني القريبة ، وذلك لضعف بصره . . ولكنه لم يكن ينظر ليرى شيئا ، ولا كان يعنى بأن يرى أو ان تأخذ عينه المناظر ، وانما كان يحدق كالذاهل . وكانت أسارير وجهه المتجمد تنبسط أو تعمق الاخاديد التى حفرها الزمن ، فيخيل الى الناظر اليه أن هذا وقع ما يشاهده . ولكن الحقيقة كانت خلاف ذلك وعلى نقيضه ، فما كان يبصر شيئا وانما كان يدير عينه فى قلبه اى فى ماضيه ، فيبدو عليه السرور أو الالم أو غير ذلك ، كما يبدو على وجه من يشاهد قصة معروضة فى دار السينما . وكان سعيد يزوره كل يوم مرة - وأحيانا مرتين - فى اليوم ويصفى اليه اكثر الوقت ، وهو يهضب ويسح بذكرياته التى لا آخر لها وقال له مرة : « ما رأيك يا أستاذ . . أن خبر عودتك قد شاع وذاع بين الادباء ورجال الصحف وكلهم متلهف على رؤيتك »

فقال بايجاز : « فليتلهفوا » . فقال سعيد : « ولكنهم لا بد أن يصلوا اليك فى النهاية . . كما وصلت أنا . . ولا سبيل الى صدهم » . فتجههم الرجل وقال : « ولكن يجب أن يمنعوا . . ان المكان لا يليق . . ما العمل . . أشر . . » قال : « اسمع منى واطعنى . . خير ما يمكن أن نصنع هو أن يروك كلهم دفعة واحدة » . قال : « ولكن كيف يتسنى ذلك . ؟ هذا مستحيل » قال : « كلا . . الضرورة تفتق الحيلة . . وقد رأى المعجبون بك أن خير ما يصنع هو أن يقيموا حفلة يدعون اليها الادباء والعلماء ورجال الصحف ورجال الدولة أيضا . . فنفرغ من الامر كله فى ساعة » . قال : « ساعة . ؟ يا حفيظ . . » قال : « هذا أهون من أن تظل كل يوم ساعة معرضا لحضورهم الى هنا وازعاجك . . فكر . . » قال :

« صدقت .. ولكن حفلة . ؟ حفلة . ان هذا صعب »
قال : « لماذا .. اين الصعوبة ؟ ما عليك الا ان تحضر
وتجلس معهم ساعة أو بعض ساعة ثم ننصرف جميعا ،
وكفى الله المؤمنين القتال »

فاطرق الرجل قليلا ثم قال : « ولكنى لا أريد ان اختصر
حياتى .. انى أستطيع ان أعيش . دعنى أنظر .. »
فعالجه سعيد حتى صرفه عن التفكير فيما تكلفه الحفلة
من النفقات للشباب ، فقد كان هذا هو الذى يفكر فيه
ويستثقله خوفا على عمره

ولكن المشكل لم يحل مع ذلك ، فقد كان ابنه على بك
— فقد صار بيكا — عبد القادر التيمى ، فى حيرة شديدة من
أمره من جراء عناد أبيه .. فانه — أى على بك — رجل ذو
مركز ومقام فى المجتمع ، وقد زوج ابنته منذ عهد قريب
لرجل له مركز ومقام فى المجتمع أيضا ، وليس يليق أن يكون
أبوه — أى أبو على بك — هذا الرجل الرث الهیئة الزرى
اللباس الرقيق الحال الساكن فى غرفة حقيرة فى ربع عتيق
أو جديد اذا أمكن أن يكون هناك ربع جديد — وقد استطاع
ان يرجى لقاء بنيه ونسيبه لهذا الاب الذى جاء من حيث
لم يكن يحتسب ، فقد زعم لهم أن العثور عليه أو الاهتداء
اليه أحدث له رجة عصبية يحسن معها اتقاء ازعاجه الى
حين . ولكن الصحف بدأت تكتب وتفيض ، ولا سبيل الى
كبح الصحف أو صرفها عن الموضوع .. فما كل يوم يختفى
أديب كانت له شهرة واسعة ، ثم يظهر بعد أربعين سنة .
وقد حرص جميل بك وسعيد أفندى على اخفاء مسكن
الرجل ، ولكن الصحف لا يسعها أن تصبر على ذلك . ومن
حقها أن تعرف أين يسكن أو يقيم والا كانت معذورة اذا هى
استرابت فى الامر كله . أضف الى ذلك أن حفلة ستقام
ويشهدها مئات من الخلق . وقد كانت فكرة الحفلة هى التى

اعانت جميل بك على اقناع الصحف بالصبر والانتظار ،
وجعلت الموضوع شيقا وخليقا ان يجد القراء فيه مثل لذة
الاساطير . ولكن هذا لا يمكن ان يدوم ولا مفر آخر الامر من
كشف الحقيقة كلها ، فما العمل ؟

لهذا لجأ الى سعيد وجميل بك ورجا منهما ان ينقذاه
ويحولوا دون الفضيحة التى يجزع منها ولا يعرف له قدرة على
احتمالها ، فاتفق الثلاثة ان يحملوا الرجل - ظهر يوم الحفلة -
بعد ان يلبسوه بذلة الى بيت ابنه ، ومن هناك يذهبون به
الى الحفلة فى المساء



وجاء يوم الاحتفال ، فذهب اليه سعيد بعد الظهر ومعه
ثياب اراد ان يلبسه اياها . . فأبى واستكبر وغضب ايضا ،
وقال انه ليست به حاجة الى ثياب ولا الى أحد من الناس ،
وانه لا يريد ان يحضر هذه الحفلة أو يرى وجه انسان ،
وانه ما يعيب ثيابه على كل حال ؟ . اليس قد قابل بها
الناس فى مصر وفلسطين والشام والحجاز والأفغان والعراق
وايران . . فاذا كانت لا تكفى هؤلاء المعجبين به والذين
يريدون ان يحتفوا ببعثه ، فانه يحسن بسعيد ان يحمل
اليهم ما جاء به من الثياب على مشجب ، ويقول لهم ان
هذا ما يطلبون وهو كل ما يستحقون ان يروا

ولم يقل هذه الالفاظ بعينها ولا ما يقرب منها ، بل فاه
بما هو أعنف . وكان صوته متهدجا وكلامه متقطعا ، وكانت
لحيته الطويلة الكثة تضطرب واسنانه الباقية تصطك ، فلم
يجد سعيد بدا من السكوت والكف عن الإلحاح عليه بعد
أن وضحت له قلة جدواه ، وسأل الله فى سره الستر
والسلامة فى هذه الليلة

وخرجا من الغرفة .. سعيد في ثيابه الافرنجية التى
يلبسها الافندية من أمثاله ، والأستاذ التميمى فى جلباب
قضفاض وجبة قديمة وحذاء أصفر صارت الرقع فيه
أكثر من الأصل فكأنه مركوب أبى القاسم ، وطربوش
مصرى سوى أنه طرى وعليه لغة كانت فى الأصل مزركشة
فأصبحت ألوانها حائلة باهتة

وكان سعيد قد جاء فى مركبة وتركها تنتظر فى الطريق
إمام الباب ، فأحاط بها غلمان الحارة .. هذا ينط على
السلم وذلك يعبث بالغطاء ويطويه وينشره ويكرر ذلك
مرات ، والسائق يصيح بهم أن يكفوا ويلعن الساعة التى
دخل فيها هذه الحارة ، ويقرقع بسوطه ليزجرهم ويخيفهم
فينفضون متضاحكين ثم يعودون الى غيهم حتى كاد
عقل السائق يطير . فلما ركب الرجلان راح الغلمان يجرون
وراء المركبة ويتعلقون بها من خلفها ويصيحون ، والسائق
يلوح لهم بالسوط ويضرب به ظهر الغطاء حتى خرج الى
الطريق العام

ولا نطيل .. ولا نحاول أن نصف لقاء الرجل بأحفاده ،
فقد خاب أمل الأسرة كلها حين رآه أعضاءها وأخذت
عيونهم الفاحصة قدم الثياب ورثاتها . وكان ابنه أعظمهم
خيبة أمل وأشدهم قلقا واضطرابا ، ولا سيما حين عرف
أصرار أبيه على هذه الثياب الوضيعة المخجلة حتى لاشفق
عليه سعيد أفندى أن يفلج ، فراح يحاور الأستاذ التميمى
ويداوره مرة أخرى عسى أن يهديه الله .. ولكن الرجل
كان جبلا لا يتزعزع ، ولما قال : « انا كما انا .. فمن كان
يقبلنى على علاتى فأهلا به ، والا فانى أرجع الى غرفتى ..
فما طلبت أن أجيء ولا أردت أن يعرف ابنى أو سواه انى
على قيد الحياة » ، عندئذ أمسك سعيد أفندى وأقصر

وكانت الحفلة فى فندق من اكبر فنادق المدينة وفى أوسع

قاعاتها ، وقد دعى إليها - أو على الأصح اشترك فيها - نحو مائتين من رجال الأدب والعلم والصحافة والحكم والوجاهة . وكان أكثرهم قد بكر وجاء قبل الموعد . . وجاء غير المدعويين - أو المشتركين - كثيرون ، وقفوا بحيث يرون الداخلين ، واحتشد جمهور غفير على الرصيف ليروا هذا الأديب الذي بعث بعد أربعين سنة ، والذي دأبت الصحف عدة أيام متوالية على الكتابة عنه . واستعد المصورون لاستقباله وتصويره في القاعة الكبرى بالالتهم ومصايحهم القوية

ثم أقبل أحد الشبان يعدو ، وقال : « جاء الاستاذ » ، فساد السكون وانقطع حتى الهمس وتعلقت الأنفاس واشربت الأعناق ، واتجهت العيون الى الباب لرؤية هذا الذي كانما قام من القبر . ودخل الاستاذ في الثياب التي أبى سواها ، وقد أخذ بذراعيه جميل بك وسعيد أفندى ، وأقبل ابنه وراءهم . ولكن الناس لم يعيروا الابن أدنى التفات وانما كانت عيونهم على هذا الرجل الهرم ذي الثياب العتيقة واللحية البيضاء والجبين المقطب والعين الثابتة للامعة وان كانت لا ترى الا قليلا . وكان قد ثقل عليه ما رأى من ابنه ، فآلى ليرجعن الى غرفته . وعرض جميل بك المدعويين على الاستاذ بأسمائهم ، فصافحوه واحداً بعد واحد حتى كاد ينخلع ذراعه وان كانوا جميعا قد ترفقوا به وحرصوا على الاكتفاء بلمس راحته . ولم يبد عليهم ما خشيه ابنه من الاشمئزاز أو الاستخفاف ، حين تقع عيونهم على ما هو فيه من الهلاهيل

وأديررت ألوان الطعام ، فكان الاستاذ يسأل عما يعرض عليه ، ما اسمه وكيف يصنع . . ولا يتناول الا بقدر . وكان المدعوون في أول الأمر يحدجونه بعيونهم ، ولكنهم ما لبثوا أن انصرفوا الى الطعام والحديث . ولكل شيء

آخر - انتهى الاكل وبدأت الخطب والقصائد والاستاذ مطرق كأنه يصفى ، وكان يهز رأسه من حين الى حين كمن سره شيء - او ما يسمع

وانتهى هذا أيضا على طوله ، فهمس جميل بك فى اذن الاستاذ : « ألا تحب أن تتفضل بكلمة ترد بها عليهم »

فقال الاستاذ مستغربا : « أنا ؟ .. أقول كلمة ؟ .. أرد على ماذا ؟ .. الحقيقة أنى لم أكن مصفيا .. لم أكن مصفيا .. لم يكن بالى اليهم »

فدعر جميل بك - فما كان يتوقع هذا - وقال : « ولكن يا أستاذ .. لا بد من كلمة .. لا نستطيع أن نقول لهم أنك لم تكن مصفيا الى كلامهم .. أرجو يا أستاذ .. كلمة شكر قصيرة .. القليل منك كثير »

فهز الاستاذ كتفيه ، وقال : « ان هذا غريب ! لقد كنت أفكر فى ليلة قضيتها فى كهف .. »

فقال جميل بك مقاطعا : « فيما بعد الحفلة نسمع ما كنت تفكر فيه .. لا بد أنه كان شيئا غريبا .. ولكن الآن .. أرجو يا أستاذ »

فالتفت اليه ، وقال : « ماذا قلت انهم كانوا يقولون ؟ .. أنى لم أكن مصفيا »

فقال جميل بك : « كانوا يثنون عليك ويمدحونك ويذكرون كتبك العديدة ويصفون ما فيها .. كلام كثير يصعب أن ألخصه لك الآن . أنا أيضا قلت كلمة ولكنك لم تسمع مع الأسف .. نهايته .. لا بد من الرد ، فاصنع معروفا »

وكان سعيد - خلال المعضلات - قد أدرك وهو فى مكانه أن فى الامر شيئا ، فخف الى جميل .. فلما عرف المسألة انحنى على الاستاذ ، وهمس فى أذنه : « ان هؤلاء الناس

خليقون ان يتوهموا اننا ضحكنا عليهم أو اننا مخدوعون ،
وانك لست الاستاذ التيمى وانما انت رجل غيره ينتحل
اسمه ، فقم قل كلمة والا . . » ولم يتمها فقد نهض الاستاذ
معبسا ، ورفع رأسه كأنما يحاول أن يقيم ما قوسه الزمن ،
وكانت لحيته تضطرب ، وشفته تختلج ، وكفاه لا تثبتان
على المائدة التى وقف معتمدا عليها ، وظل هكذا نحو
دقيقة كان من الواضح فى اثنائها أنه يعالج نفسه ليردها الى
السكون ، ويحاول أن يضبط اعصابه ويقيء بها الى الاتزان
ثم فتح فمه ، وقال بصوت خافت : « أيها السادة » وسكت
شيئا وثبت حملاقه فكأنه تمثال نصب فى مكانه ، ثم ابتسم
فجأة وبدا يتكلم بلا توقف . ولم يشكرهم كما رجا منه
جميل بك ، بل قال لهم فى صراحة سرت فريقا وساءت
آخرين ، أنه وجد بالتجربة الطويلة أن من العسير أن يهرب
المرء فى هذه الدنيا من الناس - ومن الأدب والأدباء وعشاق
الأدب على الخصوص - المخلصين والمتكلفين والذين يظنون
يوحون الى نفوسهم أنهم يحبون الأدب حتى يؤمنوا بذلك .
كلا ، لا سبيل الى الهرب . . وطالب الفرار لا بد له من
الجرى الطويل والذهاب الى أبعد مما كانت الحاجة تدعو اليه
قبل نصف قرن . وهو يتكلم عن خبرة فيجب أن يصدقوه ،
بل ان وجوده الليلة بينهم دليل ماضى على تعذر الهرب فى
هذا الزمان الذى امتد به العمر اليه . وكيف يهرب
الانسان ؟ الى أى مكان يذهب وكل مكان فيه ناس ؟ .
وقد صار الناس أكثر والاتصال بينهم أسرع وأسهل . .
ومن أى مكان يهرب ؟ ان الهرب الصحيح مستحيل . .
وقد يستطيع المرء أن يعيش فى الصين ، ولكنه لا يستطيع
أن ينكر أو ينسى أن القاهرة والاسكندرية ودمشق والقدس
موجودة . والهرب من الزمان أصعب . نعم يتوهم المرء أنه
يعيش لا فى الحاضر بل فى المستقبل وللمستقبل ، ويروح
يعزى نفسه عما هو كائن بما يزعم أنه سيكون ، ويذهب

يعمل ليقلب الدنيا ويجعلها كما ينبغي أن تكون ، « انى اؤكد لكم انى اعرف هذا . فقد فعلته - اعنى توهمته - وعشت فى سكرة طويلة ونشوة مستمرة وحلم دائم بما سيكون »

وقال لهم ان هذا كله عبث فى عبث ، واكد لهم انه لا مسوغ على الاطلاق لأن يفترض الانسان أن للجنس الانسانى مستقبلا . . هذا أولا . وثانيا أن ما نسعى له ونلح فى طلبه أو تمنيه ، قد يكون مستحيل التحقيق . وهب أن تحقيقه ميسور ، فقد يتبين أنه ليس مما يسيغه أو يرتاح اليه أو يرضى به الجنس الانسانى . وسألهم هل هم يعتقدون أن الانسان ينشد السعادة ؟ . ولو كانت السعادة الدائمة الخالدة التى لا تزول ولا تتغير ممكنة ، ألا يستفطعها الانسان ويفرق من تحقيقها ؟ . على أن التفكير فى المستقبل والسعى له لا يمنعان أن الحاضر موجود وأنه مؤثر بوجوده . . وهناك مهرب آخر اذ يتعلق المرء بالمثل العليا وصور الكمال ، ولكن اللجوء الى الخيال لا ينفى الحقائق المحيطة بالانسان . وانتهى الى أن المهرب الوحيد الصحيح لا يكون فى الحياة وهذا لا يعد مهربا ، لأن المرء لا يشعر به ولا ينعم بادراكه أنه استطاع الهرب . . ولو كان هذا مهربا حقيقيا للجأ اليه ! وابتسم وقال انه يرجو أن لا يلجئوه الى هذا الذى ليس مهربا . .

واستطرد بطريقة ما الى كتبه وما يلقى التكريم من أجله ، فقال انه واثق ان أكثر الموجودين لم يسمعوا باسمه ، ولم يكونوا يعلمون أن له كتبا ، وأن الذين قراوها فهموا منها غير ما أرادوه ، وقد يكون هذا عيبه هو كما قد يكون عيبهم هم ، ولكنه الواقع على كل حال . والمجتمع لا ينتظم أمره الا بالمعاملة وهى شىء حسن فى ذاته ، ولكنه هو فرغ من ذلك كله وأخرجته سنه من المجتمع واعفته من ضروراته . وهو ليس من هذا الزمن ، فيحسن أن يرتد ويتراجع الى ما أخرجوه منه لأنه ليس الا قطعة متخلفة من زمن سابق ،

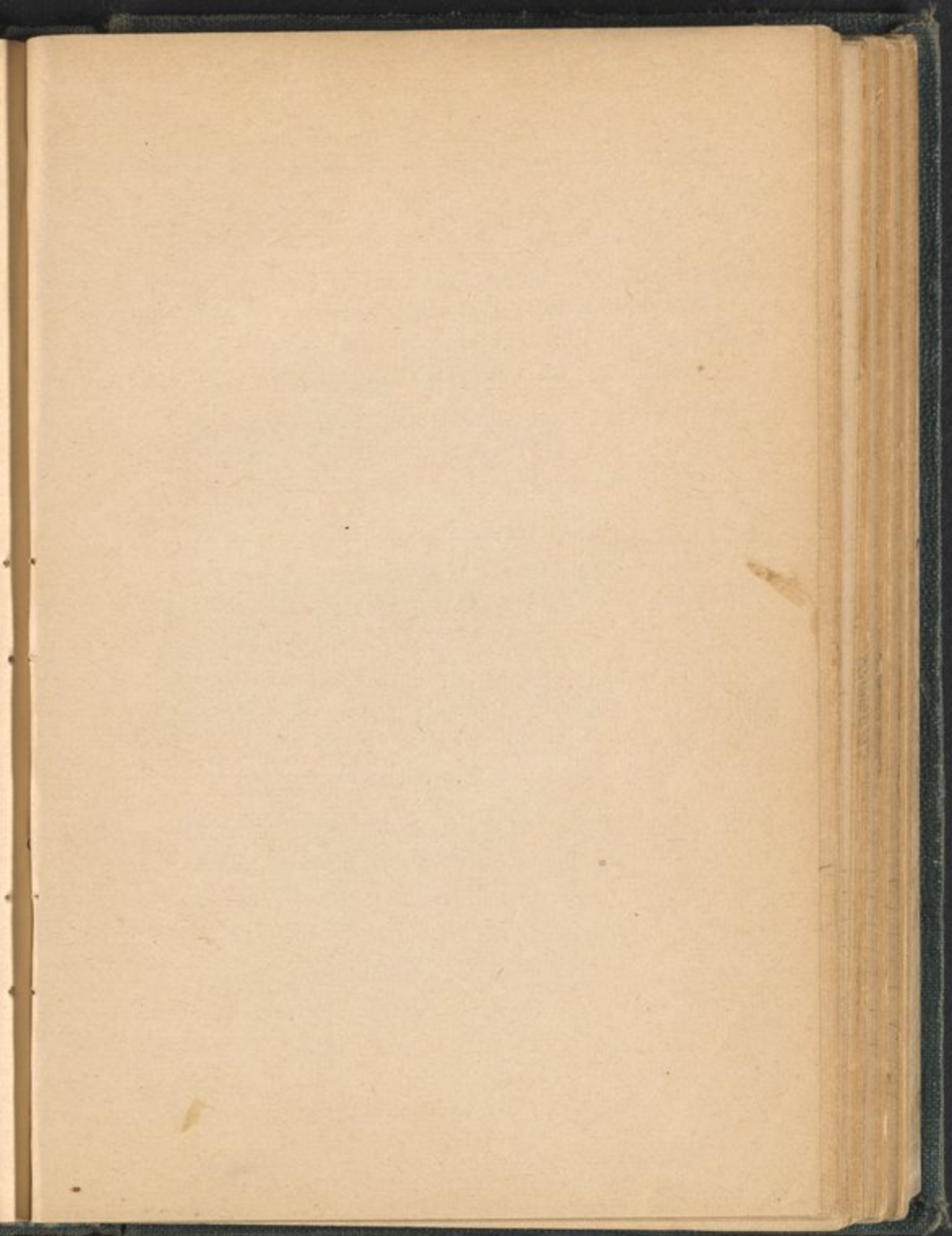
ولا شك انهم ادركوا غلطتهم حين خرجوا به الى زمانهم ..
وظل يهضب على هذا النحو الذى لم يكن منتظرا ولا كان
في حساب احد . وطال الأمر فمل الناس وأحس هو
الهمس .. فلم يترفق بالذين ضجروا كأنما أراد أن ينتقم
لنفسه أو أن يبغضها اليهم فيتركوه بعد ذلك في سلام ..
ولم يطق البعض المقام أو طوله ، فتسلل خارجا وتبعه
غيره وغيره حتى لم يبق الا دون النصف

ولكل شيء آخر .. عاد الاستاذ الى غرفته لا الى بيت
ابنه واستلقى على فراشه بثيابه ، فقد أضناه الكلام
والوقوف أكثر من ساعة ونصف ساعة

وفي الصباح جمع ثيابه وأشياءه ، وانتقل الى ربيع آخر
وجاء سعيد بصحف الصباح وفيها وصف الحفلة التى
ظلت أياما تدعو لها وتروج ، وفي صدر أكثرها خطبته التى
عنى سعيد بتدوينها

فلم يجد الاستاذ ، وأعياءه أن يعرف أين ذهب .. فأسرع
الى ابنه على بك يخبره ويسأله ما العمل ، فقال على بك
وهو يرسل الدخان فى الهواء : « أظن أن الواجب أن نحترم
أرادته ونعفيه من الاثقال عليه »

فمضى عنه سعيد وهو يهز رأسه ويفكر فى على بك ،
أكثر مما يفكر فيمن عاد فاخفى



النسيان

AMERICAN UNIVERSITY IN GAZIROS

- انك قاس ..

- انا ؟ .. ياخبر اسود .. وهل في هذه الدنيا الطويلة العريضة من هو أرق منى قلبا ؟

- ولكنه أبى .. وأنا أتألم

- أعرف انه أبوك .. وأعرف أيضا انه نادر ، وانه منقطع القرين .. أيكفى هذا الشئ أم تريد الزيادة ؟ يكفى ؟ حسن .. ولكن ذهوله يضحك الثكلى ، فماذا أصنع ؟ .. ما حيلتى ؟

فقالت الفتاة بلهجة مبطنة بالعتاب : « ولكن هل من الضرورى أن تقلده ؟ ان هذا هو الذى يسوءنى منك »

فقلت : « فكرى يا فتاتى .. قولى لى كيف يمكن أن أقص عليك الحكاية وأصف لك ما حدث بغير ذلك .. انى لا أريد تقليده ، ولكن الصدق فى الرواية والفن فى عرضها يتطلبان ذلك .. بل يجىء منى التقليد عفوا وعلى غير عمد » فاقتنعت أو هى لم تقتنع ، ولكنى كنت قبل أن يدور هذا الحوار ، قد شرعت أقص عليها حادثة جديدة من حوادثه التى لا آخر لها .. فلما احتجت الى تقليده فى بعض مواقفها ضحكت ، ثم انقلبت تعاتب وتستهجن التقليد وتعيب المحاكاة . وهذا بعض ما يحيرنى من المرأة ، فقد كان ضحكها وعتابها فى وقت معا ، وكانت تضحك وتشير الى بيدها منكرا ماترى وتسمع منى

وقد عرفتها من أبيها ، وبفضل ذهوله العجيب . وكانت تخرج معه لتقيه عواقب ما يقع منه . فكانها وهى ترافقه

وتروح وتجىء معه ، ذاكرته الذاهبة . واتفق يوما أن نسيها - نعم نسيها - وخرج وحده ، واهتدى - لا يدري أحد كيف ؟ - الى ناد لم اكن أعرف أن مثله موجود في بلادنا ، فان حياة الأندية طارئة وعهدنا بها حديث جدا . وكنت قد دعيت في تلك الليلة الى زيارة هذا النادي ، وقضاء بعض الوقت فيه . . وكان الذى دعانى يرجو أن انضم اليه ويحدثنى على ذلك ويزينه لى ، وأنا أتأبى وأبين له ان حياة الأندية في مصر جافة ثقيلة ، وانها قلما تكون الا حياة مقامرة أو ما أشبه ذلك ، فيضحك منى وينفى ذلك ويقول : « تعال انظر بعينك ثم احكم » فذهبت وكان اول من لقينا هذا الشيخ ولم اكن احتاج الى من يعرفنى به ، فانه صديق قديم . . فأقبلت عليه وجلست معه فصفق ، فلما جاء الخادم نظر اليه مستغربا ثم الى انا مستفهما . فقال الخادم ، وكان يعرف ذهوله : « هل تريد شيئا يا بك ؟ »

فقال البك : « ا . . ا . . أريد . . أريد . . ماذا أريد ؟ » فكتمت الضحك ، وقال الخادم : « لقد دعوتنى ياسيدى فهل أجيء لك بقدرح من الويسكى ؟ » فنسينى وقال : « ا . . ا . . نعم . . نعم . . ا . . نعم نعم نعم . . »

وذهب الخادم وعدنا الى الحديث الذى لا يكون معه الا محاورات ولقا من هنا وهنا ، بسبب هذا الدهول الذى أصيب به . فقال بعد كلمات : « ولكنى أهملك . . ان هذا لا يليق . . أعذرنى . . لقد نسيت أن أدعو الخادم » وصفق مرة أخرى ، فلما جاء الخادم لم اقل شيئا انتظارا لما يكون منه ، فقلل له : « ا . . يا خليل . . هل طلبت منك شيئا ؟ »

فقال الخادم : « نعم . . قدحا من الويسكى »

فسأله : « هل جئت به ؟ أعنى . . »

قال : « لا يابك .. ساجيء به حالا »

ومضى عنا فصفت أنا وطلبت ما طاب لى ، فمال على الخادم وهمس فى أذنى : « اذا سمحت لى يابك فان اسمى عبده ، ولكن البك ينسانى ويطلق على كل يوم اسما جديدا »

وسالنى الشيخ المسكين بعد أن ذهب الخادم : « ماذا يريد هذا الرجل ؟ » . قلت : « لاشيء .. كان يقول ان اسمه عبده لا خليل » . قال : « من هو ؟ »

قلت : « الخادم » . قال : « ماله ؟ » . قلت : « اسمه عبده » . قال : « عبده ؟ » . قلت : « نعم » . قال : « من عبده هذا ؟ » . قلت : « الخادم »

واحسست انه سيعود فيسألنى : « ماله » وكان الويسكى قد أقبل به الرجل فقلت له : « آه .. هذه كأسك .. ومعها كأسى أيضا »

فنظر الى كأنه لايفهم ما أقول وسكت أنا ، فما أدرى ماذا يدور فى نفسه . وطال الأمر ، فشعرت بالضيق .. فليس مما يخف محمله على النفس ان ترى غيرك يحدق فى وجهك ولا يطرف . فنظرت اليه مستغربا ، ولكنه كان كأنه لايرانى وخيل الى انى فى طريق نظرته ، فتزحزحت عن مكانى الى الوراء قليلا وبقي هو ثابت الحلاق لا يشعر بى ولا بحركتى ، فحولت وجهى الى حيث ينظر فلم أر شيئا — أعنى انى لم أر ما يستوجب هذا التحديق كله — فتركته لشأنه حتى يثوب الى ويمل طول النظر

وبعد هنيهة ، قال وكأنه يحدث نفسه : « لم أر فى حياتى انسانا يأكل هكذا »

فدهشت وقلت : « ايه ؟ كيف ؟ »

فأهمل سؤالى — أو لعله لم يسمعه — وسألنى هو : « هل تعظم اللقمة وتبلعها بلا مضغ ؟ »

فزادت دهشتي ، وقلت : « كلا بالطبع .. من قال لك انى اصنع ذلك ؟ »

قال : « خفت أن تكون ممن يفعلون ذلك .. ليس أضر على المعدة منه .. » . فسكت ، فقد استطرдна الى حديث لم يكن لى فى حساب ، فعاد يقول : « كلا .. لا تفعل .. احذر .. »

فقلت ، وقد مللت : « ما الذى يجرى ببالك هذا السؤال ؟ » قال : « ايه ؟ .. اى سؤال ؟ » . قلت : « المضغ والبلع ، ولا أدري ماذا أيضا » . قال : « ألا تمضغ طعامك ؟ » . قلت : « بالطبع أمضغه .. لماذا تسأل ؟ »

قال : « خفت الا تكون تمضغه .. لقد كان الطبيب يوصينى أن أمضغ اللقمة اثنتين وثلاثين مرة أو ثلاثا وثلاثين لا ادري .. الزيادة احتياط ينفع ولا يضر .. هل تفعل ذلك ؟ »

فقلت لنفسي ان النسيان فى ذاته وبمجرده ثقيل وبلاء عظيم ، ولكنه يكون اعظم وأثقل اذا الح على المصاب به خاطر واحد يحوم حوله العقل ولا يقع ولا يستقر ، فأردت أن اصرفه عن ذلك فسألته هل له فى كأس ثانية من الويسكى ، وحدثت نفسي وانا أسأله ان رؤيته مخمورا لا يكاد يعى مايقول افضل وأشبه بما ينبغى ، وأقل استدعاء للعجب والاستغراب من تخليطه وهو مفيق صاح . ولكنه رد على سؤالى بسؤال اذهلنى ، فقد قال مستغربا : « وهل شربت ويسكى ؟ » ووجه العجب فى كلامه انه لم يشعر بالتأثير المألوف للخمر ، فكانه لا يسكر لأنه ينسى أنه شرب شيئا . ويظهر أن نسيانه هذا يعفيه من تأثير الخمر وينجيه من أسكارها ، وصار السؤال الذى يحيرنى هو : « اذا كانت الخمر لا تؤثر فى نفسه أو جسمه أو عقله ، فلماذا يشربها ؟ »

وبدا لى ان خير ما اصنع هو أن أعود به الى بيته ،

فاقترحت ذلك فوافق ونهضنا . وحملته في السيارة الى هناك .. ولم يكن ينسى أين يسكن ، ولكن الموقع كان يغيب عنه أحيانا وتخونه ذاكرته فيقف حائرا لا يدري ماذا يصنع حتى يتذكر أو يلقي من يعرف البيت فيسأله ويدله عليه أو يمضى به اليه

وكانت بنته في النافذة تنتظر أوبته وهي قلقة خائفة عليه .. فأسرعت الى الباب تفتحه ، وكانت ذكية فلم تعاتبه . وما جدوى عتاب من لا يتذكر شيئا ؟ . ودخل غرفته ونسيني مع فتاته ..

وقالت لى : « ماذا حدث ؟ .. لاتدعنى معلقة .. طمئنى » قلت : « كل خير .. » وشرعت أصف لها ما وقع منه واقلده وهو ينظر الى الرجل الأكل المبطن الذى يعظم اللقم ويبلعها بلا مضغ ، وقلت لها بعد ذلك : « انى أحسد أباك فما أشك في انه قد نسى كل ما يجب أن ينساه المرء من متاعب الحياة ومنغصاتهما لو كان الى هذا سبيل غير الدهول »

قالت : « انى أخشى أن ينسى اسمه فلا يعود يعرف من هو ، الا تكون هذه مصيبة ؟ » . قلت : « يا فتاتى انه ليس احق ولا اقل عقلا ممن يحمل هم المصيبة قبل نزولها .. دعى هذا الى أوانه وعسى الا يجيء . ومع ذلك هل انت واثقة انه يعرف اسمه ؟ . من يدري ؟ .. أمن أجل انا لا نسأله عنه يكون عارفا ؟ » . قالت : « لا تفزعنى » . قلت : « انما أردت أن ابين لك أن ما تخافين ، لو وقع لما كان شرا في الحقيقة أو ادهى مما هو حاصل الآن ، فلا تزعجى نفسك بلا موجب . وعسى الا يكون الا كل خير .. والآن فلنتكلم عن شيء آخر .. شيء أحلى من أبيك وان كان يكفيه من الخلاوة انه كان له هذا الفضل العظيم على الدنيا التى تجملينها يا فتاتى »

فقالت وهى تضحك : « انك لا تعرف الا موضوعين حين

تكون معي .. أنا وأبي » . قلت : « وأنا .. اليس لي حساب عندك ؟ ألا أصلح أن أكون موضوعا ثالثا معكما ؟ » .
قالت : « بالطبع .. ولكنك لست شيئا ثالثا .. موضوعك هو موضوعنا .. فهما يبقيان اثنين ليس الا »

قلت بابتسامة أردت أن يكون لها معناها : « صحيح ؟ بالذمة ؟ » . قالت : « يا خبيث ليس هذا ما أعني » .
قلت : « هذا الذي لا تعنيه ، ما هو ؟ » . قالت : « طيب أسكت بقى » . قلت : « سكتنا ياستى » ومددت يدي الى كفها الرخص واطبقت عليه أصابعي الخشنة ، فتركتني هنيهة ثم سحبت كفها فنظرت اليها فقالت : « أو لاتسكت ؟ » فلم أتكلم وأشرت الى فمي المطبق فضحكت ، فهزرت رأسي موافقا وأنا ابتسم ، فعادت الى الضحك ، فعدت الى اشارات الاستحسان والرضى . وتكرر هذا مرات ، فصاحت بي : « الا تنطق ؟ .. أين لسانك ؟ » . فقلت وأنا انظر الى السماء - أعني الى السقف فقد كان يحجب السماء : « حرت والله معك .. أسكت طوعا لأمرك فلا يرضيك الصمت . واتكلم امثالا لمشيتك فلا يروقك الكلام فماذا أصنع بالله ؟ .. كوني منصفة »

فضحكت ، فقلت : « عندي اقتراح » . قالت : « ما هو ؟ » . قلت : « هناك ما هو أبلغ من كل كلام وأحسن من الصمت أيضا وان كان مما يحوج اليه ولا ييسر الكلام معه »

فزوت ما بين عينيها ، وقالت : « ما هذا ؟ »
قلت : « هل أفهم من تقطيبك أنك غير موافقة سلفا ؟ » .
قالت : « لست مقطبة ، ولكني أفكر » . قلت : « لماذا تتعيبين هذا الرأس الصغير بالتفكير ؟ . دعيه مرتاحا وتعالى نعمل بالاقتراح أولا ، ثم نفكر بعد ذلك في جماله وما أفدناه من السرور به » . قالت : « ولكن ما هو ؟ . الا تقول لي

أولا ؟ » . قلت : « هو ذا » وملت عليها فلثمت فمها
ورفعت عيني ، فاذا أبوها واقف في مدخل الباب ،
فتنحنحت ونهضت وقلت : « لقد كان بيننا رهان .. هي
تقول أنك نسيتني ، وأنا أقول أنك لم تنس .. فهل
نسيت ؟ »

فشغله الامر الجديد عما سبقه ، وانساه ما رآه ، وبدا
عليه أنه لا يعرف أو على الأصح لا يذكر ، هل نسيتي أو لم
ينسني . وشعرت الفتاة أن الجو صفا وأن الأزمة انفرجت ،
فنهضت اليه وعانقته وقالت : « بالطبع نسيت .. أعترف
بالحق »

فعادت ذاكرته تحاوره ، وسألها : « الحق ؟ .. أي
حق ؟ » . قالت : « أنك نسيت » . قال : « نسيت .. نسيت
ماذا ؟ » . فقلت لنفسي أنك رأيتني أقبل فتاتك يا مسكين
ولقيت الفتاة بعد ذلك مرة ، فقالت لي : « هل تعرف
أنه يخيل اليه أنه رأى أقبل رجلا أو أن رجلا يقبلني ،
ولكن هذا يطوف برأسه كالحلم .. بل هو فيما يعتقد حلم ؟ »
فسألتها : « ماذا قلت له ؟ » . قالت : « قبلته فقط ..
وماذا تريد أن أقول له ؟ .. »

قلت : « وأنا .. أليس لي شيء ؟ . ازعميني كأبيك أو
عمك وقبليني .. أم يجب أن أرسل لحيثي أولا ؟ »
فصاحت بي : « احذر »
قلت : « اذن هاتيها ... حلوة طويلة »

فتاة الحارة

AMERICAN CHILDREN'S BOOK SOCIETY

كنا غلامين صغيرين وجارين صديقين ، وكنت أنا أسن منه قليلا .. ولكن الفرق كان فرق شهور لا تقدم ولا تؤخر ، لا فرق سنوات تباعد بين الناس . وكان الوقت صيفا والمدارس مغلقة ، فلا عمل أكثر الوقت الا اللعب في الشارع . وكان يفصل بيتينا بيت صغير لارملة وبنتيهما ، واحدهما في مثل سننا والاخرى اكبر بسنوات واضخم جسما ، وكنت اسميها فيما بينى وبين صديقى « السقاء » لأن ثدييها كانا - فيما يبدو لى - كالقريتين . ولم اكن ارتاح اليها ، ولكن اختها الصغيرة كانت اثيرة عندى وحبيبة الى .. فكنت لهذا أصانعهما ، ولكن صدرى كان يضيق بها أحيانا فأغضبها وأمرى الى الله . وكنت اذا زجرنى أهلى عن اللعب فى الشارع ، وملوا ترقيع الثياب التى البسها فى الصباح نظيفة سليمة فلا يجيء العصر الا وهى ممزقة وعليها طوائف شتى من الأوحال والاقذار .. أقول كنت اذا نهيت عن الشارع ، أصعد الى السطح واتدلى منه الى سطح الفتاة وأصفر لجارى فيوافينا ، ونحدر جميعا الى غرفة من غرف البيت أو الى فنائه - وكان رحيبا - فنلعب ما حلا لنا اللعب حتى اذا أمسى الليل تفرقنا الى بيوتنا

واتفق يوما ان كانت الفتاة معى فى ساحة الدار ، وكنت قد تخلفت بعد ذهاب صديقى وصعود الأخت الضخمة - أو « السقاء » كما كنت أسميها - وكان باب البيت مواربا ، فطوقتها - أعنى البنت الصغيرة لا السقاء - بذراعى وقبلتها ، وكانت فيما أحس تلين لى فى العناق ، ولكنها عbst فجأة وتفلتت منى ودفعت ذراعى عنها بعنف ،

وذهبت تعدو الى السلم . . فتعلقت بأذيالها ، ولكنها شدت الثوب أو على الأصح ضربته بيدها ، فطار من يدي وصعدت بسرعة ، وتركتني واقفا أنظر وأتعجب

وفي صباح اليوم التالي ، قالت لى أمى فجأة ونحن على الطعام : « هل أنت بنت ؟ » . فصحت مستغربا منكرا : « بنت ؟ » . فقالت : « نعم . . لماذا تلاعب البنات ولا تلاعب الأولاد من أمثالك ؟ »

فأطرقت استحياء وقد أدركت أنها تأخذ على شيئا وتستهجن مصاحبتى لهذه الفتاة ، ولم يخطر على بالى أن فى الأمر أكثر من هذا . وجاء الظهر وجاء معه رجل تركى الأصل عتيق من أصدقاء أخى الأكبر - وكان يلزمه من الظهر الى نصف الليل - وكان شعره أبيض ووجهه مفضنا ، كما تبدو المدينة للمشرف عليها من قمة جبل شامخ ، فصاح بى وأنا خارج : « تعال يا سيدى . . تعال » . فوقفت مستغربا لهجته ، وقلت : « نعم » . فقال : « جارتك هذه ، يظهر أنها تعجبك »

فغضبت وتألمت ولكنى تجلدت ، فقد كان اذا اعتبرنا السن يعد جدا أعلى لى ، وقلت : « نعم »

فضحك وتفل وفتل شاربيه الكثيفين ، ثم قال : « لقد رأيتك البارحة تحضنها » . فصحت به : « ايه ؟ . . » . فأشار الى بيده المتجمدة المعروقة : « لا تغضب . . كلنا كنا صفارا . . ولكن يا ابنى . . »

فلم أدعه يتمها وانصرفت عنه ، وأنا أغلى من الفيظ والنقمة على هذا الطفيلى الوقح الذى لا شك انه روى لأخى ما رأى منى ، فلم يسع أخى الا أن ينبه أمى . . فقد كان غير شقيق ، وكان يؤثر أن يدع أمر تربيتى لأمى . وخرجت الى الشارع انفخ ولا اكلم أحدا حتى ولا صديقى الأثير ، وكان يرى ما عرانى فيلح على أن أفضى اليه بالأمر

فلا أجد لساني قادرا على الدوران . وانقطعت عن الفتاة
أياما كان صديقي في خلالها حائرا بيني وبين صاحبتة ، يعز
عليه الا يكون الى جانبي وهو يرانى مهموما مكروبا لا أتسلى
ولا أقول بشجوى والى ، ويكون معى فيمل صمتى الذى
لا أخرج عنه ، وتصبو نفسه الى مجالسة السقاء وأخيرا نفذ
صبره ، فقال لى يوما : « اسمع .. تعال معى الى فوق »
وكان يعنى «بفوق» منزل الجارة ، فنظرت اليه مستغربا
كأنما كان عليه ان يعرف كل ما كتمت عنه فقال : « تعال ..
قم .. قم »

فانحلت العقدة وانطلق لساني ، وقلت له : « ماذا
يعجبك فى هذه الفتاة ؟ » . فتلعثم وأخذ يتنحج ، ولم
يزد على أن سأل : « ايه ؟ » . قلت : « او ماذا يعجبها
فيك ؟ »

فرماني بنظرة عتب ثم ابتسم ولم يقل شيئا ، وخيل
الى أنه لو كان له شاربان لقتلهما ، ثم قال ببساطة :
« الحقيقة انى احبها و و و .. وهى أيضا تحبنى » .
فوثبت الى قدمى من فرط الدهشة ، وتناولت كتفيه
فهززهما وصحت : « ماذا تقول ؟ .. أعد هذا »

قال : « ماذا جرى لك ؟ . ألم تسمع ؟ . احبها وتحبنى
.. شئ بسيط جدا » ونحى يدي عن كتفيه

وثابت الى نفسى ، فأطرقت قليلا ثم سألته : « كيف
حدث هذا ؟ » . فقال : « لا ادرى كيف حدث ؟ . ولكنى
أول من أمس سلمت عليها وجلست بجانبها ثم ملت عليها
فقبلتها ؟ »

فسألته وأنا فى دهشة : « قبلتها ؟ .. هل تعنى أنك
قبلتها ؟ »

فضحك وقال : « بالطبع أعنى انى قبلتها .. ماذا تظننى

أعنى غير ذلك ؟ » . فسأله : « ولم يسؤها ذلك ؟ . لم تغضب ولم تذهب عنك ساخطة ؟ » . فقال مستغربا : « تغضب ؟ . لماذا تغضب ؟ . أما أنك لغريب » . فقلت وأنا مطرق : « غريب ! » . فقال : « غريب ؟ . ما هو الغريب ؟ » . قلت : « أعنى أنى أعرف واحدا قبل فتاة فسخطت عليه وولت منه هاربة » . فقال ببساطة : « لا بد أن يكون له وجه قرد » . . . وضحك

وتركته وعدت الى البيت ، فكان أول ما صنعت أن نظرت فى المرأة وتأملت وجهى كما يبدو فى صقالها ، ثم درت حول نفسى وعينى على جانبى وجهى ثم تنهدت وأقصرت



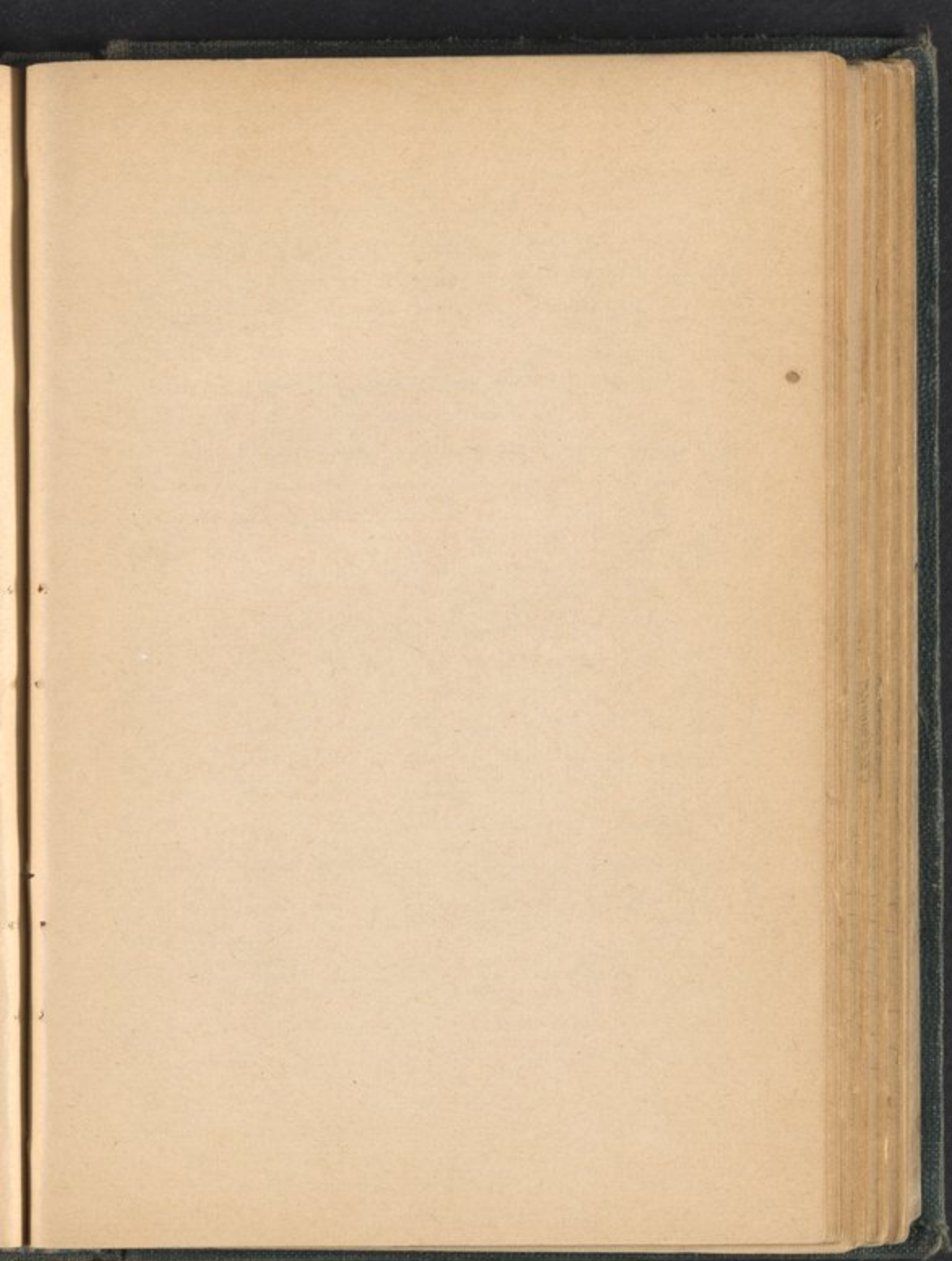
وكان للفتاة - فتاتى أنا لا السقاء - قطعة صغيرة عزيزة عليها ، فاتفق أن مر كلب ضال ، وكانت هى - أعنى القطعة لا الفتاة - واقفة على العتبة . . فدنا منها الكلب وهى غافلة ، ولعلها كانت مغفية ، فأحسست أنفاسه وهو يشمها ، ففتحت عينيها وهى تتشأب وانتفضت مذعورة . . وثبتت وثبة ، قطعت بها عرض الشارع ، ولم يكف هذا لاطمئنانها ، فدخلت من باب الفته مفتوحا ، وكان فى ساحة البيت شجرة « جميز » فانطلقت تتسلقها ، ولم تزل تصعد فيها حتى صارت على أعلى فرع فيها . وكانت الفتاة قد بصرت بالقطعة وهى تعدو مذعورة ، وتدخل البيت المقابل لبيتها . . فانحدرت بسرعة ودخلت وراءها ونظرت فلم تجد شيئا ، فارتدت الى الباب وقد اغرورقت عيناها بالدموع . وأقبل صديقى فى هذه اللحظة فسألها عما بها ، فقالت له أن الكلب أفرع القطعة فهربت لا تدرى الى أين وهى تخشى أن يأخذها الجيران

فركل صديقي الكلب - اعنى أن صديقى ركل الكلب ،
والمعنى واضح فى الحقيقة ولكنى أوتر هذا الايضاح اتقاء
لكل غلط - ودخل مع الفتاة البيت ووقفا وارهما آذانهما ،
فسمعا مواء خافتا فتلفتا ، ثم عرفا أن القطعة على الشجرة
فجملا ينظران من هنا ومن ههنا ويميلان رأسيهما الى
اليمين والشمال حتى رأياها ، وجعلت الفتاة تدعوها
بأصوات مختلفة أن تنزل والقطعة تأبى أن تطمئن وتخشى
اغراء الأصوات المهيبة بها أن تنزل ، فتصعد حتى بلغت
القمة فدعت الفتاة صديقى أن يتسلق الشجرة ليجيئها
بالقطعة ، فhez رأسه وقال لها : « حرام عليك .. هل
تريدى أن اقع فأموت ؟ » فتوسلت اليه فلم يلب ، وقال
أن القطعة لا تلبث متى هذا روعها أن تنحدر من تلقاء
نفسها . وكان هذا صحيحا فما يمكن أن تظل القطعة على
الشجرة طول عمرها ، ولكن قلب الفتاة أبى أن يطمئن
فخرجت باكية ورأيتها أنا فانطلقت أعدو اليها ، وقد
أحسست أن قلبى يتفطر ، وسألتها ماذا يبكيها ..
فقصت على الحكاية ، وقالت ان صاحبى لا يريد أن يتسلق
الشجرة خوفا على عمره ، فقرضت أسناني وقلت : « أنا
أفعل » ففرحت وأبرقت أسارى وجهها ، وقالت :
« صحيح ؟ » قلت : « بالطبع صحيح .. وهل تظنين
أنى مثله أخاف على عمرى .. ومم أخاف ؟ »

وخلعت حذائى ورميت الطربوش وشرعت اتسلق
الشجرة المخوفة حتى صرت بين أغصانها الفلاظ
المتشابكة ، وذهبت أزحف على الفصون السميقة التى
يحمل الواحد منها جملا لا غلاما خفيفا مثلى حتى بعدت
عن الارض جدا ، وحتى أنها كانت تكلمنى فلا أسمع
وأصيح بها أن ترفع صوتها واحتاج أن أنحنى وأفرق
الأوراق لأرى أين هى . ولم أزل أصعد حتى دنوت من

القطعة ، ولكنها كانت مع ذلك لا تزال بعيدة ، وشاء الحظ
ان تخاف القطعة فلفت حول الشجرة وأصبحت على فرع
في الناحية الاخرى ، وكانت الفروع هناك أمتن وأسمك .
فدرت كما دارت ومددت يدي فقبضت عليها ودسستها
في جيبى ، وكان الهبوط أخطر من الصعود واشق ..
ولكن الله سلم

وتناولت القطعة منى بعد ان أخرجتها من جيبى ، وكدت
أخنقها وأنا أحاول إخراجها - فقد كان لا بد أن أقبض
على عنقها لأتقى أسنانها وأظافرها - وأهوت عليها وقبلها
وتضمها الى صدرها وتمسح لها شعرها ، كأنها طفل
رضيع لا قطعة لعينة كانت منذ دقيقة على قمة جميزة
ضخمة تحاورنى وتعرض عنقى للدق وأنا ما زلت فى مقتبل
العمر . وكنت أنا أنظر اليها راضيا قرير العين فرفعت
عينها الى ، والقطعة مضمومة الى صدرها ، وقالت انها
مدينة لى بالشكر ففركت كفى مسرورا ومرتبكا ، فماكنت
انتظر شكرا ولا شبهه واذا بها تصرخ فذعرت ، فقالت :
« يداك » فنظرت فيهما فألفيتهما مخدوشتين فأخفيتهما
وراء ظهري ، وقلت ان هذا من لحاء الشجرة وسيزول
ولا شك ، فقالت : « لا .. تعال » فقلت : « الى أين ؟ » .
قالت : « معى .. اغسلهما لك فى البيت .. مسكين .. »
فنظرت اليهما مرة أخرى ، وقلت : « فكرة .. »
ودخلنا البيت معا .. ونسينا صديقى فى بيت الجار ..
تحت الشجرة
ووصلت القطعة المستنقذة ما كان قد انقطع ..



في رأس السنة

دهش الثلاثة ووقفوا حيث هم - آذانهم مرهفة ،
واحداقهم ثابتة ، وانفاسهم معلقة . وكانت الليلة ليلة
العام الجديد - أو رأسه - وقد تهيأ حامد للخروج ،
ولبس ثياب السهرة وأدار الراديو وراح يتمشى في الغرفة ،
ريثما تجيء جارته فتنقر له على النافذة المفتوحة ..
فيمضي بها الى العشاء والرقص والمرح . وكانت الاذاعة
في تلك اللحظة رواية متخيرة ، ولكن حامدا لم يكن باله
اليها وانما اراد ان يفرق ضجرات الطريق المتقطعة في ضجة
اخرى اكبر لانها ادنى - لا تنقطع ولا تفر فيألفها ويتسنى
له ان يفكر ، بعد ان تسكن أعصابه الى وقعها المتصل ،
في أمره مع جارته أو فيما ينبغي ان يصنع ليحمل أباه
العتيق الطراز على الرضى بما تقتضيه حياة العصر الجديد .
ولم تكن به حاجة الى أبيه ، ولكنه لم يكن يريد ان يفسد
بينهما الحال أو ان يضيف الى عبء السنين التي يحملها
عبء الشعور بخيبة الأمل - اذا وسعه الا يفعل . وكان
أبوه في تلك اللحظة قد دخل بالمفتاح الذي اعطاه اياه حامد
ليروح ويجيء كما يشاء . ولم يشعر به حامد لان خواطره
كانت تستغرقه ولأن الراديو كان اعلى من ان يسمح
بالالتفات الى باب يفتح أو يغلق ، ثم لأن الرجل لم يكد
يرد الباب حتى وقف مذهولا ، فقد سمع ضحكات نساء
ولفظ رجال ، وكان ريفيا ساذجا فيه ورع وتقوى يعرف
الراديو ويصفى بخشوع الى ما يذاع من كتاب الله ، وقد
يتفق له ان يسمع بعض المقطوعات الموسيقية .. ولكنه
لم يشهد في حياته رواية تمثل ، ولم يخرج عن عاداته في

التبكير في النوم الا في الفترات القليلة . فاذا كان قد وقف
الآن مستغربا منكرا ، فلا شك انه كان معذورا . ولم يكن
يفهم شيئا من الاصوات التى تتأدى اليه او يظن الى دلالة
الكلام . وكان المذيع يصف حركة الروليت بعد أن توضع
النقود ، وتذهب العجلة تدور وتخفت الاصوات انتظارا
لوقوف الكرة عند الرقم السعيد .. ولكن الرجل لم يكن
يعرف أن هذا مذيع يصف للسامعين ما لا يرون ، بل كان
يظنه أحد رفقاء حامد ابنه في سهرة جمع فيها طوائف
شتى من الرجال والنساء .. نعم والنساء فما في هذا
شك ، اليسست هذه امرأة تقول : « أسرع يا ميمى ..
أسرع .. بين ال ٧ وال ٨ .. »

وهذا صوت رجل يصيح : « لا لا لا .. هذا من حق
لولو .. نعم فقد رأيت ما حدث .. البيك نقل الورق
عن موضعه بكفه ، وهو لا يدرى »

وها هى الفتاة تعود الى الكلام مرة أخرى ، وتقول :
« مرسى يا حبيبى .. ميل مرسى »

فيقول الرجل الاول ، هو بعينه بالتأكيد فان الصوت
واحد : « العفو .. لقد رأيت كل شيء ، واذا كنت تسمعين
بأن اقدم اليك نصيحة رجل مجرب .. فنصيحتي أن
تكفى عن اللعب ، فان مثل هذه الغلطة في العادة تكون
ايدانا بانتهاؤا حظ اللاعب »

لعب .. نصيحة .. حظ .. نساء ورجال ..
ما معنى كل هذا يا ترى ؟ في هذا وقف الرجل المسكين
يفكر . وكان يفكر في شيء آخر هو هل يدخل فيعرف
الحقيقة كائنة ما كانت او يخرج ويدع ابنه لشأنه ؟ ولكن
كيف يستطيع أن يخرج ويدع ابنه .. وكيف يدخل ومعه
نساء غريبات ؟

ولم يكن هذا الأب الساذج هو الحائر الوحيد في تلك

اللحظة ، فقد كان هناك رجل آخر من طراز غير طرازه وجد باب المطبخ مواربا .. فتسلل منه ودخل على أطراف أصابعه وفي مرجوه أن يخفف عن صاحب البيت - وعن نفسه أيضا - ولم يكذب يبلغ باب الدهليز حتى صافح سمعه هذا اللفظ الكثير المنبعث من غرفة الاستقبال ، ولم يكن كالآخر ساذجا فلم يلبث أن فطن الى أن ههنا أناسا يقامرون ، فسمرتة الدهشة والحيرة ، فقد كان يظن البيت خاليا فإذا هو عامر بل غاص بالخلق . وكان سبب حيرته أن وجود هؤلاء اللاعبين جميعا يجعل فرصة الغنم في ليلته هذه اكبر ، والورق أخف محملا وأخفى أمرا ، وحامله أقل تعرضا للاعتقال ، ولكن كثرة الموجودين تجعل تعرضه للوقوع في المحذور أشد فماذا يصنع ؟ أتأخذ بالأسلم فيعود من حيث جاء ، أم يدعن للأغراء فيبقى ؟ ولا سيما والأرجح أن القوم يشربون وبعد قليل يسكرون .. على أن الامر خرج من يديه ، فقد جاء اللبان في هذه اللحظة ووقف بباب المطبخ كمادته ، ورفع صوته بكلمة واحدة ولكنها طويلة ممطوطة « لبن » فريع الرجل ووثب ودار حول نفسه ، فقال اللبان : « اللبن .. عايزين لبن الليلة ؟ » فمشى اليه الرجل كالمضروب على أم رأسه ، فعاد اللبان يسأله : « عايزين لبن والا ايه ؟ .. ما ترد »

فأفاق الرجل وأشار اليه ، وقال : « هس .. هس » فاستغرب اللبان وقال : « هس ايه .. عايزين لبن .. أنت مين قبله ؟ »

فألهم أن يقول : « أنا الخدام الجديد » فقال اللبان : « طيب ما تقول كده من الصبح ! عايز كام ؟ »

- واحدة

فناوله سلطانية ووقف ينتظر وصاحبنا ينظر الى

الدهلير ، ثم قال اللبان : « ماتجيب امال خلىنى اروح
لحالى »

قال المسكين : « أجيب .. ايه ؟ »

— حق السلطانية

فألهم مرة أخرى أن يقول : « الصبح .. عندنا
ضيوف .. ما أقدرش أنادى سيدي دلوقت »

فمشى اللبان ومسح الرجل عرقه ووقف يستعيد انتظام
أنفاسه ، وقد دار برأسه أن خير ما يصنع هو أن يخرج وراء
اللبان وأمره لله في هذه الليلة المنحوسة ، ولكن القدر أبى
إلا أن يعد له مفاجأة أخرى أدهى وأمر

ذلك أن الفتاة كانت قد وصلت ونقرت على حافة النافذة ،
فخف إليها حامد وانثنى على النافذة يقبلها ، ثم اعتدل وهم
بأن يقول لها انه سيخرج لها حالا واذا بها تستوقفه وتسأله :
« من عندك ؟ » وتشير الى الدهلير ، فقد رأت بابها يختفى
فيه شبح ، فعجب حامد لسؤالها ونفى لها أن أحدا عنده ،
ثم نظر الى حيث كانت تنظر محدقة فخيل اليه أنه يسمع
أصواتا ، فقال : « انتظري » وخرج .. ولكنها لم تنتظر ، فقد كانت
فتاة عملية ، وكانت تحب حامدا وتقرأ الروايات البوليسية ،
فجمع بها خيالها وجسم لها الامر ، وأوهمها أن خطرا عظيما
قد أحدق بفتاها .. فذهبت تعدو الى اقرب شرطى وجرتة
من ذراعه جرا ، فقد كانت خطوته بطيئة وهى تريد أن تطير
وفى أثناء ذلك كان حامد قد خرج ، فألفى أباه واقفا وراء
باب الشقة ، فقال حين رآه : « يا شيخ ظنناك لصا »

فسأله أبوه : « من عندك ؟ » فخطر لحامد أن هذا هو
الليلة سؤال الناس كلهم ، فضحك وقال : « لا أحد ..
لماذا لا تدخل .؟ . لماذا تقف هكذا ؟ »

وتذكر أن الفتاة واقفة عند النافذة ، ولم يدر كيف يفسر

لابيه وجودها . نعم ، يستطيع أن يقول انها جارته — وهذا صحيح — وانها مرت به فوقاً يتبادلان التحية ، ولكن أباه رجل محافظ ثم أنه يريد أن يعرف أباه بها أحسن تعريف . على أن تفكيره في هذا لم يطل ، فقد سمع حركة في المطبخ فمشى اليه مستغرباً وضغط زر الكهرباء .. فاذا صاحبنا الذى تركناه هناك حائراً بين البقاء والهرب يمد يده الى سلطانية اللبن ، وقد خطر له أن خير ما يصنع هو أن يأكلها قبل الخروج ، فلا يكون قد خرج من المولد بلا حمص كما يقول المثل

وبقيت يد الرجل ممتدة لا هى تصل الى السلطانية ولا هى تنثنى الى صاحبها ، فقال حامد : « ماذا تصنع هنا ؟ » فتلعثم قليلاً ، ثم قال : « جوعان ! » قال حامد : « أهو ذاك ؟ . ومن أين دخلت ؟ »

قال : « رأيت اللبان داخلاً ، فلما خرج .. وقفت أنادى فلم يرد أحد فدخلت »

فمال حامد الى تصديقه وكان مستعجبلاً ، فقد ترك الفتاة عند النافذة فقال : « طيب كل واخرج .. خذها كلها على السلم »

ودفعه وأغلق الباب وراءه وهم بأن يعود ، فسمع وقع أرجل .. ولكنه لم يعبأ بذلك ، وكر راجعاً الى الغرفة ، فاذا أبوه واقف ينظر الى الراديو ويضحك فلم يفهم ومضى الى النافذة وأطل ، فلم ير أحداً ، فالتفت الى أبيه يريد أن يسأله ، ثم آثر العدول . وسمع دقا على باب المطبخ وصوتاً ناعماً يناديه ، فذهب يعدو وفتح الباب واذا به يرى شرطياً ضخماً مفتول الشاربين وفتاته ، والرجل بينهما وفي يده السلطانية فارغة ، فارتد حامد خطوات وقال : « ما هذا ؟ »

قالت صفية : « لقد صح ظنى .. الحمد لله .. »

فقال حامد ببلاهة : « تفضلوا .. » وافسح لهم الطريق
ثم أردف : « ولكن لماذا الشرطى ؟ »

فقالت صفية وهى تدخل : « لماذا ؟ . او تسأل لماذا ؟ .
الا تعلم لماذا ؟ . للص يا روحى » فكاد يضع يده على فمها ،
ولكن أباه كان قد خرج فلم تبق أى فائدة

وقال حامد : « بابا .. هذه صفية .. جارتنا .. بنت
احمد بك .. لا ليس هذا لصا .. انا اعطيته السلطانية
ليأكلها .. »

فقال الشرطى : « اذا كان الامر كذلك فلا داعى لوجودى .
سعيدة »

وخرج وهو ينظر الى صفية نظرة محنق . وقالت صفية :
« شرفت يا عمى .. »

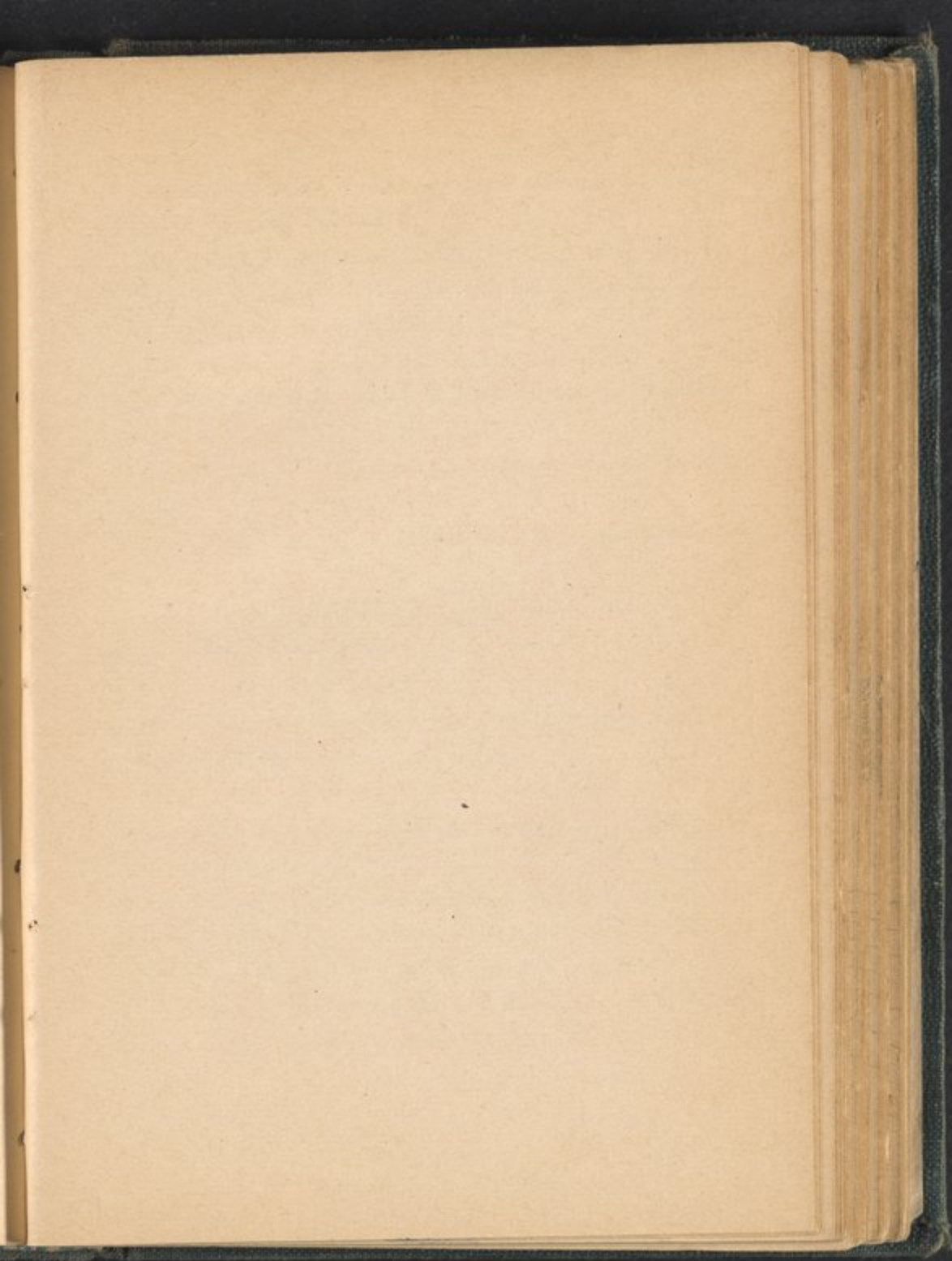
فتمتم الرجل وهو مطرق ، وقال حامد : « ا .. ا ..
نحن .. أعنى صفية وانا .. اء .. خطيبان .. اتفقنا على
الزواج .. بعد موافقتك طبعاً .. »

فدنت منه صفية ومالت على كتفه وهمست فى اذنه :
« قل انك موافق .. »

فقال الرجل : « انا متوضىء .. ابعدى قليلاً .. »
فضحكت ، وقالت : « اذا لم توافق فانى انقض لك
الوضوء .. »

ففرغ الرجل ونهض قائماً ، وقال : « لا لا لا أحدى ..
الدنيا برد وانا راجل كبير ضعيف ، وأريد أن أصلى العشاء »
فقالت : « قل أولاً أنك موافق .. وألا .. هه »

فلوح الرجل بذراعه ، وقال : « انا مالى .. مفلوقين فى
بعض .. فى السجادة يا حامد ؟ . »



الذى يضحك أخيرا
يضحك كثيرا

لما جاءنى رسول أختى برقعة منها يدعونا فيها - أمى
وأنا - الى قضاء العيد معها ، لان زوجها سافر الى
الاسكندرية .. أدركت أن فى الامر شيئا ، وان خلافا لا بد
أن يكون قد شجر بينهما ، ولكن دقة احساسها بالواجب
حملتها على البقاء فى بيتها بدلا من أن تجيء هى الينا

ولم تفت أمى دلالة هذه الدعوة ، فقد سألتنى : « اتظن
أن شيئا حدث ؟ » فقلت : « لا بد » فقالت : « اترى أن
نسألها ؟ » فمززت رأسى ، فليس أكفل بفساد الأمر بين
زوجين - فى رأى - من الدخول بينهما

وكان وجه أختى وحده كافيا للارتفاع بالظن الى مرتبة
اليقين . نعم كانت تبسم ولكن ابتسامها كان متكلفا ، وكلامها
أكثر مما ألفنا منها ، وحرركاتها أسرع .. وكان لونها ممتعنا
حتى لقد احتاجت الى الأحمر لخديها وشفتيها . وكان الجو
باردا ، فاحتجنا الى ما ندفا به .. فجاءتنا بموقد صار
الفحم فيه جمرا لانها تكره مدفأة الكهرباء او البترول لشدة
تجفيف الكهرباء للجو ، ولان البترول له رائحة لا تطيقها

وسألتها وأنا ابتسم : « وأين اللعين زوجك ؟ »

وكان لا بد أن أسألها عنه ، والا كان اجتناب ذكره واشيا
بالفطنة الى ما عسى أن يكون قد وقع بينهما . وما دامت
هى لم تقل شيئا فقد يربكها أن تعلم أننا نعلم

فقالت ببساطة : « أوه .. أظنه ملنا .. سافر لبحث
مع شريكه أمر هذه الشركة الجديدة التى يريد أن يؤلفها ..
أنك تعرفه .. لا يعترف بعيد ، ولا يطيق أن يقعد بلا عمل »
فسرني أنها تكذب لتستر حماقته .. وكنت أعرف أن

هذه كذبة لانه أخبرنى بما تم ، فالامر مفروغ منه ولا حاجة به الى سفر جديد ، ولكنها لم تكن تدري انى اعرف هذا والا للجات الى كذبة أخرى

وقضينا النهار على خير ما نستطيع ، واذا بنا بعد العصر نتلقى هذه البرقية : « اصطدمت السيارة وتحطمت ، واصابتى خفيفة . فهل تستطيعين أن تحضرى ؟ .. سيكون أخى بانتظارك بسيدى جابر خليل »

فدعرنا جميعا فقد كان من الواضح ان الحادثة اكبر مما زعم .. ولم تستطع أختى أن تضبط نفسها ، فبكت وهمت أُمى أن تزجرها عن البكاء ، فقلت لها : « دعيها فما خلق الدمع للناس عبثا » . فقامت ترتب لها أشياءها فى الحقيبة ، وتضع معها ما قد يحتاج اليه زوجها مخافة أن تكون حقيبته قد فقدت فى الحادثة ، أو تركت مع السيارة المحطمة

وقلت لأُمى : « اذهبى معها ، وسألحق بكما غدا .. فانى مضطر الى البقاء الليلة ، وأبرقوا الى فى الصباح بعد أن تروه ليطمئن قلبى »

وودعتهما فى المحطة وعدت الى البيت - بيت أختى - حزينا كاسف البال موجه القلب ، وجلست فى البيت أفكر فى هذا الحظ السيئ وأسخط على خليل ، وأقول لنفسى هل كان لا بد أن يصنع هذا الاحمق ما صنع ، وأن يعلن الى زوجته الجفوة ليلة العيد، ويروح يكسر عظامه أيضا ويرج زوجته هذه الرجة الشنيعة؟ . ولكنه لقي فوق جزائه . مسكين . ومن يدرى ماذا جرى له . ؟ ولعله الآن مشرف على الهلاك ، وانها لقسوة ان ألومه . ثم انه كان مثال الزوج الصالح ، ولم تكن سيرته معها قط الا سيرة المحب الذى لا يعنيه من الدنيا سوى زوجته ، فماذا يا ترى جرى حتى كانت هذه الجفوة المشؤومة ؟

وانى لجالس ادخن سيجارة فى اثر اخرى،وبى ما يعلم الله
من الحزن .. واذا بخليل داخل كالقنبلة !! فانتفضت واقفا
وحدقت فى وجهه مذهولا وفمى مفتوح كالابله ، فلما رآنى
كذلك وقف هو ايضا ، وسألنى اول ما سأل : « أين فريدة ؟ »
فاحسست انى سأسقط على الارض ، فانحططت على
أقرب كرسي ورفعت يدي الى راسى ، فأقبل على يهزنى
بعنف ويقول بصوت عال جدا : « أين فريدة ؟ . قل ..
انطق .. ماذا جرى ؟ »

فحاولت أن اتكلم ، ولكن لسانى وقف فى حلقى ، فأشرت
الى البرقية المشؤمة ، فتناولها مستغربا ولم يكذب يقرأها
حتى صرخ : « ايه ؟ »

فوجدت لسانى ، وقلت : « ماذا تظن ؟ . من أرسل هذه
البرقية ؟ » قال : « لا ادرى .. ماذا نصنع الآن ؟ .. فكر ..
فكر .. فقد ضاع عقلى .. فريدة .. من يدرى فى أيدي من
من الاشرار ستقع الآن ؟ »

فقلت : « وأمى أيضا معها .. رهينتان لا واحدة
يا صاحبى »

فقال : « رهينتان ؟ . هل تعنى أنك تعتقد ؟ . »

قلت : « بالطبع .. أى معنى لهذه البرقية غير ذلك ؟ .
انها شرك .. وليس المهم الآن حل اللغز بل السفر وراءهما
لأنقاذهما .. لمنعهما من الوقوع فى أيدي هؤلاء الاشرار كائنين
من كانوا »

فقال : « صدقت .. قم بنا » قلت : « سيارتك لا تصلح
لهذا .. الا تستطيع أن تجد لنا سيارة قوية .. تستعيرها
من أى صديق ؟ »

وفى هذه اللحظة أقبل أخى فتشهدت واستبشرت ، فقد

كانت له سيارة جديدة من طراز هدسون تستطيع ان تطير بنا ، فدفعته الى الباب وسبقته الى السلم وأنا أناديه وأدعوه أن يسرع ورائي

وكان أخى يكره السرعة فتوليت أنا القيادة ، وجلس هو وكلبه معه ورائنا ، وجلس خليل معى وكان لا بد من التمهّل حتى نخرج من المدينة والا عطلنا الشرطة ، وكنت كالجالس على الجمر ، ولكن ما حيلتى ؟ واجتزنا شبرا بعد أن ضاع ربع ساعة ثمين ، فسألت أخى : « هل الانوار قوية ؟ » ولم تكن بى حاجة الى السؤال فانى أنا السائق وأمامى مفتاح النور وفى وسعى أن أجرب ، ولكن السؤال جاء دليلا على مبلغ اضطرابى . ودليل آخر على هذا الاضطراب هو أننا لم نخبر أخى ما الحكاية ، فراح يكلم كلبه ويقول : « روكسى انه يسأل عن الانوار هل هى قوية .. كانه لا يعلم .. لا بأس .. هل تظن أن من حقه أن ينتظر جوابا .. نعم ؟ »
الجواب تحصيل حاصل .. ؟ بالطبع .. الحق معك .. ثم أنه أرسل النور أمامه وهو يضيئ الى مسافة أميال .. اليس كذلك ؟ .. ولكن الى اين يمضي بنا يا روكسى .؟ نعم .؟ أقول أن هذه هى الطريقة الامريكية فى الاستيلاء على السيارات واغتصابها من أصحابها الشرعيين ؟ . انها كذلك على التحقيق .. وانى أراك مصيبا دائما فى ملاحظاتك يا روكسى أوه .. تسعون ؟ روكسى .. انه يخطف بنا الارض فهل تظن انهما ارتكبا جناية ؟ . »
وهكذا وهكذا ..

ولم أكن أستطيع أن أقول له شيئا لأن عينى على الطريق . وكان خليل يساعدننى فينظر الى عداد السرعة ويخبرنى بالرقم الذى نرتقى اليه وينظر فى الساعة كذلك ، فيطمئننى أو يزعجنى ، وأخى ماض فى هذره حتى بلغنا بنهما . ولم أدخلها بل أثرت أن آخذ طريق سيارات النقل لانه أقصر

وان كان غير ممهد - اجتنابا للبطء الذى يضطر اليه فى شوارع المدينة . وبعد ان اجتزنا الكبرى الجديد ، ثم جسر السكة الحديدية - أو المزلقان كما يسمونه - أطلقت للسيارة العنان فجعل خليل ينظر ويقول : « مائة .. مائة وخمسة . وعشر .. وعشرون .. وخمس وعشرون .. أمض أمض . لا شيء .. هذه دجاجة .. »

فقال أخى : « أظنها ذهبت الى جنتها - جنة الدجاج - قبل الاوان .. أترأه سباقا يا روكسى ؟ »

وبلغت السرعة مائة وثلاثين كيلو ، فلولا أن السيارة كبيرة ومتينة وثابتة لانقلبت بنا وقتلتنا .. ولكن أخى خبير بالسيارات والذى لا يعرفه عنها لا يستحق أن يعرفه أحد . والحق أنها كانت سيارة أصيلة ، بل هى السيارة وكفى . ولكن بالى لم يكن فى ذلك الوقت الى شيء من هذا ، بل الى مابقى من الوقت حتى يصل القطار الى طنطا أو دمنهور والى مبلغ الامل فى ادراكه قبل أن يبلغ سيدى جابر

وتأدى الى صوت أخى يقول : « هل تعلم يا روكسى أن اسماعيل مهمل - يعنينى - .. أموافق انت ؟ . هذا ما كنت انتظر .. ولكنه ينقصك أن تعلم لماذا .. أتريد أن أسر اليك يا روكسى بالسبب ؟ .. اسمع اذن ولكن لا تخبره .. لقد أردت أن أستعير حقيبته الصغيرة .. أقول لك الحق يا روكسى بينى وبينك يا روكسى .. استعرتها فعلا .. ولكنى وجدت أنه أهمل أن يضع فيها المفتاح ولهذا جئت الى بيت الأخت لعلى أجده فأخذ المفتاح .. أعرف ما تريد أن تقول فانك ذكى .. بالطبع لم يكن ينتظر أن يعطينى المفتاح .. ولكنى كنت سأأخذه على كل حال .. أوه بطريقة من الطرق .. من غير أن يشعر بالطبع .. »

وقد هممت مرات أن أصيح به ، ولكنى كبحت نفسى فليس هذا وقت الاختلاف على الحقائق .. ولكنه غاظنى

مع ذلك أنه اخذها وهو يعلم أن فيها أشياء ، فقد كنت أعددتها لرحلة قصيرة ، فلما جاء رسول أختي عدلت وكان ما كان .. ونويت أن أغتنم أول فرصة تسنح لاستردادها . بطريقة من الطرق .. كما يقول .. والبادي أظلم

ولم أكن أطمع أن أدرك القطار في طنطا ، فلم أستغرب أن أعرف أنه تركها قبل وصولنا بعشر دقائق ، واحتجنا إلى البنزين فضيعنا دقائق أخرى ، ثم استأنفنا السير بأقصى سرعة لنعوض - سلفا - التأخير الذي لا بد منه في كفر الزيات . واعترائي ما يشبه الحمى ، فلم أعد أبالي كيف أقطع الطريق .. وكنت ربما صادفت مركبة أو رجلا على حمار أو جمل فأمرق ولا أعنى نفسي باليمين والشمال . ولم يكن الطريق بعد كفر الزيات على خير ما يمكن أن يكون ، ولكني لم أكن أحفل بذلك ولم أترفق بالسيارة . وكان أخى يرى هذه السرعة الجنونية - فقد بلغنا أربعين بعد المائة وأصررنا عليها - فيقول لكلبه :

« انظر يا روكسى .. ان الخبيث ينتقم منى - أعنى منا فانك شريكى فى كل شيء - لأنى استعرت حقيبته .. من أجلها يريد أن يفجعنى فى السيارة .. أى والله يا روكسى . فتعال نبك على ما كلفتنا من مال يضيع الآن فى هذه السكة المنحوسة .. ثلاثمائة وخمسون جنيهًا خرجت عنها من حر مالى .. وماذا يعنيه هو .. يأخذها بلا استئذان ، وينحبنى عن مجلسى فيها ، يردنى إلى الوراء .. هل هذا يليق يا روكسى ؟ »

ولولا أن خليلا صاح فى هذه اللحظة : « القطار . القطار . سنسبقه يا اسماعيل .. سنسبقه بالتأكيد .. الحمد لله » لمضى أخى فى هرائه . وكنا قد قاربنا دمنهور ، فلما بلغنا مدخلها عاد أخى إلى الثرثرة ، ولكنى لم أسمع شيئاً لأن أذنى كانت تطن . ودنونا من المحطة ، فوقفت وفتحت الباب ،

وقلت خليل : « انزل .. بسرعة » فشرع يفتح الباب من ناحية واخي يقول : « ألم أقل لك يا روكسى أنه سباق .. بين السيارة والقطار ؟ .. »

ولم أسمع بعد ذلك شيئاً لاني ذهبت أعدو الى الرصيف الذي يقف عنده القطار . ولم نكد نفعل حتى دخل ، فركبت — بلا تذكرة ، وماذا يهم ؟ — و خليل ورائى . ومشينا خلال المركبات حتى وجدنا امى واختى ، فانحططت بجانبهما بلا كلام

ولو كان فى رأسى أو رأس خليل عقل لنزلنا بهما من القطار وعدنا بالسيارة على مهل ، ولكننا لم نفكر فى شيء حتى كان القطار فى طريقه الى سيدى جابر ، فأدركنا أننا تعرضنا لغرامة فادحة لم يكن لها داع . وكان فى الوسع اتقاؤنا لو غنينا أن نخبر المفتش أو أحداً من رجال القطار أننا راكبون من هنا، وسندفع الاجر فى القطار .. على أن الثقة بأنا أنجينا الفريستين هونت علينا الخسارة

وقلت لأختى : « هذا زوجك .. البرقية مزيفة ، فما رأى الآن ؟ . »

ولكنها لم تكن فى حال تسمح لها بابداء رأى . وأى رأى هناك يمكن أن يشير به أحد .. لقد ضاعت الفرصة الذهبية فى دمنهور ، ولو كنا أخبرنا اخى على الاقل لاستطاع أن يبرق الى بوليس سيدى جابر بالموضوع، ولكن لا استمرار السفر فى هذه الحالة معنى ، أما الآن

وعلى أنا قلنا ان الفرصة لم تضع، وأن من الممكن اذا تركنا الاثنتين تسيران أمامنا وحدهما وعيوننا عليهما أن نرى هذا الذى سيتقدم لهما نائباً عن اخى خليل ، وقد نستطيع فى ذلك الوقت أن نجعل البوليس يقبض عليه .. على كل حال لم يبق الا هذا ..

ولكننا لم نجد فى سيدى جابر غير الحمالين . ووقفنا بعيدا

ووقفت الاثنتان تنتظران أن يتقدم اليهما أحد - رجل أو امرأة - حتى البوفيه لم يكن فيه أحد ، فقلنا لعله ينتظر في الشارع فأومأنا اليهما أن تخرجا أمامنا ، فلم يكن حظنا خارج المحطة أحسن منه داخلها . ولم تبق فائدة من التفرق فركبنا وهممنا بالمضي الى الفندق . ولكن خاطرا خطر لى فجأة فنزلت وذهبت الى مكتب التلغراف وبعثت ببرقية منه وفي اليوم التالي كنا في مصر . .

ولكن هذا لم يكن كل شيء . وهنا يحسن أن أدع أخى يتكلم :

« لعله يعنيكما - يريد أختى وأمى - أن تعرفا كيف كانت عودتى البارحة بعد أن تركنى هذان المخلوقان . لا فائدة من قولى انتظرت ، فان هذا القول لا يدل على شيء . فقد تركنى فجأة وذهب يعدو كأنى جرب . . حتى محرك السيارة لم يعن بأن يوقفه . ستقولون جميعا انه كان معذورا . فليكن فان الجدل عبث ، وستسمعون بأشياء أخرى أرجو أن يكون عذره فيها أوضح . . وكان معى روكسى كما لا أحتاج أن أقول ، ولا أدري ماذا كنت أصنع لو لم يكن هذا الرفيق معى . لعلى كنت أجن أو يحدث لى شيء من هذا القبيل . ما علينا ، هل أقول ان الامر طال على وأنا قاعد فى السيارة ؟ كلا . . وهل أقول انى كنت ميتا من الجوع ؟ كلا أيضا . واختصر حكاية مؤلمة ، فأقول انى نزلت من السيارة وسرت فى الاتجاه الذى رأيتهما يقصدان اليه ، ولم يكن الامر يحتاج الى ذكاء . . فقد كان كلامهما دائرا كله على القطار ووجوب سبقه ، وان كان فيما عدا ذلك لا معنى له عندى . ولم أجدهما فى المحطة كما تعلمون ، لانهما شاء أن يركبا القطار من غير أن يبعثا لى بكلمة . وقد سمعتهما يقولان انهما أديا أجر الركوب مضاعفا ، وهذا

حسن وان كان قليلا .. ولكنه يبرد بعض الفلة . وقد
وصفتهما لكل من في المحطة ، فظن واحد انهما هاربان من
سجن ، واعتقد ثان انهما مجنونان خطران . واقتنعت أنا
بان لا فائدة من البحث ، وان أبى - رحمه الله - أخطأ حين
رمانى بهذا المخلوق وزعمه أخا ، وان أمى أخطأت أيضا في
ربطنا بهذا المخلوق الثانى الذى أخفوا أمره عنى حتى خطف
أختى ، فصار واجبى الآن بعد أن عرفتة أن أخفيه أنا عن
الناس . ما علينا .. فلندع هذا التاريخ القديم .. اظنكم
ستضحكون حين اقول انى احتجت أن أكل وأن اطعم روكسى
وقد يسركم أن تعلموا انى أحب أن انسى فترة هذا الاكل
وان أمحوها من تاريخ حياتى الحافل بالتضحيات في سبيل
من لا يستحقون شيئا .. ولكنى هكذا دائما .. كريم
مفضال ، وجزائى من الناس بل ممن يمرحون في ابراد
نعمتى الجحود والكفران . ما علينا أيضا ..

وقلت لروكسى : تعال يا صاحبى ، فان هذا بلد
لا يستحق أن يتشرف بوجودنا فيه ، فلنرجع الى بيتنا في
مصر .. وقد كنت أسلمت السيارة اليه وهى سليمة
لا شيء بها ، ويشهد شريكه في المؤامرة انها أنقذتهما ، ولكنى
حين أردت أن أدير محركها أبى أن يتحرك ... ولا أطيل .
قضيت نصف ساعة في هذا البرد حتى استطعت أن أقنعها
بالحركة والعودة الى دفع البيت

وكانت السيارة كأنما ركبها قبلى الف عفريت ، ولكنى
صبرت وقلت عوضى على الله ، وهذا جزاء من يكون له أخ
كهذا ونسيب كهذا .. وأظن أن الفجر بدأ يطلع حينما بلغنا
شبرا ، فتنهدت وتمهلتي في السير وإذا بشرطى يستوقفنى ،
فوقفت فدار حتى صار الى جانبى ، وقال وهو ينقر على
الزجاج : « تفضل معى الى الكركون »

فقلت : « الكركون ؟ » ، قال : « نعم تفضل انزل »

فقلت : « ولكن لماذا ؟ . ماذا صنعت ؟ . انى لم اكن
مسرعا بل كنت اسير بسرعة خمسة أمتار فى اليوم والليلة »
فقال بلهجة جافية : « انزل ولا تحوجنى أن أجرك
بالقوة »

فقلت لى نفسى ان المكابرة والجدال عبث ، ولا شك انى
سأجد رجلا يفهم فى مركز البوليس . وذهبت معه ، فقال :
« اقعد هنا » ، فقعدت حيث اشار ، وهم بتركى فتعلقت به
وقلت : « الا تسمح من فضلك بأن تخبرنى لماذا جئت بى
الى هنا ؟ »

فنهرنى بعنف ، فهويت الى الكرسى وروكسى بين يدى
لم أر احدا مستعجلا سوى . واخيرا جاء شرطى آخر ،
وجلس الى مكتب وأخرج اوراقا وبدأ يستعد للكتابة ،
وسألنى عن اسمى وعنوانى ومولدى وعن السيارة ورقمها ،
ثم سألنى بخبث : « ماذا معك فيها ؟ »

فابتسمت وقد خيل الى انه ظننى من مهربى المخدرات ،
وقلت ببساطة : « ليس معى سوى روكسى »

فقال : « ايه ؟ » قلت : « يعنى الكلب .. اسمه روكسى » ،
فقال متهمكا : « يا حبيبى يخوى .. كمان عامل لى قمع
ومعك كلب .. تعملوها وتخلوها والله »

فلم ادر ماذا أقول له .. واعفانى من الكلام ، فسألنى :
« هل معك مفتاح السيارة ؟ »

فناولته المفتاح ، فنادى شرطيا وطلب منه ان يفتحها
أمامى ، وأن يجىء بما يجده فيها فلم يجد الا الحقيبة ..
اضحكوا .. اضحكوا .. لا بأس .. سيجىء يوم اثار فيه
لنفسى ..

فلما جاؤوه بالحقيبة ، ابتسم ابتسامة عريضة جدا وتنهد
مرتاحا ، وقال لى : « لا شىء .. هه .. ؟ طيب »

فابتسمت أنا أيضا وقد صح عندي أنه يحسبني من
المهريين وأيقنت بقرب الفرج . وشرع يسألني عن الحقيقة ،
فقلت له أنها لأخي وذكرت اسم الأخ المحترم ، فادهشني
بأن سألني هل أنا اعترف بأن الحقيقة لاسماعيل أفندي زفت
وقطران . ؟ فقلت بالطبع أنا معترف .. انه أخى

فقال : « أخوك .. ؟ أوافق أنت أنه أخوك ؟ »

فضحكت وقلت : « بالطبع واثق .. ولكن ما هي الحكاية ؟ »
فقال : « أين المفتاح ؟ »

قلت : « معه .. لم أخذه منه » . وهممت بأن أقص عليه
القصة ، ولكني رأيت أنها مما لا يصدق فأقصرت ، فقال :
« هل تستطيع أن تثبت شخصيتك ؟ »

فقلت : « بالطبع .. ماذا تظن ؟ .. » ودفعت يدي في
جيبى لأخرج له أوراق السيارة ورخصة القيادة وغير ذلك
مما عسى أن يكون في جيبى ، فما راعنى إلا أن الجيب خال
ليس فيه قصاصة واحدة ! وأظن وجهى فضحني على
الرغم من محاولتى أن أتماسك وأتجلد ، فقد سألني بعد ذلك
مباشرة عن السيارة ولمن هي ؟ فأيقنت انى وقعت ، وقلت له :
« اسمع .. أنك تطيل بلا داع .. لا بد أن يكون قد حدث
خطأ ، ومن سوء الحظ انى نسيت الاوراق كلها في البيت ،
فاذا سمحت فارسل معى شاويشا أو عشرة اذا شئت الى
البيت لأجيئك بكل ما يزيل الشك ويريح ضميرك »

فلم يبال بهذا الاقتراح المعقول ، وقال : « هل أنت مصر
على دعواك أنك أخو اسماعيل ؟ »

فقلت : « الحقيقة انى مستعد للتبرؤ منه ولكن الى أن
أفعل لا يسعنى أن أنكر أنه أخى » . فقال : « اذا كنت أخاه ،
فلماذا يبعث ببرقية كهذه ؟ » .. وناولنيها ، فقرأت فيها
الحكم على

وللرجل العذر لانه اذا كان اسماعيل هذا أخى ، فلماذا

يطلب من البوليس أن يحجز السيارة رقم كذا ، وفيها حقيبة
صفتها كيت وكيت . لا تعترض من فضلك . . لقد كانت
عبارة البرقية يفهم منها أنك تريد حجز السيارة أيضا .
ولا اكتمك أنى لم أجد جوابا لهذا السؤال ، وأنى استحيت
أن أقول أنه مزاح بارد

وحررت ماذا أصنع ، ولم يفتح الله على بحيلة تخرجنى
من هذا المأزق الثقيل . . وكان النهار قد طلع ولكننا ما زلنا
في البكور ، ولا يليق أن أزعج الناس في مثل هذا الوقت ،
فعدت الى اقتراحى أن يبعث معى من يشاء الى البيت ،
فرفضه . فسألته عن المأمور من هو ؟ عنى أن يكون من
معارفى . . فانتهرنى بغلظة ، فتساهلت وسألته عن المعاون
أو غيره ، فلم يزد على أن قال : « بلاش دوشة » ، فناشدته
أن ينظر الى ثيابى ، وأن يفكر هل هذه ثياب مجرم ولص ؟
فقال وهو يضحك : « أن بين اللصوص من هم أشد أناقة
منك » فوضعت أصبعى فى الشق ، وأسلمت امرى الى الله



وختم المحضر على هذا . . أى على أنى لص ولا شك وأن
البوليس حاذق فطن ولا شك . ولست الوم البوليس ، فقد
كانت كل القرائن ضدى . وأشهد له أنه كان رفيقا ، فقد
سمح لى بأن أشتري - أعنى أن يبعث من يشتري شيئا
لطعامى وطعام روكسى . ولا أنكر أنى شربت قهوة أيضا ،
وان كانت أشبه بمغلى الفول السودانى أو بماء ألوحل
الساخن . ولكن هذا لم يكن ذنب البوليس

واخيرا فى الساعة الثامنة دخل ضابط علينا ، فنظرت اليه
ببلادة . . فقد فترت ويئست ولم أعد أبالى ما يجرى لى ،
ولكنى لم أكد أرى وجهه حتى انتفضت واقفا ، وصحت به

« حمدى .. الحمد لله .. أين المحقق ؟ »

فاستغرب وسألنى عن الحكاية ، فقصصتها عليه فضحك
ملء شذقيه . مدهش أن يضحك الناس من هذه الفصول
الباردة !! . والباقي لا يحتاج الى كلام .. جئت الى هنا ونمت
ساعة او اثنتين على هذا الكرسي بشيابى .. ولكنه ينقصك
يا حضرة الأخ أن تفسر للبوليس مزاحك ، فقد صار الامر
مزاحا مع البوليس لا معنى »

فما استطعنا أن نتكلم ونغالب الضحك ، قلت : « هون
عليك .. فانى أعرف ماذا أقول .. ولكنى أرجو أن يكون
ما حدث درسا لك »

فقال وفي عينيه نظرة خبيثة : « وانا أرجو أن يكون
ما حدث لكم درسا كذلك »
فقال خليل : « ماذا تعنى ؟ »

فقال اخى : « اعنى انكم لو لم تكونوا عميا لعرفتم ان
البرقية ليست لكم .. للجار رقم ٢٢٣ ، وقد تشابه الرقمان
على الساعى واتفق أن اسم الجار خليل أيضا ، واتفق أنكم
عمى لا تبصرون . ولولا ذلك لقرأتم الرقم واسم الذى أرسلت
اليه البرقية .. هذا ما اعنى .. فقوموا كفروا عن سيئاتكم
يا جهلة »

المرح فافحه صا في الموقف
الصبي

عقاب اللص

لست أخشى اللصوص .. فما معى ولا فى بيتى ما أخشى
عليه الضياع وأتقى أن أمنى فيه بخسارة . ولو أن لصا
كريما فيه مروءة دخل بيتى - أو حيث أقيم فما هو بيتى -
وحمل ما فيه من متاع لحملته شكرى ، ولبعثت بنسخة منه
الى الصحف .. فان من اللؤم أن يقابل الاحسان بأقل من
الشكر .. فما أرى لى متاعا فى شىء مما حولى . وسبب
آخر يجرؤنى على لقاء اللصوص وينفى عنى الخوف منهم
ويجعلنى لا أتهيبهم ، وذلك أنى كما تعلم - أو كما لا تعلم -
ضامر ضاو ، ظاهر الضالة بادى الضعف . وأوجز تعريف
بنفسى يحضرنى الآن ، هو أنى امرؤ فارغ الثياب .. وأحسب
أن هذا تعريف شامل محيط جامع مانع ، فان لم يكن كذلك
فأمهلونى حتى يلهمنى الله ما هو أوفى . وأرجع الى اللصوص
فأقول ان الذى يجعل لقاءهم خطرا فى ساعات العمل هو
أنهم يريدون التخلص مما وقعوا فيه اتقاء السجن وما فيه ،
والمفاجأة فى هذه الحالات تذهلهم وتطير صوابهم ، فيحدث
أن يضيفوا الى جريمة السرقة جريمة أخرى هى الاعتداء
على النفس .. أما اذا كان الذى يفاجئهم رجلا صغير الجسم
مأمونا مثلى ، لا خوف من قدرته على منع السارق من الفرار
والنجاة .. فان العدوان لا يخطر لهم على بال . وحسبهم
أن يشدوا هذا المتطفل بحبل ويلقوه فى زاوية أو ركن ،
ويمضوا فى عملهم كأنما لم يعطلهم معطل . ومن هنا اطمئنانى ،
وهو اطمئنان لم يززع الثقة به الى الآن مزعزع
وقد اتفق لى أن كنت مرة فى الاقصر وكان الوقت شتاء ،
والاقصر تطيب فى هذا الوقت .. فنزلت بالفندق ومضى يوم
أو يومان - فقد نسيت لطول العهد - واذا بصديق من أغنياء

الاقصر يقع على في شرفة الفندق حيث يجلس أكثر النزلاء
يشربون الشاي قبيل المغرب . وأقول يقع على - وأنا أعني
ما أقول - فقد كان ظهري اليه وهو مقبل ، ويظهر أن باله
لم يكن إلى الأرض وهو سائر فاصطدمت رجله بساق
الكرسي الذي كنت جالسا عليه فكاد يقع وارتمى فوقى
- أعني الصديق لا الكرسي - ثم شرع يعتذر وشرعت أنا
أيضا أهز له رأسي ايدانا بقبول الاعتذار ، فالتقت العيون
وإذا به يكف عن الاعتذار ويصيح : « أوه .. أوه انت ؟ »
كانما هذا ينفي وجوب الاعتذار ويعفيه من تكاليفه
ويجعلني غير أهل له ، فقلت له : « نعم .. أنا أنا يا صاحبي »
قال مستغربا : « وماذا جاء بك إلى هنا ؟ »

قلت : « قذفتني موجة الحياة على هذا الساحل الذي
لا أراه أرفق بي من اليم » . قال : « آسف يا صاحبي .. »
فقلت مقاطعا : « لان الحياة رمت بي على شاطئكم ؟ »

قال وهو يجلس : « لا لا لا .. انما عنيت اني آسف لاني
وقعت عليك » . قلت : « هذا أدهى .. أوكد لك اني
لم أتعهد أن أكون في طريقك »

فصاح بي : « يا أخى ، لا .. ليس هذا ما أعني ...
الا يمكن أن أقول شيئا لا تستطيع أن تؤوله على هذا
النحو ؟ انما أعني .. »

فترفقت وقلت : « أعرف ما تعنى .. وأعرف أيضا أنك
حمار .. والآن هات حديثا آخر »

وعرف أنني مقيم بالفندق ، فدعاني إلى النزول ببيته
فأبيت .. وشكرته فألح ، فقلت له أنني هنا حر أفعل ما بدالي
ولا أتوخي الا راحتي . وحررتي أعز على من أن أقبل
ضيافتك الكريمة ، فأبى فأصررت ، ثم مضى وفي ظننى
أن الامر انتهى .. وإذا بي أعلم حين هممت بالعود إلى غرفتي
لحاجة لى ، أن الصديق حمل حقيبتي ومضى بها إلى بيته

وترك لى مركبته ، وانه لم تبق لى فى الفندق غرفة
وأوجز فأقول أنى لم يسعنى الا أن اذهب الى البيت على
فرط استثقالى لذلك ، فاذا البيت شىء مهول واذا هو بيتان
فى الحقيقة .. واحد للرجال وآخر بعيد عنه للنساء ، وبينهما
بستان واسع وحديقة زهر فيحاء ، وفضاء رحيب ..
الفيت أبناء صديقى يلعبون فيه - أو خيل الى فى أول الامر
أنهم يلعبون - ولكنى لما دنوت منهم رأيت رجلا معروفا
لم أرتح الى وجهه ولم يعجبني شارباه المفتولان وصلعته
الناصعة ، وكان قصيرا مثلى .. ولكنه أشد منى دمامة
وأضيق عينا . وكان هذا الرجل يصيح بالغلمان وهو واقف
لا يتحرك ، فيحركون أيديهم أو أرجلهم وينثنون ويعتدلون
ويستلقون على ظهورهم ويرفعون سيقانهم وأذرعهم ، وكان
صديقى واقفا يهز رأسه راضيا مرتاحا ، فقلت له : « ما هذا
الذى أرى ؟ .. ومن هذا الرجل القبيح ومن هؤلاء الصبية ؟
هل نويت أن تقيم فى بيتك (سيرك) ؟ »

فقال وهو يضحك : « لا لا لا .. هؤلاء أبنائى »
فقلت مستغربا : « أبناؤك ؟ . ولماذا تترك هذا الرجل
القبيح يمرغهم فى التراب ؟ »

فقال وهو يجرنى : « لا تصح هكذا ثلا يسمع .. انه معلم
الرياضة فى المدرسة .. يدرب الاولاد على الحركات الرياضية »
فقلت : « أولا يكفى تدريبه لهم فى المدرسة ؟ . مدهش ..
أمن أجل أن الله رزقك مالا تروح تبعثه فى هذا الكلام الفارغ
ليقال انك متمدين ؟ »

قال : « لا ، انك لا تعرف .. أن الحكاية طويلة ولكنى
أختصرها لك فأقول ان أحد السياح الأمريكيين كان هنا فى
الشتاء الماضى ، فاتصلت به بطبيعة الحال - صديقى تاجر
عاديات - ورأى أبنائى فنصح لى - وهو طيب - أن أعنى
بحياة أبنائى الرياضية ، وأن اتخذ لهم معلما . هذه هى

الحكاية .. وقد نسيت ان اقول ان احدهم كان مريضا «
قلت : « هذا ما قلت .. تقليد ليس الا .. ما علينا ..
أين الحقيقة ؟ .. فلست أنوى ان أقيم في مصحة »
ولكني أقمت في المصحة وان كنت قد استطعت ان اتقى
هذا « التصحيح » الذي يجرى على أبناء مضيقي ..



والاقصر - اذا كنت مقيما في بيت لا في فندق - مملة ،
لان الحياة كلها في الفنادق ، وقد حزننى صاحبي والقانى في
بيته . فلم اكن اخرج الا نهارا لآزور الآثار ، فاذا جاء الليل
ذهبنا الى شرفة الفندق ومكثنا قليلا ، ثم عدنا الى البيت
لنتغشى حتى ولو كنت غير جائع والا عد نفسه مقصرا في
حقى ، ولا ادرى لماذا .. ولكن هذا هو الاعتقاد الشائع .
وضقت ذرعا بهذا الكرم ولم اعد أطيقه ، فغافلته مرة
وانطلقت اعدو الى الفندق ، ودخلت البار وشربت حتى
ارتويت ثم خرجت الى الحديقة الرحيبة ، وذهبت أتمشى
فيها وأطوف في أرجائها . وكانت الليلة مقمرة والهواء
لا رطوبة فيه ، فطال تجوإبى فلما نظرت في الساعة اذا هى
الحادية عشرة ولم يكن هذا ظنى ، فبادرت الى العودة الى
البيت وقد سررنى أنى استطعت ان أروح وأجىء وحدى
وكما أحب وفي حيث أريد والسلام ، وان لم يكن هذا
- بمجرده - خيرا مما قررت منه .. فما كان ثم أى حرج
في أن أشرب أو أفعل ما أشاء وهو معى ، ولكن الوحدة
أشعرتنى حرية كنت افتقدتها معه اذ أراه الى جانبى ، وكان
هو يتوخى مرضاتى في كل شىء كبرام صفر . ولكنى لم اكن
أرتاح الى هذا ولا كان يسرنى ان أرى رجلا يقيد نفسه بى ،
وكان يخيل الى انه في سريره كاره غير راض ، وأنه مثلى
لا يريد ان يكون غير مرتبط أو مشدود الى أحد . ولم يكن

هذا كذلك في الحقيقة ، فان الرجل كريم عظيم الاريحية ،
 ولكن هذا هو الذي قام في نفسى وكبر في وهى
 وعدت الى البيت وأنا أشعر أن الحياة تستحق أن يحياها
 المرء وأن الدنيا جميلة ، وشعرت بشيء من الظما على كثرة
 ما شربت .. وكنت أعرف الطريق الى حيث أطفئ ظمئى
 ففتحت بابا ودخلت الى حيث الشراب ، وهو مكان رحيب
 فيه خزانات شتى ، فيها ما لم أحصه من الزجاجات المختلفة
 الالوان والحجوم ، وفي الوسط مائدة مستطيلة مغطاة
 بالمخمل الاخضر وحولها الكراسى الوثيرة .. فأدرت مفتاح
 النور ، واذا بى أرى ذاك الرجل الدميم القصير الذى يقيم
 الاولاد ويقعدهم ويعذبهم بالانحناء والانشاء والقفز والوثب
 والنط الى آخر ما كرهت منه ومن منظره ، فندت عنى
 صيحة استغراب وانكار ، وماذا يجيء به الى هنا في الليل
 - في منتصف الليل - وهو لا يبيت معنا بل يذهب الى بيته ؟
 ولم يخالجنى شك في أنه لص شرير ، على أنه خطر لى
 مع ذلك أن بيت الرجال أو الضيوف ليس فيه ما يسرق
 غير الاثاث وهو ضخم لا يسهل حمله أو نقله ، ورجع عندى
 أن هذا المعلم الرياضى لص خمر وأنه جاء متسللا ليشرّب
 كأسين أو ثلاثا بلا ثمن .. وسواء أكان هذا أم ذاك هو
 الصواب ، فقد شعرت أن من واجبى أن انقص عليه ليلته
 وصحت به : « من أين دخلت أيها اللص الجاحد الناصر
 للجميل ؟ » وكنت أتكلم بعنف وفي يدي عصا ضخمة وفي
 عيني لمعة أظن الفضل فيها لما سقانى صاحب « البار » في
 الفندق ، فرأيت الرجل يستخذى ويتضاءل ويتراجع الى
 النافذة ، فأطلقت عليه صيحة عالية : « قف » فوقف
 كالجندي ، وكان الفضل في سرعة الوقفة واعتدالها وجمال
 منظرها لتربية الرجل الرياضية أو العسكرية لا لقوة الصيحة ،
 ولكنه أطاع على كل حال .. فسررت وقلت له مرة أخرى :
 « قل من أين دخلت في الليل .. في منتصف الليل ؟ »

فقال بذلة وضراعة : « من النافذة .. فقد وجدت
الأبواب موصدة ، والخدم نياما » . قلت : « آه .. ولكنى أنا
لم أجد الباب موصدا »

وايقنت أنه كاذب وأنه تعمد أن يدخل من حيث لا يراه
أحد ، وهم في هذه اللحظة أن يقول شيئا فأطلقتها عليه
صيحة أخرى مدوية .. فى أذنى أنا فما اظن أحدا سمعها
أو سمع بها خارج الحجرة : « اخرس »

فخرس ووقف ساكتا لا يتحرك ، فسررت مرة أخرى أنه
يطيع على هذا النحو ، وقلت لنفسى ان للرياضة نفعا على
ما يظهر . ولو لم يكن هذا الرجل رياضيا ، لكان الارجح أن
يحاور ويجادل ويكابر ويناقش ويوقع لى رأسى ، ويسلب
الأمر كله ما أجد الآن فيه من المتعة

وقلت له : « الست أنت الرجل الذى يكلف هؤلاء الاولاد
المساكين أن يتلووا ويتعوجوا وينطوا ويقفزا ؟ »
قال : « نعم يا سيدى » . قلت : « أرنا اذن بعض ما أتقنت
يا صاحبى » . قال : « نعم »

قلت : « تلو .. تعوج .. انثن .. انحن .. افعل كل
ما رأيتك تأمرهم أن يفعلوا .. تفضل »

فتردد برهة لا أدري لماذا أو كيف ، ثم كأنما بدا له أن خير
ما يصنع هو أن يطيع وأمره لله .. فراح ينثنى ويعتدل ،
وأنا واقف أنظر اليه معجبا مسرورا ، وكلما نظر الى استزدته
حتى خيل الى أن ظهره سيقصم .. فدعوته أن يقف ،
وشرعت أفكر فى عذاب آخر أنزله به ، ففكرت جبينى
ثم تذكرت فقلت : « آه .. لقد كنت واثقا أنى سأذكر ..
اصنع من جسمك عقدة كعقدة الحبل »

فلم يفهم ، فقلت له مرة أخرى : « الا تعرف العقدة ؟ .
تلف الحبل وتصنع منه دائرة وتدخل طرفا منه فى هذه
الدائرة ثم تشد الطرفين فتعقد العقدة .. هكذا أريد منك

الآن أن تصنع بنفسك .. اصنع من خصرك دائرة وادخل
ساقك فيها .. أو لا أدري كيف تصنع ذلك .. المهم أن
تصنع ذلك وأن أراه .. تفضل »

فرقد الرجل على الأرض ، وراح يقوس ظهره كما لم أكن
أتوقع أن يستطيع أن يفعل .. وأنا متكئ على المائدة ، وفي
يدي سيجارة أشعلتها ورحت أدخن وأنظر معجبا مقتبضا .
ورأيت أنه يحاول أن يعقد العقدة التي أمرته بها ، فلم يسعني
إلا أن أضحك .. فقد كان منظره يغري بذلك وهو يتلوى
على الأرض ، ولكنني لحماقتي ضحكت والدخان في فمي ،
فكادت روحي تزهق .. وجعلت أسعل سعالا شديدا ،
فاغتنم الخائن الماكر هذه الفرصة ووثب الى رجله ثم الى
النافذة ، ومنها الى حيث لا أعرف

وبينما كنت أوصد النافذة .. وأنا آسف على المتعة التي
لم تطل ، اذا بمضيفي يقول : « يا أخى انت كنت فين ..
لقد حدثتني نفسى أن أبلغ البوليس والله »
فقصصت عليه القصة وأنا أكاد أقع من الضحك ، فقال :
« يا شيخ حرام عليك .. هذا رجل مسكين »

فصحت به : « اما انك لرجل مدهش .. اذا كنت
تعتقد أن تكليفه هذه الحركات البهلوانية تعذيب له فانها
تكون أيضا تعذبا لأولادك »

فقال : « لا .. ولكنه كبير السن وأولادى صغار ..
ثم انه لا يكلفهم أن يلوا أجسامهم ويصنعوا منها عقدة كعقدة
الحبل .. كيف خطرت لك هذه الفكرة الخبيثة ؟ »

قلت : « لم يخطر لى شيء ، وانما كان هذا ما بدا لى أنه
يكلف أولادك أن يصنعوه حين رأيتهم »

قال : « قم لتنام ، وحسبك هذا طول العمر »
وقد صدق .. فما أزال أضحك الى الآن كلما تذكرت
تلك الليلة

ثمن سجارة

كم تظن السيجارة كان ثمنها في سنة ١٩٠٩ ؟
لا أدري ممن القارىء .. أمن الايفاع الذين يزدان
بشبابهم الغض هذا القرن العشرون ، أم من المخضرمين
الذين ادركوا - مثلى - القرن الماضى وهو وجود بانفاسه ،
وأبوا الا أن يركبوا هذا الزمن بشبابهم الدائم الذى يأبى أن
يدركه الهرم أو يرده الشيب الى تكلف الوقار ، وأن كان
أعنى شبابهم المتلكىء - لا يمتاز لا بغضاضة ، ولا ببضاضة .
وليكن القارىء من شاء - من المحدثين أو ممن هم أحدث منه
وأن كانوا أعلى سنا - فهذه فذلكة تاريخية يستطيع أن
ينتفع بها اذا كان له من الذكاء حظ . وهل أحرص منى على
فائدة القراء .. ؟

كنت في تلك السنة - سنة ١٩٠٩ - قد تخرجت في
مدرسة المعلمين العليا ، ومن كان يشك في ذلك فليسال
وزارة المعارف فلن تحايبنى . وكنا في مقدمة الصيف ،
وكنت متعبا مرهقا - لا أدري لماذا ؟ فما أعرفنى عنيت
بحفظ درس في حياتى - فاستشرت طبيبا أو على الأصح
الح أهلى أن أسشير ، فقد صارت لحياتى قيمة بعد أن
حملت هذه « الدبلوم » وبلغت بها مبالغ الرجال الذين
يكسبون رزقهم وينفقون على سواهم . فلما فحصى
الطبيب ، قال : « لا شيء .. يكفى أن ترتاح وتتنزه » قلت :
« أين ؟ » وكان ضيق الصدر فقال : « وهل أنا أعرف ..
في أى مكان غير البيت » فلم يحسن وقع جوابه في نفسى ،
فقلت له : « وهل كنت تحسب أن بيتى متنزه يا أخى ...
أم خيل اليك أنى بنت لا أعرف غير غرف البيت .. سبحان
الله العظيم » وانصرفت ساخطا

وأوسعته ذما في الطريق الى بيتي - مزقته ونشرت لحمه
وجلدته للكلاب .. حتى الشعرات القليلة التي بقيت في رأسه
الأصلع انتزعتها واحدة واحدة ، وسرني أنه كان يتألم
ويتلوى وأنا أشدها بأظفري وأقتلعها من جذورها
- بخيالي - وكنت أقول له : « هذا جزاؤك يا وقح .. عسى
أن يعلمك هذا أن التهمك على الناس غير جائز »

ويظهر أنني كنت أكلم نفسي في الطريق بصوت عال ، فقد
استوقفني قريب لي وقال لي : « مالك ... ماذا جرى ؟ »
قلت له مستغربا : « نعم .. ماذا جرى ؟ »

وتجهمت له فقال : « من الذي تشتمه وتسبه هذا
السب القبيح ؟ »

فأفقت وارتد الى عقلي .. وكان قريبى هذا له نسيب
عندنا له بقية من مال قليل استودعناه آياه ليحريه مع ماله
في تجارته ، فقلت له : « يا أخى هذا الطبيب الذى أرسلتمونى
اليه يقول لى أنه لا دواء لى الا أن أذهب الى لبنان ، وأنه
لا أمل لى في الشفاء بغير ذلك .. ولا أدري ما أصنع ، فقد
ذهب أكثر نصيبى في نفقات التعليم والباقي لا يكفى للسفر
الى الشام . ولست أحب أن أجور على نصيب أمى أو أخى
وان كان من السهل رد ما اقترض بعد أن أقبض مرتبى من
وظيفتى .. وعلى ذكر ذلك ، أقول لك أنى عينت مدرسا في
المدرسة السعيدية الثانوية »

وكان الذى أخطر الشام على بالى في هذه اللحظة ، أن لى
صديقا أصابه صداع ملح أعيى الأطباء شهورا .. فبعثوا به
الى لبنان فاستراح من آلامه ، وكتب الى من هناك يصف لى
جمال البلاد ويدعونى الى اللحاق به

وكان لا بد من موافقة أمى على الاستدانة من نصيبها
أو نصيب أخى من هذه البقية الباقية من المال القليل ،

وكانت - رحمها الله - قوية ذكية ، ولم أكن أجرؤ أن أكذب عليها .. ولو أنها كانت سألتني لما وسعني إلا أن أحدثها بما دار في نفسي من أساليب الاحتيال عليها - لا خوفا منها ، بل لأنها عودتني أن أصدقها والا يكون جزائي على الصدق إلا الخير . غير أنها لم تسألني شيئا بل وافقت وقالت : « اقتراح حسن ... اذهب الى ... وخذ منه ما يكفيك »

ولو كنت ذكيا لأدركت أن في الأمر سرا ، وأن وراء هذه الموافقة السريعة التي لم أكن أتوقعها تدبيرا خفيا .. ولتذكر أنها كانت تحبني حتى لكانت لا تستطيع أن تفارقني يوما واحدا فكيف بشهر أو شهرين ؟ ولكن خفة الشباب صرفتني عن النظر في شيء من هذا ، فصدقت وذهبت الى الرجل فقال : « ليس معي الآن الا خمسة جنيهات فخذها ، ولولا اني مريض لخرجت معك لأجيئك بكل ما تحتاج اليه .. ولكن بضعة أيام لا تقدم ولا تؤخر »

فخرجت مغتبطا فما كنت رأيت قط قبل ذلك اليوم خمسة جنيهات - ذهبا - في كفي أصنع بها ما أشاء ولا أسأل عنها . وأنساني الفرح أن كوني لا أسأل عن هذه الجنيهات ماذا صنعت بها هو التدبير الذي لجأت اليه أُمي اعتمادا على ما تعرف من تبذيري وأسرافي اللذين أعياها علاجهما

ومضت أيام ثلاثة نقصت الجنيهات التي معي بعددها ، فقد أبقيتها في جيبى .. فطارت واحدا بعد واحد كأن لها أجنحة ، فعدت الى صاحبنا وقلت له اني أريد بقية المبلغ اللازم لأنى أخشى الضياع على كل ما يعطيني .. فأبدي الاستغراب وسألني عما بقي معي من الجنيهات الخمسة ، فقلت لم يبق الا اثنان فقط .. فهز رأسه ولم يقل شيئا وناولني خمسة أخرى وقال : « الى ان أشفى »

فكبرت في عين نفسي ، فقد كنت فرحت بخمسة وأحسست اني رجل عظيم .. فكيف وقد صار معي سبعة لا خمسة

فقط .. ولم أعد في تلك الليلة الى البيت الا قبل الفجر
متسللا ، فالفيت أمي قاعدة تدخن وتنتظرنى ، ولكنها لم تقل
شيئا واكتفت بالنظر والابتسام . ولو كنت ذكيا لاستغربت
أن تبسم لابنها الذى لا يكاد يقوى على الوقوف على قدميه
- لا من السكر فما كنت سكريا بل من التعب والاعياء
والسهر - وكانت هي تعرف أن الخمر لا تعيننى فلم تكن
تخشى شيئا من هذه الناحية



ولا اطيع على القارىء ، فانى أخشى أن أستطرد الى غير
ما أردت .. والحديث ذو شجون كما يقولون ، ويكفى أن
يعلم أنى أضعت خمسة عشر جنيها في خمسة عشر يوما .
وكان الذى عنده ما بقى من مالنا يتمثل للشفاء ، وكنت
أزوره لأعوده كل يوم فما ينبق غير ذلك ، فاتفق يوما أن كنت
عنده - معه في غرفته - فجاءه الطبيب على عادته في كل يوم
فخرجت الى الشرفة وجعلت أتمشى فيها - وكانت رحبة
- الى أن يفرغ الطبيب من فحصه ، وكنت قد اشتريت
« علبة » من الفضة للسجاير - فقد صار هذا البذخ في
وسعى - فأخرجتها من جيب البنطلون حيث رأيت أبناء
الوارثين يضعونها ، وأشعلت سيجارة وانطلقت أدخن
وقال لى الطبيب : « هذه قسوة »

فاستغربت وسألته عن معنى كلامه ، فقال انه - أى
الطبيب - حرم التدخين على نسيبنا هذا ، وقد كانت رائحة
الدخان تدخل الغرفة . وكان يرى المسكين تجحظ عيناه
ويهتز رأسه على الوسادة ، ولكنه لا يستطيع أن يقول شيئا
لأنه - أى الطبيب - واقف ، وحذرني من أن أعطيه دخانا ،
وقال ان مريضه لا شك سيتعلق بى ويلحف فى رجائى أن
أعطيه ولو سيجارة واحدة .. ولكن مصلحته تقتضى أن
لا أرق له . ثم أنصرف

وعدت الى صاحبا وقد اختمرت في رأسي فكرة - أخذ عشرة جنيهات دفعة واحدة ، فان أخذ الخمسات لا فائدة منه - وأسافر بها بلا تريث ، وأطلب من هناك كل ما احتاج اليه . . فما يعقل أن يضمنوا على شيء في الغربة . ودنوت منه ، وفركت كفى وقلت : « أظن أن لا فائدة اليوم من طلب شيء »

فوافق - وهو عابس - على أن لا فائدة فقلت : « حتى ولو كان الطلب لا يعدو عشرة جنيهات لا أكثر »

فزاد وجهه عبوسا وهز رأسه هزات متوالية بلا مناسبة فما كان ثم ما يقتضى هذا العنف وهو المحتاج الى الراحة التامة . ثم انى لم أعود منه الا التلبية السريعة ، فاقنعت بأن رائحة الدخان - أو الطبايق كما علمنى المرحوم الشيخ حمزة فتح الله - هى المسؤولة عن هذا السلوك الجديد الذى لا عهد لى به منه

فقلت : « الامر لله ثم لك . . ولكنى آسف . . آسف جدا . . على كل حال لا أظن أن الامر ليس فيه نظر . هه . ؟ » قال بلهجة الجزم : « أبدا » ولم يزد قلت : « لا حول ولا قوة الا بالله »

ومددت يدي الى جيبى ، فأخرجت العلبة الفضية منه وفتحتها ببطء - وكانت مملوءة بالسجائر - وخفضت يدي بها وأملتها وأنا أتناول منها - ليرى ما فيها من صفى السجائر ، وأخرجت واحدة ورددت العلبة الى مكانها ، وأشعلت السيجارة

وإذا بالنائم ينتفض ويقعد على السرير ويصيح بى بصوت كالرعد : « هات العلبة . . هات العلبة » فصحت به وأنا لا أرى مكانى ولا أظهر اكترانا لانتفاضه : « ايه ؟ »

فصاح وهو يلوح بكتلتي يديه : « هاتها .. أقول لك هاتها .
الا تسمع ؟ »

فقلت وأنا أظاهر بأني لم أفهم مراده الا الآن فقط : « آه
تقصد السجائر ... »

وأخرجت العلبة وفتحتها له وأنا في مكاني — على نحو
مترين منه — « هنا — في هذا الجانب سجائر الفيل .. وفي
هذا الجانب سجائر جناكيز »

فصاح : « هات .. هات .. هات »

قلت ببرود : « هي لك كلها اذا شئت »

فصاح : « او لم أشأ .. لقد قلت لك هات مائة مرة فهل
انت أصم .. هات .. أقول لك هات »

قلت ، وأنا في مكاني : « وهل تظن اني أضن عليك بشيء ؟
اذن انت لا تعرفني .. ولكنني أشعر بحاجة شديدة الى
عشرة جنيهاات .. عشرة ليس الا .. مبلغ زهيد في الحقيقة
وقد جئت اليك وفي مأمولى أن أبلغ عندك مقصودي ،
فما قولك ؟ »

قال : « خمسة .. مثل كل مرة »

قلت : « عشرة .. والعلبة كلها لك .. اذا شئت .. اما اذا
لم تشأ ، فالامر على كل حال لك »

قال : « اجعلها سبعة .. وهات بقى »

قلت : « انى أكره المساومة .. طباعى تأباها .. وتريتي
تجعلنى أنفر منها ... أوه أنفر جدا منها .. انك لا تستطيع
أن تتصور شدة نفورى من المساومة ... يبلغ من كرهى
لها أن ازهد فى الامر كله فلا أعود أقبل الكلام فيه مهما كان
الذى يبذل لى »

وطويت العلبة على سبيل التأكيد لهذا النفور ووضعتها
في جيبى وقلت : « والآن .. أستودعك الله .. ان شاء الله .

ان شاء الله اراك غدا بخير » وأدريت وجهي وهممت بالخروج ،
واذا به يصيح بي : « تعال يا مجنون .. خذ العشرة التي
تريدها .. هات بقي »

قلت : « حتى تصير العشرة في كفى هذه »

وبسطتها له حتى لا يساوره الشك .. فتنهد ، وناولنيها
وعددها على مهل ثم رميت له العلبة

وخرجت وتركت له السجائر غير عابىء بأوامر الطبيب ،
فما أطيش الشباب وأشد حمقه وأقل رفقه .. ولكن الله
سلم ونجا ولم تقتله السجائر . اما انا فلم يكتب لى الله أن
أذهب فى سنتى تلك الى الشام . ولهذا حديث طويل ليس
هذا وقته فان أكثر الذين يعينهم لا يزالون احياء فموعدنا به
بعد عمرهم الطويل



البغاء والقط

— أعوذ بالله من الستات .. انهن لا يرحمن ولا يتركن
رحمة الله تنزل

قلت : « لماذا .. ماذا يسخطك على الجنس اللطيف ؟ »

فاعتدل على كرسيه وحدث في وجهي ، وقال — أو صاح
على الأصح : « لطيف .. أتقول لطيف .. ؟ أكون جنسا
لطيفا ذاك الذي يلبس هذه الثياب الخفيفة في البرد ويبدو
فيها مكشوف الذراعين الى ما فوق المرفق ؟ اننا نحن الجنس
اللطيف لو عقل الناس »

قلت : « يا سيدي .. ثم ماذا أيضا ؟ » قال — غير عابىء
بتهمي : « ثم أنه ليس لطيفا في الحقيقة »

قلت : « هذه ملاحظة سمعتها فهي مكررة .. فاما قلت
شيئا جديدا ، والا فاسكت »

قال : « انما أعني أنه جنس غير لطيف المعاشرة »

قلت : « وكيف كان ذلك ؟ .. أعني ماذا يسخطك عليه
اليوم ؟ »

قال : « لعلك تذكر « احسان » .. لقد عرفتكم بها . تعلقت
بى كأنها ظلى ، فسئمت وأقول لك الحق انى خفت العاقبة ..
فقد كنت أستملحها وأستعذب حديثها وأستريح الى
مجلسها ، ولكن المصيبة أنها تحسب أن الملاطفة والمجاملة حب .
الحق أن أمر هؤلاء البنات عجيب .. كل كلمة من الرجل
— أعني كلمة ملاطفة أو تودد — يتخذنها دليلا على الحب ..
فاذا قلت لها أن ثوبها جميل ، أو أن شعرها المرسل أو الرجل
بديع ، أو أن حذاءها حسن ، أو أن ابتسامتها حلوة أو عذبة ،

أو أن ظل أهدابها على وجنتيها فاتن أو غير ذلك — أى كلمة ثناء تنطق بها — فما أسرع ما تؤولها بأنها صادرة عن حب وعشق وهيام وتدله .. مصيبة يا أخى والله ، يظهر أن هؤلاء الفتيات بهن ظمأ شديد إلى الحب ، ويخيل إلى أن حياتهن تجفف نفوسهن وتذويها وتؤجج فيها الشوق إلى الحب .. فلا تكاد الواحدة منهن تسمع لفظا عاديا من الفاظ المدح التى يستدعيها حسن المجالسة وأدب الحديث حتى يثب خيالها من فرط اللهفة إلى سماء الوهم السابعة »

فقلت — وقد برمت بهذه المحاضرة : « أتريد أن تقص حكاية أم أن تتفلسف ؟ يجب أن أعرف لأعد نفسى ، وأتھياً لما سألتقى »

فقال : « طيب .. قلت لك ان هذه الفتاة — « احسان » توهمت — أو أنا خفت أن تكون قد توهمت — انى أحبها . ولست أكرهها أو أستثقلها فانها ظريفة جدا ، ولكنها ليست الفتاة التى أختارها للزواج ولا سيما بعد أن عرفت « حورية » .. »

قلت : « انى أهئك »

قال بلهفة : « أو تعرفها . ؟ اليست بالله مدهشة ؟ ألا ترى انها ... » قلت — وأنا أرفع يدي لأصد هذا السيل المنحدر : « مهلا .. مهلا .. انى لى أن أعرفها ؟ . انما راقنى الاسم وجرى فى خاطرى أنك .. لهلك .. »

فلوح بيده وقال : « أنك ثقيل .. تخجل المرء وتلقى على حماسه ماء باردا .. ما هذه الطباع السخيفة ؟ . لماذا تحب أن تصدم الناس على هذا النحو القاسى ؟ »

قلت : « آسف يا صاحبي .. لم أصدك .. ولو كنت أعلم أن كلمتى سيسوء وقعها فى نفسك إلى هذا الحد لما نطقت بها . والآن أرجع إلى حوريتك ، فان اسمها يبشر بحكاية ... »

قال : « أو هذا كل ما يعنيك .. الحكاية ليس الا .. شيء بارد »

قلت : « يا أخى كن منصفاً .. هل تريد أن أحب حوريتك هذه من فرط حبك لها وأعجابك بها »

قال : « أعوذ بالله » قلت : « انتهينا اذن .. هات الحكاية »

فاقتنع وقال : « الحكاية أن حورية أهدتني ببغاء صغيراً وقطة أيضاً .. لا أدري لماذا ؟ . ولكن لعلها ظنت أن بيتي حديقة حيوانات .. على كل حال هذا ما حدث .. ثم سافرت ، وخطر لى أنى أستطيع فى فترة غيابها أن أتخلص من « احسان » حتى اذا عادت حورية ، وجدت الميدان خالياً .. فقد كنت أخاف أن ترى احسان معى مرة فنظن بى الظنون وان كان لا محل لها فى الحقيقة ، فما بينى وبين احسان ما يدعو الى أى ظن .. ولكن النساء لا يفهمن الصداقة ، ولا سيما بين الرجل والمرأة . واحسان كما تعلم رقيقة الاحساس جداً دقيقة الحساب والتقدير لكل حركة وكانت أمى تحبها وتخالقنى فى رأى فيها .. ولكنى كنت أقول لها - أعنى لأمى - أنى أنا الذى سيتزوج لا أنت ، فاسمحى لى بحرية الاختيار . واختصر فأقول انى اتفقت معها - أعنى احسان فى هذه المرة لا أمى - أن تمر بى فى البيت لنذهب معها الى القناطر الخيرية ونقضى يومنا هناك ومعنا أمى . وسافرت فى ذلك اليوم على الرغم من احتجاج أمى واعتراضها ، ولكنى حلفت لها أن العمل الذى يدعونى الى السفر لا يحتمل الارجاء . وطمانتها فأوصيتها بأحسان وألححت عليها - وان لم تكن بها حاجة الى ذلك - أن تكرمها وتسرها وان تتقى أن « تكسر خاطرها » كما يقولون .. فهل تدري ماذا صنعت أمى ؟ »

فهممت أن أقول شيئاً ، ولكنه منعنى بإشارة ومضى يقول : « ان الذى أريد أن أقوله هو ان أمى - على ما يظهر -

سُئِمَت عشرة القطط والبغاوات - ولها العذر - والحقيقة
انى لا ادري كيف يمكن ان يوفق بين قط قوى صحيح وثاب
وببغاء صغير لا يستطيع ان يتكلم ولا يحسن الا ان يخرج
اصواتا كتلك التى قد يخرجها كروان اصابه زكام - لا تقاطع
اعوذ بالله من هذه المقاطعة ، انما اعنى اذا امكن ان يصاب
الكروان .. او اى عصفور بالزكام .. هل استرحت الآن ؟
فقد كان القط لا ينفك يشب الى القفص محاولا ان يقتنص
الببغاء ، وكان الببغاء لا ينفك يصرخ او يصيح او يستنجد
اولا ادري ماذا اسمى هذه الاصوات المزعجة التى يخرجها
ويستغيث بها حين يهجم به القط . ومن العبث ان تحاول
ان تفهمه انه فى قفص وأن القط يستطيع ان يقتل نفسه
وثبا ، فان له - اعنى للببغاء - من القفص وقاية كافية .
وكيف السبيل الى الراحة فى بيت فيه ببغاء لا يكف عن
الصراخ ، وقط لا يكف عن الوثب حول قفصه ؟ والقط
حيوان خبيث متلصص لا سبيل الى منعه ان يدخل على
الببغاء فى حيث يكون من البيت الا اذا وقفت له بالعصى
على باب الغرفة طول النهار . ومع ذلك يستطيع ان يغافلك
ويتسلل من بين رجلك وانت غير دار بما فعل ، وان كنت
واقفا كالعصى او المقشة التى فى يدك . وقد حيرنا جدا
هذا القط - اعنى انه حير ابنى فقد تركت الامر كله لعنايتها
فاذا وضعنا الببغاء على حافة الشرفة لينعم بالشمس
والهواء قليلا ، نط القط اليه وراح يحاول ان يدخل من بين
القضبان فينأى الببغاء المذعور الى آخر القفص ، ويرى القط
ان يده لا تصل اليه فيطوى كفه ويثنى يده ويروح
يحكها بالقضبان - عامدا بلا شك - فينقلب القفص
ويصيب الببغاء الرعب ، فيضرب بجناحيه كالمجنون
ويطلق اعلى صيحاته المنكرة ، والقط يحوم حوله
ويلوب ويموء مواء له دلالة التى لا تخفى ، ويظل الجيران
من نوافذهم وشرفاتهم على القيامة التى قامت فى شرفتنا ،

ونسلم نحن الضجة فنذهب نعدو كمركمة الاسعاف .
أعنى أننا لا نبالي ما يكون في طريقنا من الأشياء ، فكم من
طاولة انقلبت بما عليها ، ومن زهرية انكسرت ، ومن أطباق
سجاير انتشرت في الغرفة ، الخ الخ ... وإذا علقنا الببغاء
- أعنى قفصه يا سيدى - راح القط يتوثب حوله غير
عابىء بما يسقط عليه حين يهبط الى الأرض من وثباته ،
ويقلبه أو يكسره .. ولا أطيل عليك فان فى وسعك أن
تتصور حياتنا مع القط والببغاء .. واكبر الظن أن حورية
أرادت أن تتخلص من هذا البلاء فأهدته الينا وقيدته علينا
فى سجل حسناتها . المهم على كل حال أن أمى فى غيابى
أحسنّت الاعتذار الى « احسان » وأهدت اليها القط
والببغاء جميعا .. ويخيل الى الآن أنها رمت عصفورين
بحجر .. لاحظ انى لا أقول أصابتهما ، وانما أقول أنها
رمتهما فما أصاب الحجر سوى رأسى .. ذلك انى بعد أن عدت
وعرفت ما كان واضطربت له وقلقت ، انتهيت الى أن الخيرة
فى الواقع وأنه ليس فى الامكان خير مما كان . ومضت أيام
وأنا مغتبط بالراحة الجديدة التى شعرنا بها بعد أن
تخلصنا من هذين البلاءين - القط والببغاء - وإذا بحورية
داخلة كالمدفع الرشاش . ولست أستطيع أن أقص عليك
ما سمعت منها ، فقد دار رأسى حتى صرت لا أعى ما أسمع ،
ولكن أمى لخصت لى الموضوع بعد خروجها ، فقالت أنها
عرفت - لا أدري كيف - أنى أهديت هديتها ، القط
والببغاء ، الى « احسان » فهى لهذا واجدة ناقمة ولا تريد
أن ترى وجه هذا الخائن بعد اليوم .. وهكذا طارت من
يدى حورية .. ما أظن بأمرى الا أنها تعمدت أن تطيرها بهذه
الحيلة .. فقد كنت أريد أن أتخلص من احسان فما تخلصت
الا من حورية . ولا أدري ماذا اصنع فانها لا تقبل أن تسمع
منى كلاما أو تصفى الى شرح وتفسير ، فهل عندك رأى
تشير به ؟ »

فقلت : « قل لى أولا .. هل تعلم كيف استطاعت احسان ان توفق بين القط والبغاء ؟ »

فقال : « الحق أقول لك انى اعتقد أن المرأة احزم من الرجل ، فان احسان لم تحاول قط أن تحل العقدة ... وانما قطعتها بحد السيف . ذلك انها لم تكد تصل الى بيتها وترى كيف ينظر القط نظراته المريبة الى البغاء حتى خيرت نفسها فاختارت البغاء . ثم تناولت القط ودسته فى غرارة ودفعت به الى الخادم ، وأمرته أن يذهب الى الطرف الآخر من المدينة ويفرغ الفرارة هناك . ويظهر أن حورية عرفت هذا أيضا فانى أرى نغمتها تزيد وتشند ولا أراها تفتر فما العمل ؟ »

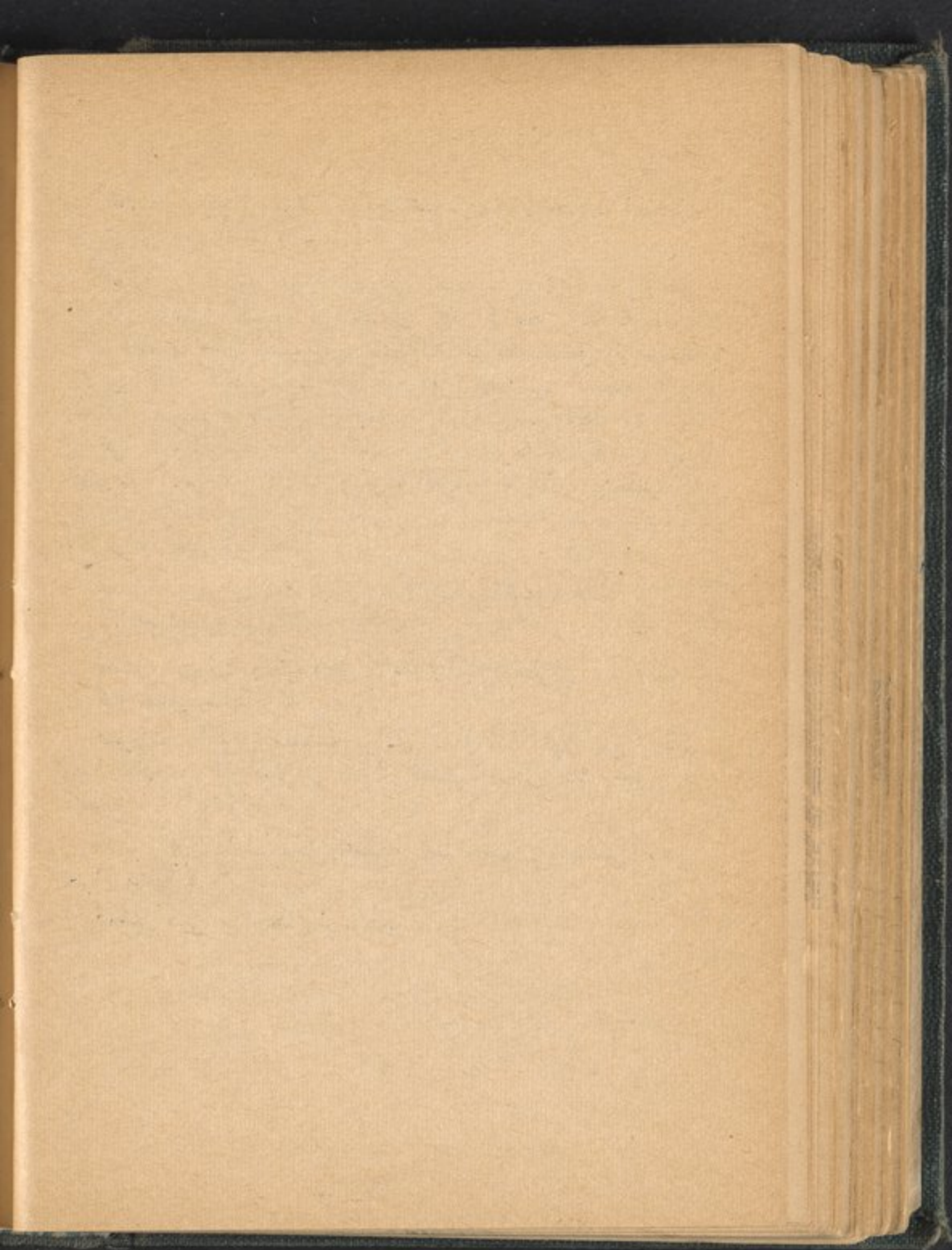
فقلت : « اوه .. لا شىء .. لا تقطع نفسك حشرات ..
دع الايام تعمل عملها »

فصاح بى : « ولكن عمل الايام زفت وقطران .. فكيف اتركها تعمل عملها ؟ »

فهزئت رأسى ومططت بوزى . وماذا أقول لمن يتكلم هذا الكلام .. ثم خطر لى سؤال فقلت : « هل أمك رجل ؟ »
فصاح : « ايه ؟ »

قلت : « لماذا لم تحل العقدة كما حلتها احسان وهى امرأة مثلها ؟ »

فمضى عنى ساخطا ولم يجب ..



السيارة المسروقة

— ان من الواضح ان تربيتك ناقصة.. ناقصة جدا ..
هذا أنا — بجلال قدرى — اكلمك منذ عشر ساعات
وخمس وعشرين دقيقة وثلاث وأربعين ثانية وانت لاتجيبين
فقلت زوجتى اخيرا والقت ما بيدها — وكان شيئا
تطرزه اولا ادرى ماذا تعنى به : « انى لست اليوم كفؤا لك
ولهزلك ، فاسكت من فضلك »

قلت : « هذا بديل جميل من الاعتذار... الا تستحيين
يا امرأة ؟ ثم ما هذا الذى تتشاغلين به عن التقاط الحكمة
من فم سيدك وتاج رأسك وبعلك ؟ »

قالت : « أرجوك .. أرجوك يا مسلم .. ثم ان الطباخة
خرجت »

فانتفضت واقفا وصحت : « نهارها اسود .. لماذا ؟ »
قالت : « استحسن زوجها أن يكون ذهابها اليه يوم
الجمعة بدلا من يوم الاحد »

فانحططت على الكرسي وقلت : « ووافقت أنت بالطبع ؟ »
قالت : « وماذا أصنع غير ذلك ؟. وقد أصرا على يوم
الجمعة ، فلو رفضت لفارقتنا ولعدنا الى حيرتنا القديمة »

قلت : « يا امرأة.. هل تعرفين انى أتصور فى هذا البيت ؟
يوم الجمعة الذى أستريح فيه وأظل أحلم طول الليل
بما أطمع أن أنعم به من الآكال ... أوه ان هذا لا يطاق !!
هذه.. هذه.. هذه.. نعم هذه بلشفية صريحة ، ومع ذلك
تزعم الحكومة أنها تكافحها .. ما عيب يوم الأحد بالله ..
لماذا يجب — حتما — أن تكون بطالتها يوم الجمعة لا غيره ؟ »

فضجرت زوجتى وبدأت تنفخ ، وقالت : « الا تسكت ؟
مالك أنت .. ان لك أن تأكل والسلام .. ثم أنها مسلمة
وكذلك زوجها فيوم الجمعة أوفق لهما »

قلت : « وهل من الضروري أن تتزوج هذه الدميمة وذلك
المغفل ؟ »

قالت ، وهى تتمطى : « انى أشعر بفتور وخدر فاعفى
بالله من وجع الدماغ .. وحسبى هم أطعامك فى هذا اليوم
الثقيل »

فقلت ، وقد خطرت لى فكرة : « اسمعى أقل لك »
قالت وهى تضحك : « وهل ترانى اليوم هنا الا لاسمع ؟
تفضل يا سيدى ونور عينى .. وماذا أيضا ؟ »

قلت : « وتاج راسك .. اسمعى .. ان الفتور يغشى
جسمك كما تقولين ، وأنا راسى يكاد يطير مذ عرفت أن هذه
الطباخة الكريهة الوجه قد تخلت عنا فى يومنا هذا ، فما قولك
فى أكلة ناشفة خفيفة نصنعها هنا أو نشترىها ؟ »

فاعتدلت وقالت وقد لمعت عينها : « لماذا ؟ »
قلت : « ندعو فلانة وفلانا - من أقربائنا - ونذهب
جميعا ومعنا الاولاد الى القناطر الخيرية ، فنقضى يومنا
هناك بين الخضرة والماء »

قالت : « ولكنه سينقصك الوجه الحسن »
قلت : « يا خبيثة .. هل تظنين انى تزوجتك وأنا مغمض
العينين ؟ »



وحشرتهم جميعا فى السيارة ، ودسست السلة التى فيها
الطعام والشراب فى مكان مجعول لما يحمل المسافر من زاد
ومتاع ، وكانت الساعة الثانية مساء حين انطلقنا فبلغنا

القناطر بعد نصف ساعة ، فحملنا اشيائنا وتركنا السيارة في حراسة رجل من الواقفين هناك المستعدين لهذه المهمات . وتخبرنا مكانا يشرف على الماء وتظله اشجار باسقة ، وبسطنا السجادة والقينا عليها صفحات من جرائد الصباح والمساء ، ووضعنا عليها الصحون والصواني ثم شرعنا نأكل ، ولم يكن الطعام فيما يبدو لعيوننا الفارغة كثيرا .. فجعل بعضنا يخطف من بعض فكانت الذاكلة واهناها ، ثم طرحنا الوسائد على السجادة واستلقينا فنام من نام . ولما أذنت الشمس بالغروب ركبنا زورقا في ترعة أشمون ، ثم بدا لنا أن نعود لنذكر الشيخ رفعت وهو يتلو القرآن الكريم — فما نحب أن يفوتنا ذلك منه قط — فرجعنا الى حيث السيارة .. فاذا بها قد اختفت ..

بهت حين رأيت مكانها خاليا فوقفت كالصنم ، وأقبلت على زوجتي تسألني وتهز ذراعي ، فقلت لها وقد افقت قليلا : « نعم .. هزي ذراعي بقوة .. ان بي حاجة الى الشعور بأنى لست أحلم وان هذا ليس كابوسا .. »

قالت : « اين ذهبت ؟ » قلت : « فتشيني .. لقد كانت هنا ... تركتها في هذا المكان ... وليس في الارض ما يدل على انها انشقت وابتلعته .. ولست أعرف ان لها اجنحة ، فلا يمكن أن تكون طارت . ان الطريقة الصحيحة للاهتداء الى الحقيقة هي ان يبدأ المرء بنفى كل الاحتمالات غير المعقولة ، كما ترينني أصنع الآن »

فصاحت « لولو » قريبتنا : « لقد سرقتها للصوص »

فصحت بها : « تالله ما أذكاك يا فتاتي .. ولكن كيف لم نفطن الى هذا بمثل هذه السرعة المدهشة ؟ »

فقالت لولو : « وماذا تكون مزية العبقريه وفضيلتها اذن ؟ »

قلت : « صدقت يا فتاتي النابغة .. »

فقلت زوجتى مقاطعة : « هل هذا وقت الكلام الفارغ ؟
الا تفكرون فى طريقة لاستردادها ؟ »

فقلت : « آه .. هنا أيضا عبقرية ولكن من ضرب آخر
— ضرب عملى لا يرتاح الى النظريات .. عبقرية يمكن أن
ننعتها بأنها نابليونية ، ولست أرى أنه ينقصنا — لنوقن أن
السيارة عائدة بأذن الله — الا ضرب ثالث »

فقلت زوجتى متهكمة : « نعم يا سيدى .. تفضل »
فقلت بحدة : « لا تتهمى يا امرأة .. نعم ينقصنا الضرب
الشرلكمى »

فصاحوا جميعا : « ايه ؟ »

فقلت : « أعوذ بالله .. مالكم تصرخون هكذا ؟ . نعم
الشرلكمى يا جهلة .. لو كنتم تعنون بثقيف عقولكم الفارغة
قدر عنايتكم بخلافى والمكابرة معى وانكار نعمتى عليكم
وجحود فضلى .. لعرفتم أن الشرلكمى نسبة الى
شرلوك هولمز »

فقلت زوجتى وهى تضع كفها على فمى : « طيب اسكت
بقى »

فلثمت راحتها وسكت .. كما امرت



وقال سليم — اخو لولو : « ان من الواضح أن علينا أن
نتفرق »

قلت : « بديهى .. حتى لا يرانا اللصوص فيخافوا ..
نعم يحسن أن لا نضع شيئا يزعج اللصوص ويفسد عليهم
متعهم »

فصاح بى : « يا أخى الا تكف عن هذا العبث ؟ »

قلت : « كفت باذن الله .. تفضل .. ولكن اسمح لي
أن أسأل هل تعنى أن ترسل الاطفال وحدهم في ناحية
وامهم واختك في ناحية ، وتذهب أنت الى حيث ألفت ،
وأعود أنا الى البيت وقد تخلصت منكم جميعا ؟ ان كان
هذا مرادك فأنا من الآن موافق والسلام عليكم ، ولا تكلفوا
أنفسكم ارسال عناوينكم »

وبعد أن هدأت الضجة التي أثارها هذه الكلمات البريئة ،
قال سليم : « تأخذ أنت الاطفال وهاتين أيضا - وأشار الى
زوجتي وأخته - وتركب تاكسى وتمر أولا بمركز البوليس
ثم لا تتكل عليه بل تذهب تبحث .. وأنا اذهب ابحث من
ناحية أخرى »

فقلت زوجتى لسليم : « أكون أنا معك فاني لا اكاد أطيق
مزاحه في مثل هذه الساعات .. انه لا يفرق بين جد وهزل
كل وقت عنده صالح للضحك ... شيء فظيع .. »
قلت : « أشكرك .. على انى أستطيع أن أذهب لك
خطتك العقيمة .. »

فقلت زوجتى : « بالله اسكت .. أرجوك .. أر ..
جووووو »

قلت : « حالا . حالا . كل شيء في وقته يا امرأة .. وهل
هذا وقت رجاء ؟ . انه وقت العمل .. الا تفهمين ؟ اسمع
يا هذا . تذهب أنت الى البوليس وتعفينى من هذه المهمة
التي لا ارتاح اليها ولا أعتقد أن فيها فائدة ، وتأخذ معك
هذه الزوجة الجاحدة الناكرة للجميل ، وافعل بعد ذلك
ما تستطيع .. والى الملتقى في البيت العامر ان شاء الله »

فقلت زوجتى : « أيوه .. أنا أقول لكم ماذا ينوى أن
يصنع .. سيذهب الى البيت مباشرة ولا يكلف نفسه أى
عناء في البحث عن سيارته .. وسترون »

فقلت : « وهبيني فعلت ذلك ، فهل كنت تحسبين انى شرطى او بوليس سرى ؟ وماذا اصنع اذا كانت السيارة قد سرقت . ؟ هل أجرى فى الشوارع كالمجنون ... او اقعد على هذا الرصيف وابكى ؟ . ثم ان معى طفلين صغيرين يريدان ان يناما . اليس كذلك ياميدو - اختصار عبد الحميد من فضلك - ومعى ايضا هذه الفتاة الطويلة البلهاء التى لا رأس فى عقلها - أعنى لا عقل فى رأسها »

فمضيا عنى ولم يجيبا بشئ ، وضحكت لولو فقلت : « هذا احسن .. ما فائدة الحزن والالطم والنسب ؟ . ثم انهما مغفلان - ولا مؤاخذه - فتعالى نسال اولاً الحارس الذى كان هنا متى رآها آخر مرة ، فقد خطرت لى فكرة ارجو من ورائها خيرا كثيرا وراحة تامة »

وبحثنا عن الحارس حتى وجدناه نائما تحت شجرة ، فأيقظناه فقال لنا انها كانت هنا منذ وقت قصير جدا ، وقد ركبها رجل وفتاة وأن الرجل قال حين سألته عن الباقيين - منا - انه ذاهب ليشتري لهم شيئا ثم يعود . فسألته عن الاتجاه الذى ذهب فيه فأشار الى القناطر وطريق القاهرة

فطلبت ان يجيئنا بتاكسى بسرعة ، وقلت للولو : « اذا حقق الله ظنى فسيخيب أمل السارق وفتاته ، لأن السيارة ليس فيها من البنزين ما يكفى الا عشرة كيلومترات . وانا ارجو ان يخطئ الخطأ المعقول أى ان يتوهم ان من يجىء الى القناطر بسيارة لا بد ان يكون قد تزود من البنزين للذهاب والاياب ، فيمضى معولا على ذلك ومتخوفا من ان يقف فى القناطر لآخذ بنزين آخر فتقف به السيارة فى الطريق حيث لا بنزين . ولا يخطر له فى اول الامر ان هذه هى العلة فيدور يبحث عن سبب آخر لوقوفها ، ويضيع فى هذا وقتا ثميننا ثم يئأس فيتركها فى الطريق وينجو بجلده »

و كنت مقتنعا بهذا الراى حتى لقد اشتريت « صفيحة »
بنزين من القناطر وضعناها معنا فى التاكسى ، و قلت للولو :
« لهذا فائدة اخرى هى ان يعتقد سائق التاكسى حين نتركه
ونركب سيارتنا انا ما استأجرنا سيارته الا لهذا السبب ،
فلا يروح يعجب او يسأل عن شىء ولا يبدو له شىء غريب
فى عملنا »

وقد شاء الله ان يحقق ظنى ، فما كدنا نقطع خمسة
كيلومترات من الطريق بعد ان تركنا القناطر و اخذنا فى
سكة قليوب حتى وجدنا السيارة . و اوجز فاقول انا ركبناها
فرحين ، وعدنا الى القناطر عسى ان نجد بقيتنا . فلما
لم نجد احدا تركنا لهم خبرا عند الحارس النائم ، ثم حملناه
معنا الى مركز البوليس لنسرحهم ونعفيهم من البحث ،
فعلمنا ان اصحابنا ابلغوهم خبر السرقة ، و ان بعض الشرطة
خرج للبحث و ان الخبر طير بالتليفون الى قليوب والقاهرة
ولجهات اخرى ايضا لضبط السارق فى الطريق . فشكرنا
لهم هذه الهمة التى لم تكن متوقعة ثم قلت لهم : « ان المهم
الآن هو البحث عن زوجتى »

فصاح الرجل : « ايه ؟ » قلت : « انها مع قريبي وقريبها »
قال : « انتهينا »

قلت : « كلا لم تنته . . وما أدراك ان هذه ليست سرقة
اخرى افظع واشنع ؟ »

فضحك الرجل . . وجرتنى لولو وهى تحتج



تركنا السيارة امام رصيف البيت وجلسنا فى الشرفة
ناكل لحم الغائبين - اعنى ننتظرهما - واذا بهما عائدان بعد
نحو ساعتين فى سيارة - هى أخت سيارتنا بلا فرق -

فانحدرت الى الطريق بسرعة فوجدتهما يتأملان هذه المعجزة ، فقلت : « تمام .. لقد سرقت هذه السيارة يا صاحبي ، ولم اكن اعرف ان قريبي ونسيبي لص ... ولكن ماذا اصنع ؟ .. لقد اخفوك عنى قبل ان اتزوج ، فصار واجبي ان اخفيك عن اعين الناس بعد ان تزوجت » فهم بكلام فمنعته ودعوته ان ينظر الى السيارتين ، فاقتنع وقال : « ما العمل الآن ؟ » قلت : « تستعد للسجن .. لقد كان هذا واجبا من زمان طويل في الحقيقة ، ولكن ما اكثر من يستحقون السجن وهم طلقاء ... والان اذهب بالسيارة الى الجراج - السيارة المسروقة ثم ابلغ البوليس بالتليفون وقل له انك عندى تنتظر حضوره للقبض عليك »

وعرفنا منهما بعد ذلك انهما ركبا القطار ثم الترام الى العتبة الخضراء واذا بهما يريان السيارة عند رصيف ادارة البريد ، فذهبا اليها يعدوان فالفياها خالية فركبا ، وانطلقا بها من غير ان يعنيا بالنظر الى رقمها وانحدرا بها فى شارع فاروق .. وتركا صاحبها المسكين يجرى وراءهما ويصيح ويصرخ ويستنجد ، وهما يضحكان مسرورين .. بارك الله فيهما من لصين جريئين

وقلت لهما : « لا عليكما .. ستكون العتبة الخضراء كلها عندنا بعد دقائق ببوليسها وصبيانها وباعتها .. الى آخره .. الى آخره .. وسيشهد الجيران وجيران الجيران امتع رواية راوها او يمكن ان يروها فى حياتهم او حياة هذا الشارع الرزين »

وجاء الشرطة والمسروق المسكين فى تاكسى . وكان لا بد ان يروا السيارة وأن ينزلوا ، وكنت واقفا الى جانبها انتظر هذا التشريف ، فقال الرجل : « هذه هى » ومسح العرق المتصبب ودنا منها وهم بأن يفتح بابها فتصدت له وقلت : « عفوا .. هل من خدمة ؟ »

فصاح : « خدمة ؟ . يا حرامى يا مجرم .. اين اخفيت شريكك ؟ . المرأة التى كانت معك ؟ »

فنظرت الى الشرطى وانا ابتسم - فقد كان الموقف يتطلب الهدوء والكياسة ، وقلت : « هذه سيارتى يا حضرة الشاويش ، فما خطب هذا الرجل ؟ »

فصاح الرجل : « سيارتك يا حرامى يا صفيق الوجه ؟ »
- انى اسمح لك بأن تتأملها

فدار حولها ونظر اليها من الامام ثم من الخلف ، ثم وقف امامى وهو يرعد وينتفض ويقول : « أما مجرم .. بسرعة غيرت ارقامها ؟ . ولكن هل تظن أن هذا ينفعك ؟ .. »

فبدأ على وجه الشرطى التردد حينما سمع أن الارقام مختلفة ، واذا كان المفجوع فى سيارته قد طار عقله ، فان الشرطى لا يوجد ما يدعو الى ذهاب عقله ايضا ، وقلت أنا : « المسألة بسيطة . ومن المعقول أن اغير لوح رقم المرور بسرعة ، ولكن ليس من المعقول أن اغير رقم الشاسيه المحفور على محرك السيارة ، فتفضل واذكر هذا الرقم بعد مراجعة رخصتك اذا شئت ، ثم ارفع غطاء المحرك وانظر »

ففعل فاذا الرقم مختلف جدا ، وشعر بالهزيمة وأدرك انه تجنى على جدا فبدأ يعتذر .. فسأله : « ولكن كيف يمكن أن تخطيء الى هذا الحد .. ؟ هل يعقل الا تعرف سيارتك ؟ »

قال : « انه لا فرق بينهما على الاطلاق لا من الداخل ولا من الخارج »

فقال الشرطى وهو يريد أن يفض النزاع الذى تهور فيه صاحبنا : « ما دامت السيارتان متشابهتين الى هذا الحد فانه معذور »

قلت : « وهل كنت تعذرني لو كنت أخطأت مثل خطئه
وذهبت أسب الناس وأتهمهم بالسرقة ؟ »
قال : « طبعاً . صحيح انه تهور في الاتهام قبل التثبت ،
ولكنه معذور في خطئه في معرفة السيارة »

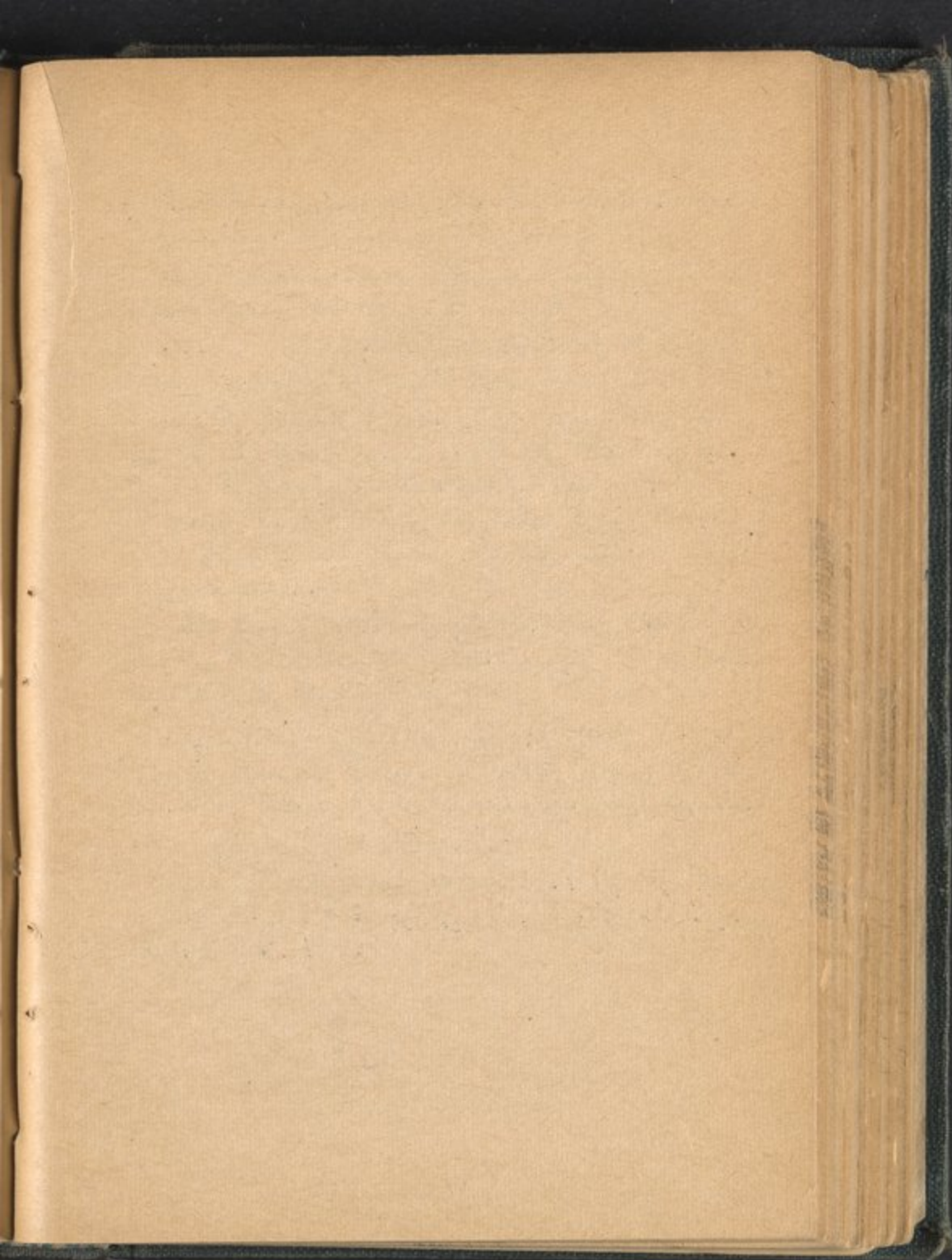
قلت : « واذا دلتك على سيارتك هل تشكرني ..
أم تستأنف اتهامك لى بالسرقة ؟ »

فعاد الى الاعتذار ، واكد لى انه يكون شاكرًا جدًا .
فلم يبق داع للاطالة فرويت له وللشرطى القصة من أولها
الى آخرها كما وقعت ، وقلت لهما أننا أبلغنا مركز البوليس
أنا وجدنا السيارة الاخرى التى ظنها قريبى سيارتنا ،
وأن البوليس لا شك سيحضر بعد قليل ليتسلمها . وبهذا
انتهى الحادث ..

وقلت لزوجتى وأنا ادخل بعد الفراغ من ذلك : « هل
تعترفين الآن أن الذى كان يضحك ويمزح كان هو الحكيم
السديد الراى الصحيح النظر ؟ »

فأثرت المكابرة وقالت انها مصادفة واتفاق ، فشهدت
لولو بأنى احسنت التقدير .. فعادت زوجتى تلوم لانى
كتمت راى الحقيقى وتركها تذهب وتلف وتدور مع سليم ،
وانى أثرت لها التعب ولنفسى الراحة

فقلت : « ليكون هذا لك درساً .. ألم اقل لك ان
تربيتك ناقصة ؟ » فهاجوا بى وثاروا ، ولكن هذا لا يعنى
القراء لا قليلا ولا كثيرا



می

— أنت أجمل فتاة على ظهر هذه الكرة الأرضية ..
وانا أسعد الرجال

وضم اليه زوجته التي لم يمض على بنائه بها أكثر من
اثنتي عشرة ساعة ، فالمبالغة تغتفر له ولا ينبغي أن تسوء
أحدا من بنات حواء — كل ما فيك صاغه فنان .. فخذاك
من المرمر الناصع — وأمر يده عليهما برفق — وردفاك
حساسان وجلدهما الرقيق اختلاج حين تمشين كاختلاج
الماء صافحه النسيم الوانى .. وثدياك راسخان لينان
وأحلى فيما تحس اليد من الكمثرى

وحنا عليها بسرعة وطبع على غلالة شفيتها قبلة حارة ..
فلمعت عينا « ميمى » واتقد وجهها وصار صدرها يعلو
ويهبط ، ثم قالت : « لكأننا تزوجنا منذ سنين يا سليم ..
أليس كذلك ؟ » ولصقت به ، ثم قالت : « تحبنى يا سليم ؟ »
فرفع رأسه وابتسم ابتسامة عريضة ، وقال : « أحبك
انى مجنون بك .. لا أدري ماذا أصنع اذا لم تكونى معى »
فلمعت عيناها وقالت : « من يدري .. ربما شغلت عنى
والهيت عن ذكرى .. »

فلم يدعها تتم الكلام واهوى على فمها بقبلة ..



وكانت « ميمى » مشهورة بقوة جذبها السريع حتى
أيام كانت بنتا صغيرة . وكان غيرها من البنات أجمل منها
شعرا أو أحلى عينا أو أفتن ابتسامة .. أما ميمى فلم يكن

لها ما يمكن أن تقول انه سر جمالها ، وانما كان المرء يشعر أنها في جملتها أجمل وأسحر . وكانت قوة الجذب هذه تلفت النظر اليها وهي تلميذة في المدرسة ، وكان كل من يراها يشتهي أن ينظر اليها مرة أخرى . ولكنها هي كانت تعتقد أنها ليست على شيء من الجمال ، وان كان اعتقادها هذا لم يفرها بالتكلف . وكان الذي وجه خواطرها في حداثتها الى هذه الناحية أنها سمعت أمها تقول لصاحبة لها مرة : « ان ثديي ميمى كبيران جدا » وكان هذا صحيحا ، فلما أقبل الليل وصارت في غرفتها وحدها نظرت الى صدرها في المرأة وسألت نفسها : « أترى هذا من الدمامة ؟ أهما أكبر مما يجب أن يكونا .. ؟ » ، وآلت على نفسها في تلك الليلة أن تهتدى الى الحقيقة

ولو ان ميمى لم تسمع أمها تقول ذلك لكان الأرجح أن لا تجرى خواطرها هذا المجرى ، ولظلت على الأقل سنة أخرى لا تطلب أن تهتدى ولا تشتاق الى هذا الضرب من المعرفة . وكان أول ما عنيت به هو أن تتأمل صدور البنات من أترابها في المدرسة ، فالفتهن جميعا الا القليلات ذوات ائداء صغيرة نابتة ولم تكن للقليلات ائداء كبيرة ، ولكنها كانت تقبل المقارنة بشدييها

اما المقياس الحقيقي فأتيح لها في يوم خرجت فيه مع ليف من أهلها بينهم سليم - ابن عمها - الى القناطر الخيرية فاتفق أن جلست على دكة هناك تحت شجرة على ربوة ، فجاء سليم وجلس الى جانبها . . فقالت لنفسها حين أبصرته يقعد معها ان هذه فرصتها ، وشرعت تحاول أن تعرف منه ما تريد . اليس سليم شابا ؟ فهو خليق أن يقول لها ما رأى الرجال في حجم ثدييها . . ولكن سليم حيي فهي محتاجة الى ألف والدوران أو الى أن تكون معه كالظلمة الماصة لتحمله على القول الذي تنشده ، فسألته : « هل تخرج كثيرا مع البنات يا سليم ؟ »

فقال : « ايه ؟. احيانا »
فسأله : « كم بنتا خرجت معها الى النزهة ؟ »
فأطرق وقال وعينه على الارض : « اوه .. وهل انا
اعرف .؟ ربما كان عددهن سبعة أو أكثر .. »
فسأله : « كلهن من حيكم ؟ »
فقال بايجاز : « تقريبا »
فسأله : « ألا تعرف أحدا من غير الحى الذى انت فيه ؟ »
فقال : « أعرف .. ولكن ما هى الحكاية ؟ ». قالت : « هل
هن جميلات .. اعنى هل قوامهن جميل ؟ » فقال :
« بعضهن » فقالت : « هل قوامهن أعدل من قوامى ؟ »
وكان صوتها وهى تلقى عليه هذا السؤال يخيل الى
السامع انها ترجو منه أن يكون جوابه « لا » ولكنه خرج
من « لا » ومن « نعم » بقوله : « لا أعلم »
ففعلت شيئا لم تكن تظن انها تستطيع أن تقدم عليه ،
ولكنها اقنعت نفسها بأن الامر كله امر بحث عن حقيقة
واختبار لمبلغ الصدق فى قول امها ان ثديها كبيران ،
فقالت له وهى تمنحه فمها : « قبلنى »
وصارت شفتاه على شفتيها - لا يدري كيف ، ولكن
هذا هو الذى كان - وأحس حرارة القبلة تسرى فى بدنه
وتوقد النار فيه وتخزه أيضا . وانتهى الفصل الأول
ورجعت ميمى الى بيتها فى تلك الليلة وهى تشعر ان شيئا
حصل تحت الشجرة اللفاء ، وأن بابا يفضى الى اسرار
عويصة قد فتح لها .. فتحته قبلة واحدة ليس الا ..
وصارت تشعر بعد ذلك انها مخلوق جديد وأن حياتها
من طراز آخر غير الذى غبر .. وأصبحت تناجى نفسها
وتسألها عما وراء الباب .. وتقول لنفسها ان القبلات
حلوة وأنها تحسها معسولة ، ولكن اهذا كل شيء ؟ .. لا ..
فانها تحس حنينها الى ما لا تعرف وما لا يسمعها ان تدرك

واخيرا عرفت بعد ان بلغت العشرين وانتقلت الى بيت
سليم وارتمت بين ذراعيه



وقالت ميمى وهى بين ذراعى سليم صباح ليلة الجنوة :
« لقد ارتفعت الشمس .. صرنا قرب الظهر .. ألا نقوم ؟ »

ففتح سليم عينيه ببطء وقال : « من حسن الحظ أن
الزواج ليس كله شهر عسل .. والا متنا »

فزوت ميمى ما بين عينيها وقالت : « لست أفهم
ما تقول .. اليس واجبا أن تظل حياة الزوجين شهر عسل
كلها .. اى ان يكون الشهر سرمدا ؟ »

فتنهّد وقال : « انه ليس كذلك من حسن الحظ .. اوه
مستحيل .. أين من يحتمل ذلك .. اوهو .. مستحيل »
ثم عاد فقال : « لا يخب املك .. كل شيء يفتر على
الايام .. هذا عزاؤنا جميعا »

فلم تستطع ميمى أن تفهم لماذا لا يبقى شهر العسل
دائما .. ولم تدر ماذا يمنع أن يدوم ولكنها لم تقل شيئا
ولم يحاول هو أن يفهمها ، وشغل كلاهما بحياتهما الجديدة
في البيت وخارجه فنسيت أن شهر العسل سيزول كما
هددها سليم او انذرهما . وكانت بعد أن تفرغ من تغيير
ثيابها كل ليلة على أثر عودتهما من السينما او الرياضة او
نحو ذلك تجلس في حجره وتنحى ما امامه من الاوراق
وتوسعه تقبيلًا ، ثم تسأله : « ألا تزال تحبنى ؟ » فيقول :
« بالطبع .. يا له من سؤال »

وكان النهار اثقل الاوقات على نفسها لأن زوجها يغيب
فيه عنها ، ولم يكن لها في البيت عمل فان الخدم كثيرون ..

الطباخة وبتان للكنس والمسح وما الى ذلك . وكان بيتها شقة في عمارة كبيرة عالية فحدث يوما انها كانت تنتظره ليخرج بها الى السينما ، واذا بالباب يدق جرسه فظنته سليما جاء قبل مواعده .. فأسرعت الى الباب تفتحه فالت سيدة تقول لها : « معذرة اذا كنت أزعجتك .. ولكن خادمتي أضاعت المنفضة ، فهل أجد عندكم واحدة ؟ »

ف قالت ميمي : « لا أدري .. تفضلى حتى أسأل الخادمة » فدخلت السيدة وهي تقول ان شقتها هي التي فوق هذه ، فاستغربت ميمي في سرها لماذا لم تذهب الى أحد من السكان الآخرين المقابلين لها في دورها ، وحدثت نفسها ان لعلها فعلت فلم تجد عندهم ما تطلب . وقالت السيدة - كأنما ترد على هذا الذى تحدثت به ميمي الى نفسها : « لقد رأيتك منذ لحظة تخرجين الى الشرفة في قميصك .. ولا يسعنى الا أن أقول ان قدك مدهش »

فسألته ميمي : « رأيتنى .. كيف رأيتنى وانت فوق ؟ » قالت : « رأيتك من الشرفة الاخرى .. من حسن الحظ ان زوجى ليس فى البيت ولم يرك ، والا لكان من المحقق ان يقذف نفسه عليك »

فدهشت ميمي ولم تقل شيئا وراحت السيدة تسألها عن اسمها كله ، فقد عرفت بعضه من البواب ، وتخبرها باسمها هي وتقول أن من الواجب أن تلتقيا كثيرا وأن تتزاورا ، ثم سألتها : « هل زوجك يسافر ويغيب عنك أياما ؟ »

ف قالت ميمي : « يسافر ؟ .. يسافر أين ؟ .. كلا بالطبع » ف قالت الاخرى : « ان زوجى لا يزال على سفر .. وقد كنت فى أول الامر أقعد فى البيت ولا أبرحه يوما بعد يوم انتظارا لعودته . وقد ضاق صدرى ولم أعد أطيق ذلك ، فلن تجدينى فى البيت حين يتركنى ويرحل »

فأحست ميمى أنها تحتاج الى حماية من هذه الجارة ،
والفت نفسها تلف الروب دى شامبر على صدرها وان كانت
مع ذلك لم تستطع أن تمنع نفسها أن تسأل جارتها : « أين
تذهبين حين يغيب عنك زوجك ؟ »
فقالت الجارة بابتسامة وضيئة : « أوه فى أى مكان ..
الأصدقاء يتكفلون بذلك »

فصاحت ميمى : « الأصدقاء .. أى أصدقاء ؟ »
فقالت الجارة : « بالطبع يا طفلى العزيرة .. وأى بأس فى
ذلك ؟ »

فقالت ميمى : « ولكن زوجك ؟. الا يسوءه هذا ؟. الا
يفضبه أن تخرجى مع رجال ؟ »
قالت الجارة : « يفضبه .. ؟ وماذا تظنينه يصنع وهو
مسافر .. ؟ يقضى الوقت فى المسجد ؟. كلا انى أعرف
ما يصنع ... »

وصارت هذه الجارة معلمة لميمى . وكرت الايام فأصبحت
لا تبالى تقصير سليم معها ، ولا تحفل ما تراه من فتوره حين
يعود الى البيت متعبا . وتكررت زيارات الأتراب لها فجأة
بفضل الجارة الحاذقة التى أدركت أن ميمى غريبة لا عهد
لها بهذا الضرب من حياة المرح ، وما لنا لا نقول حياة
الاستخفاف .. فبدأت معها بتبادل الزيارة ثم صارت
تزورها ومعها أتراب لها ، فتحسب أن ترد الزيارات وتخرج
اليهن ، وارتقت من ذلك الى دعوتها الى التنزه والخلوات ،
ولم تكن الجارة تعدم سيارة تستعيرها بسائقها من بعض من
تعرف من الرجال ، وكانت تحرص فى هذه الرحلات الاولى
على أن تكون قاصرة عليهن ، ثم صار يتفق أن يلتقين فى هذه
الرحلات الى الاهرام أو المأظلة أو غيرهما ببعض « أقارب »
الجارة ، فيحصل التعريف الذى تقضى به الآداب ، وهكذا
الى أن ألفت ميمى أن تكون مع الرجال كما ألفت أن تخرج

مع النساء . وكان الزوج غافلا عن ذلك في أول الامر . وكانت ميمي اذا آن أن يناما تدنو منه وتلصق به فيتشاءب ويعرض عنها . وكان ربما زجرها عن ذلك وقال لها بعنف انه محتاج الى النوم ، وكانت هي في أول الامر يشق عليها اعراضه وتحس بحزه في نفسها فتبكي ، فلما توثقت الصلات بينها وبين الجارة لم تعد تبالي هذا الفتور . وظن سليم في بادىء الامر أن زوجته « هداها الله » حتى كانت ليلة فأقبل عليها يريد أن يقبلها وفتح لها ذراعيه ليضمها ، فلم تحرك ساكنا ولم يبد عليها أنها راغبة في ذلك فعجب وسألها : « مالك ؟ » . قالت : « لا شيء .. ما لك أنت ؟ » . قال : « ألا تقبلينى ؟ .. »

فمطت شفيتها وهزت كتفها وقالت : « انك تحتاج الى النوم وأنا لا أريد أن أقبل احدا »

فلم يفهم والح عليها بالكلام ، فبدت منها كلمة فهم منها أنها لا تباليه ، فنظر اليها محذقا في وجهها وقال : « مع من تخرجين ؟ من هؤلاء الاصدقاء أو الصديقات اللواتي ظهرن فجأة ؟ »

فقالت : « لم تعد الحقيقة .. اصدقاء وصديقات .. ومن الجنسسين .. ولكنك تكون ندلا اذا أسأت الظن .. ولا اكون أنا بنت أبى وأمى اذا احتملت منك ذلك »

فذهل - وان كان عنفها قد طمأنه - وقال : « ولكن .. ماذا جرى لك ؟ »

قالت : « لم يجر لى شيء .. الى الآن .. لا أزال ميمي التى تعرفها وان كنت قد تعلمت أشياء كثيرة ، ولكنه سيجرى لى على التحقيق أشياء كثيرة اذا بقيت تهملنى .. ثق أنى تعلمت ولكنى لم أعمل بما تعلمت الى الآن .. سأعمل حتما .. فهل ترضيك هذه الصراحة ؟ »

فقال : « لقد كنت طول عمرك جريئة »

وانحط على كرسي ، فقالت : « جريئة أو غير جريئة ..
سيان .. المهم أنك دفعتنى الى التعلم .. واخشى أن تدفعنى
الى ما هو شر .. وقد اندرتك .. وأنت ورايك .. ولكن
لا تلمنى حينئذ »

فلأطرق يفكر وطال تفكيره واحس أنه واقف على حرف
هاوية ، وكان قلبه يخفق بشدة وعنف غير أنه كان يبدو
للمتأمل هادئا ساكنا ، وجرى بخاطره أن ميمى على حق ،
وراجع نفسه وهو قاعد ورأسه مثنى على صدره وعينه
على الأرض ، وتذكر أن ميمى كانت ابدا جريئة مجازفة ..
الم تدعه الى تقبيلها مرة ؟ ولكن كيف عرفت هؤلاء الناس ..
من الرجال والنساء على السواء .. ولم يرتب قط فى
صدقها ، ولم يخالجه أدنى شك فى أن الامر اقتصر على اللقاء
والتنزه ، وأنه لم يقع بينها وبين أحد من هؤلاء الرجال
ما لا يحمد فان ميمى صريحة لا تهاب شيئا ولا أحدا . ولكن
كيف عرفتهم .. وقال لنفسه انها عرفتهم لأنه أهمل أن
يكون معها ولأنه كان يتركها وحدها ويقضى سهراته مع
الآخوان وفى ظنه انها ستقنع برفقة الخدم . هذا هو كيف
عرفت هؤلاء .. والمهم الآن هو انقاذها من الهاوية وانقاذ
نفسه معها . ونهض ومشى اليها وهو يمد يده ويتناول
كفها : « ساحبنى يا ميمى .. لن أهملك بعد اليوم »

فرفعت رأسها وحدقت فى عينيه ، وقالت : « صحيح .. ؟
لا تتركنى وحدى ؟ »

فقال وهو يميل عليها ويدنى فمه من فمها : « كيف
يمكن .. ؟ وانت هل رجعت الى .. ؟ هل أرجو أن أراك
كما كنا »

وفى هذه اللحظة دق التليفون فمدت يدها وتناولت
السماعة ، وقالت : « اللو .. نعم .. ؟ زكيه .. معك من .. ؟
حمدى .. ؟ آسفة .. يا زكية مشغولة .. نعم .. معى

صديق قديم عاد الى .. تريد ان تعرف من يكون ..
اسمعى انه احب الناس الى .. لا استطيع ان اعرف احدا
ما بقى هذا الصديق لى .. من هو ..؟ سليم .. الاتعرفين
سليم .. لم تسمعى به قط .. معذرة .. زوجى يا بلهاء ..
معذرة .. لا .. لا امل فى لقاء احد بعد اليوم .. كلا ..
لا تتعبى نفسك لا انت ولا غيرك .. اعنى هذا .. تماما ..
مع السلامة »

والتفتت الى زوجها وقالت : « فهمت انى لا اريد منها
ولا من غيرها زيارة ففضبت »

فلم يقل سليم شيئا بل انحنى عليها وحملها بين يديه
ومضى بها الى الأريكة الواسعة وهى متعلقة به تضحك
له وتقبله راضية



سيلي

وقفت ليلى أمام المرأة تصلح شعرها ، وتضع فيه
المشابك وتسويه براحتها واناملها ، وتثنى شعرات منه هنا
وترد أخرى الى مكانها هناك ، ثم تناولت المشبنة وفتحتها
ونظرت فيها هنيهة ثم قلبتها على المنضدة ونقضتها باطراف
اصابعها ، ثم نحتها وراحت تتأمل ما افرغته منها . ثم هزت
راسها آسفة ، وشرعت ترد الأشياء الى الحقيبة : المشط
والمنديل وثلاثة طوابع بريد بثلاثة ملايم . . لا شيء غير
ذلك . . حتى ولا أجرة الترام الى عملها الجديد الذى فازت
به . وما غناء ثلاثة من طوابع البريد بثلاثة ملايم . . لو
كانت عشرة لباعتها وركبت ، ان المسافة طويلة من حدائق
اقبة الى شارع سليمان باشا . . ولو كانت عشرين لباعتها
ايضا - لتركب - فان المشى سهل ان يحتمل اذا كان معها
قرش تاكل به . كلا . . لا بد ان تصبر على الجوع ، وان
تجلد وتحتمل المشى مع الطوى ، وما بقى سوى يومين ثم
تقبض اجرها عن هذا الاسبوع الاول . ولكن هل تستطيع
ان تحتمل الجوع وتعب العمل والمشى يومين كاملين . . ؟
وابت أن تفكر فى هذا وأن تدعه يشبط همتها وقالت لنفسها
ان حسبها أنها وفقت الى عمل ، وأنه وسعها أن تظل حية
الى اليوم . وهبطت على كرسي وهى تقول « آخ » لا من
التعب بل مما ستلقى فى يوميهما هذين . ومر امام عينيها
كشريط السينما ما كان من امرها الى الساعة ، فقد تخرجت
فى المدرسة السنية ولكنها لم تشتغل بالتدريس . . فقد
أحبت فتى رشيقا اغراها بنفسه ووعداها بالزواج وكرر
الوعد وأكدته وأقسم على الحفاظ - وما أسهل بذل هذه

الوعود على الشبان — حتى فاز منها بما يبغى . وألحت عليه
 تطلب منه الوفاء . وتوسلت اليه ، وبكت وقبلت يديه
 ورجليه . ولم يكن هو ينوى الوفاء ، ولا كان هذا في وسعه
 .. فما كان سوى عامل في مصنع ، وان كان مظهره يوهم
 أنه من الوجهاء . ولم يكن يدرك ما تورط وورطها فيه —
 وماذا عسى أن يخشى مثله ؟ — ولكنها هي كانت لا يخفى
 عليها ما هي صائرة اليه من الفضيحة لا محالة اذا لم تعجل
 بالتدبير المنقذ . وليتها أطلعت أمها على ما كان من أمرها مع
 هذا الفتى .. ولكن ما جدوى « ليت » بعد ثلاث سنوات
 قضت فيها الحسرة على الأم المسكينة ولم ترقق قلب أبيها
 الغليظ ؟ وكانت ليلي تخشى ضعف أمها وقوة أبيها فلم تجد
 أمامها الا فتاها تلقى بنفسها عند قدميه باكية متوسلة ،
 وهو يرى تضعفها هذا فيتجبر ويتفطرس ويتحكم
 ويدغوها أن تفر معه . وتتردد وتحجم عن هذه الخطوة
 الحاسمة التي لا رجعة بعدها الى أهلها ، فان أباه عنيف
 عنيد يؤثر أن يقتلها على أن يقبلها في بيته . بل هو لا محالة
 قاتلها اذا عرف الحقيقة ، واذا أطاعت فتاها وفرت . وسيعرف
 الحقيقة اذا بقيت فالفرار انجى . وقد لا يكون اشرف ،
 ولكنه سبيل الحياة اذا شاءت أن تبقى حية . وقد كان ..
 فرت مع هذا الفتى وحملت معها في حقيبة الثياب حليها
 وشيئا من حلى أمها أيضا ، وقد نفعها ذلك فما أقامت مع
 الفتى الا أياما في فندق زرى ، وكان ظنها انها ذاهبة الى
 بيته ، وانها ستكون زوجة له ، فيكون مما يرجى ، أن تغفر
 زلتها على جسامتها .. فاذا بالفتى لا يريد الا أن يقضى أياما
 في متعة خالصة ثم يلقى بها عظمة بعد أن اكلها لحمها . فكادت
 تجن .. واغتنمت فرصة خروجه من الفندق يوما ، فحملت
 حقيبتها وأدت حساب الفندق ، وانطلقت على غير هدى .
 وصارت المسألة « أين تذهب » .. بيت أبيها لا سبيل

اليه ، وارتابها في المدرسة .. كلا .. هذا ايضا ممنوع .
وتذكرت وهى واقفة في محطة للترام صديقة لها كانت من
جيرانها في زمن الحداثة ، وهى الآن « حكيمة » في قصر
العينى . ولكن الحكيمات في هذا المستشفى يبتن فيه
ولا يخرجن الا اياما معلومة ، فما العمل ؟ .. ولم يطل
تردها فذهبت الى العيادة الخارجية ، وسألت تلميذة لقيتها
فيها عن صاحبها ، واتفق انها كانت تعرفها فدلتهما عليها
وأبأتهما انها تعمل في قسم الرمد ، وكتبت اليها ورقة
بعثت بها مع خادم أو « تمورجى » كما يسمى فدعتها
الحكيمة اليها .. وكانت هذه المقابلة بداية الفرج

اقامت ليلى بعد ذلك مع اهل الحكيمة ، وكانتا تلتقيان
يوم الأحد ويوم الخميس والجمعة الى المساء - كل اسبوعين
مرة - وكانت ليلى ربما اشتاقت الى صديقتها في ايام عملها
بالمستشفى فتذهب في الظهر أو في الساعة التاسعة لتراها
وهى خارجة من المستشفى في طريقها الى « الهوستل » حيث
الطعام والنوم، فتحدثها دقائق ثم تكرر راجعة الى البيت . وكانت
المسألة التى تشغل البنيتين هى كيف ينبغي أن تحيا ليلى .
فقد كان مفهوما أن اقامتها في بيت صاحبها ليست سرمدًا ،
وان كانت تنفق على نفسها من ثمن ما تبيعه من الحلوى ..
فان لهذا آخرًا على كل حال . وكان مما فكرا فيه أن تعمل
في عيادة أحد الأطباء ، ولكن ليلى أشفقت أن تلتقى عنده
بأحد من أهلها أو معارفها . وخطر لهما أن تعمل في مصلحة
التليفون ولكن السعى أخفق ولم تجد وساطات الاطباء
الذين استعانت بهم « الحكيمة » فقد تحول التليفون وانقلب
« أوتوماتيكيا » فما الحاجة الى بنات جديدات ؟ .. وخشيت
أن تشتغل بالتعليم في مدرسة أهلية فيهتدى اليها أبوها ،
وكان خوفها من ذلك عظيما . وأخيرا اقترح عليها طبيب
أن تتدرب على الآلة الكاتبة ، ففعلت وأتقنت ذلك حتى

صارت تكتب ثمانين كلمة في الدقيقة ، واعانها الطبيب
والحقها بمكتب يتلقى طلبات « النسخ » ولكن العمل كان
قليلا لأن أكثر ما كان يطلب كان باللفتين الفرنسية
والانجليزية . وكانت تعرف الانجليزية فقد تعلمتها في
المدرسة ، فلم يسعها الا أن تتدرب على كتابتها على آلتها ،
وسهل عليها بعد ذلك أن تستطيع « نسخ » الفرنسية
أيضا ، فان الحروف واحدة وان كان جهلها بهذه اللغة قد
جعلها أبطأ . غير أن السرعة يمكن أن تجيء مع الوقت

واستغنت على الايام عن المقام في بيت صديقتها ، وان
كانت صلتها بها قد بقيت وثيقة فان فضلها عليها كبير ،
وجميل صنعها معها ليس مما يجحد ولا مما ينسى ، حتى
ولو نزعنا نفسها الى الكفران . وافلس المكتب فانتقلت الى
سواه بعد عناء ، على الرغم من أنها أصبحت معروفة في هذا
المحيط .. محيط الكاتبات الناسخات . وكانت حليها قد
ذهبت جميعا في نفقات الحياة وأجور التعليم وسد النقص

وها هي ذي الآن قد التحقت بمكتب جديد ، بعد أن
ظلت عاطلة شهرين اكلت البطالة في خلالهما القليل الذي كان
مدخرا

ونفضت عن الكرسي وهي تتنهد ، وتناولت حقيبتها
لتخرج الى عملها . وكانت الساعة السابعة .. فأمامها ساعة
كاملة للمشي الى المكتب ، وقد عرفت بالتجربة أن الساعة
فوق الكفاية ، ولكن فسحة الوقت خير من ضيقه . ومضت
الى بابها لتفتحه وتخرج ، وإذا بقرع خفيف عليه .. فقالت :
« تفضل » ، فدخل رجل بدين وسلم وقال : « أراك خارجة »
فقالت : « نعم .. » وهمت أن تقول انها مضطرة الى
التبكير ، ولكنها كبحت نفسها فما يعنيه هذا ، فقال : « أجرة
الفرقة عن ثلاثة أسابيع .. ألا يمكن أن تعطيني منها شيئا
على الحساب ؟ »

فقالت : « آسفة .. وانى لشاكرة لك هذا الصبر كله ..
والعطف أيضا .. وبعد يومين .. أقبض أجرة الاسبوع
فأعطيك شيئا »

قال : « انك تخرجينى مع زوجتى .. هذا الصبر الطويل
ليس له عندها الا معنى واحد . وقد أذرتنى اليوم .. وعشنا
أحاول ان أفهمها الحقيقة .. لا تريد أن تفهم .. كل ماتعرفه
ان الاجرة تأخرت ثلاثة اسابيع . وكل ما تريده هو أن تؤدى
اليها هذه الاجرة أو تخرجى اليوم »

قالت : « الا يمكن أن تمهلونى يومين اثنين .. أين اذهب
إذا خرجت اليوم .. ليس لى مكان آخر » . فهز الرجل
كتفيه الغليظتين ، ولم يقل شيئا

فدنت منه ليلى ، وقالت : « أرجو أن تمهلنى .. كن
شفيعى عندها »

فقال : « لو كان الامر الى لما تقاضيتك شيئا قط ..
ولكنك تعرفين زوجتى .. ولست أعرف لى حيلة »

قالت : « ولكن كيف أستطيع ان أعطيك اليوم شيئا ؟ ..
لا أعرف احدا اقترض منه .. ولا يمكن أخذ شيء من
المكتب .. انى جديدة فيه »

فقال : « اسمعى .. لو لم تكونى بلهاء لأمكن تذليل
كل هذه المصاعب ، ولكن لم أر فتاة مثلك »

فقالت : « ماذا تعنى ؟ . كيف يمكن تذليل الصعاب ؟ »
فأراح كفيه الغليظتين على كتفها ، وقال : « أنا أستطيع
ان ادبر الامر اذا طاوعتنى » . فهزت رأسها غير فاهمة ،
فقال : « تعالى »

وطوقها بذراعيه ، وادنى شفتيه المبطوطتين من فمها ..
فحاولت أن تنأى عنه ، ولكنه جذبها اليه بقوة ، فحاولت

وجهها عنه ، فذهبت شفتاه تعبان في نحرها وكتفها ،
وكانت يده اليسرى تتحسس صدرها وتقف وتتكور على
ثديها الراسخ ، فكاد عقلها يطير وتفلت من عناقه بعنف ،
وارتدت راجعة الى آخر الغرفة ، وهى تلهث وتنهج ، كأنها
كانت تجري وصدرها يعاو ويهبط كال موج من جهد المقاومة
ومن الغضب أيضا ، وكان هو ينظر اليها نظر النعمة والفيظ
فصاحت به وهى ترتجف : « اذا لم تخرج من هنا
فسأصرخ »

فزام وهز رأسه ، وقال وهو يدور ليخرج : « طيب ..
سنرى .. أما أن تدفعى اليوم ، والا فاخرجى انت »
فلم تقل شيئا .. وماذا عسى أن تقول ..



— بونجور —

— بونجور .. خذى هذا العنوان واذهبى اليه حالا ..
عمل مستعجل .. الرمنجتون ذهب بها احمد .. العمل
يستغرق يومين .. ثلاثة .. المهم الاتقان .. يجب أن
يكون راضيا .. فاهمة ؟

فذهبت ولم تسأله أهو عربى أم أفرنجى .. وماذا يهم ..
كله عمل .. ألى . ودخلت الشقة فاذا هى بيت لا مكتب ،
وقالت للخادم النوبى : « انى من محل .. »

فاكتفى بأن يشير الى غرفة المكتب ، فجلست على كرسى
من الجلد كبير وثير .. وأدارت عينها فى الغرفة ، فلم تر فيها
أثاثا غير كرسى آخر كالذى جلست عليه . وحول الجدران
رفوف كثيرة عليها كتب لا تحصى ، وفى الركن مكتب انيق ،
وفى وسط الغرفة منضدة صغيرة مما يستعمل للشاى
وضعت عليها « الرمنجتون » فتوقعت أن ترى رجلا عالى

السن ، وأدهشها أن يدخل عليها شاب يناهز الثلاثين ،
وأن تعلم أن هذا هو الذي جاءت لتعمل له ولتنسخ ما يشاء
وقال برقة لا تكلف فيها : « قهوة ؟ »

قالت : « أشكرك .. فيما بعد .. بماذا تأمر ؟ .. »
فقال وهو يناولها ملفا ضخما : « في كم يوم يمكن الفراغ
من نسخ هذا كله ؟ »

فقلبت الأوراق ونظرت في الخط والسطور ، ثم رفعت
رأسها إليه وقالت : « صعب أن أقول كم يستغرق ..
ولكن .. بعد ورقة أو اثنتين أستطيع أن أحكم حكما قريبا
من الصحة »

فهز رأسه وهو يبتسم وتحول عنها ، ثم خطر له خاطر ،
فدار على عقبه بسرعة وسألها : « يهودية ؟ »
فابتسمت وقالت وهي تهز كتفها : « لاني شقراء ؟ »
فقال : « أذن أنت .. »

فأراحته من عناء التخمين ، وقالت : « مسلمة »
فقال وهو يهز رأسه بعنف : « أنا أيضا مسلم »
فلم تقل شيئا واجتزأت بالابتسام وشرعت ترفع غطاء
الرمجتون ، وتركها هو وذهب فجلس على الكرسي الآخر ،
ثم رآها تتلفت في الغرفة ، فنهض وهز رأسه مستفسرا ،
فنهضت هي أيضا وقالت : « لا تتعب نفسك .. أظن أن
في وسعي أن أجد كرسيًا من الخيزران في .. »
فقال وهو يعدو إلى الباب : « بالطبع .. أما اني
لمفعل .. »

وعاد بالكرسي وهو يقول ضاحكا : « لكننا كنت أظن
أنك ستجلسين القرفصاء وتكتبين على حجر ك .. لم
تشهدى ذلك العهد بالطبع .. لا يمكن فانك ما زلت
صغيرة .. أوه جدا .. ولكن أين تعلمت الكتابة على هذه

الآلة ؟ .. معذرة اذا كنت أتطفل ، ولكن المصريات يندر ..
جدا أن تعنى واحدة منهن بذلك »

قالت : « اضطررت أن اتعلم .. صنعة في اليد امان من
الفقر .. » وابتسمت ، فقال : « أهو ذاك ؟ .. معذرة ..
كان سؤالى فضولا منى لا يفتقر .. سماحيني »

فسرها منه هذا الادب ، وقالت : « ليس هذا سرا ..
الست أعمل ؟ لست هاوية بالطبع »

فقال : « اذا كنت تعملين في مكتب .. فانك ولا شك
تعرفين لغة اجنبية أو اثنتين .. ف .. ف .. »

قالت : « أعرف الانجليزية .. واصبحت اعرف من
الفرنسية ما يكفى للنسخ .. واتكلمها ايضا ، فاننا جميعا
نتكلمها هناك .. »

فقال : « اوه لست اريد أن افتح لك محضر تحقيق ..
معذرة مرة اخرى .. » ورفع يده الى جبينه العريض
ومسحه ، وقال : « هذه اول مرة أرى فيها مسلمة تشتغل
بالنسخ - وضحك - أرانا نتقدم .. اليس كذلك ؟ »

وكانت قد شرعت تدق على الآلة الكاتبة ، فاكتفت
بالابتسام ..

وتركها هو بعد ذلك وخرج بعد أن قال لها ان في وسعها
أن تطلب ما تشاء من الخادم .. أى شيء .. قهوة ..
شاي .. أكل .. كل ما في البيت تحت أمرها ..

ولكنها لم تطلب من الخادم شيئا ، ولم تقلق راحته بل
أقبلت على الآلة تدق وتدق بسرعة ثمانين كلمة في الدقيقة ،
وتخرج له من كل ورقة نسختين . واستغرقها العمل ،
ووجدت فيه متعة لا عهد لها بها في مثله .. فقد كانت هذه
رواية تنقلها - استعدادا لطبعها ولا شك - وكانت الصور
التي يرسمها المؤلف - هذا الشاب الوسيم المؤدب - تتجسد

لها ، والمواقف تتمثل وهي تدق وتدق بسرعة ثمانين كلمة في الدقيقة . وكانت نفسها تجيش بمثل العواطف الموصوفة والاحساسات المصورة ، فتضحك تارة ، وتخنقها العبرة تارة اخرى ، وتعبس حيناً . . وترى نفسها تنطق الألفاظ التي تدقها بقوة وعنف كأنها تمثل ما تقرأ أو كأنما كان الامر حقيقة لا خيالا . وكانت ورقة بعد ورقة تلقى في السلة على المكتب ، وهي ذاهلة عن كل شيء . فما قامت مرة ، ولا تمطت لتريح أعضائها المكدودة وتحرك أصابعها التي كادت تتشنج وتتصلب أو تتخشب ، ولا شعرت بظما أو جوع ، ولا كان لها بال الا الى هذه الرواية التي تقرأها وهي تنسخها . ولقد كانت مشغوفة أيام المدرسة بالروايات والقصص ، ولكنها منذ ثلاث سنوات لم تقرأ رواية ، وان كانت قد ذهبت مرارا الى السينما - وهي مطمئنة - فان اباهها من الد أعداء السينما . ومع ذلك كانت تتحرز وتلقى على وجهها نقابا خفيفا شفافا ، حتى حين تمشي في الطريق كانت تنتقب زاعمة ان هذا وقاية من الشمس والتراب

ولم تشعر بعبد الحميد - فقد كان هذا اسمه - حين دخل عليها ، ووقف ينظر اليها اكثر من دقيقتين . فلما رآها لا تنظر اليه ولا ترفع عينها اليه عن الورق ولا تتمهل او تتباطأ في العمل ، قال : « معذرة . . ان هذا انتحار . . » فرفعت رأسها حينئذ ، وقالت : « اوه . . لم ارك لما جئت . . كلا . . انى على العكس مسرورة . واعترف لك بأن هذه اول مرة سرنى فيها عملى . . رواية مدهشة »

فقال وهو ينحى كفيها عن الرمنجتون : « قد تكون الرواية مدهشة . . ولكن ابعث على الدهشة أن لا يحتاج الانسان الى الراحة . . تفضلى وقومى ، أريحى جسمك قليلا على هذا الكرسي » وتناول ذراعها لينهضها ، فقالت وهي تقوم : « صدقت . . أستريح دقيقة »

فقال وهو يمضى بها الى الكرسي : « تستريحين تماما »
فقلت ، وهي تجلس على الكرسي : « ولكنى اريد ان
اعرف بقية الرواية »

فقال : « اضطجعى اولاً .. انا أقص عليك البقية ..
أخصها لك فى الفاظ قليلة »

قالت : « كلا .. هذا يفسدها .. انى اريد ان أقرأها »
قال : « اذن أقرأها لك » . قالت : « تتعب .. دعنى
أقرأها انا وأنا استريح » . قال : « بعد الغداء .. الوقت
طويل »

فقلت : « الغداء .. ؟ كلا .. اسمح لى أن أخرج ثم اعود
فى الساعة الثالثة كالعادة »

قال : « ولم لا تبقين وتتغدين هنا .. ؟ قولى انك باقية »
قالت : « لا أستطيع .. سأعود بالطبع بعد الظهر »

وكانت تعلم أنها مفلسة ، وأنها لا تستطيع أن تذهب الى
بيتها - حيث ذلك الرجل الخشن الفظيع - وهبه ليس
فيه ، فما تصنع هناك ؟ وإذا لم تذهب الى البيت فأين يمكن
أن تذهب .. ؟ هذا شاب يعرض عليها أن يطعمها وأن يريحها
من الأنياب التى تمزق أحشاءها ويعفيها من الشعور الثقيل
بالقرص والعض فى جوفها ، فلم لا تطيع وتقعّد وتأكل ؟
واحسنت وهى تدبر هذا فى نفسها بالدموع تترقرق فى
مآقيها وتخفقها ، وخشيت أن تخونها قواها وأن تغلبها
العبرة امامه .. فقرضت أسنانها وشدت أعصابها ونهضت
متحاملة على نفسها . فقال : « الى أين ؟ .. لا يمكن أن
تخرجى .. عيب .. لا يليق »

فقلت بضعف ، فما بقيت فى بدنها ذرة من القوة بعد أن
انفقت البقية فى المكابرة : « أرجو .. » ولم تزد ، فقد هوت
كالجثة أو كأنها ثوب فارغ

ولم يكن هذا مما يجرى لصاحبنا في حساب ، فلم ينتبه الى ما حدث الا بعد أن ارتمت على الارض .. بعضها على الكرسي ، وسائرهما على السجادة . فانحنى عليها وحملها واراها على الكرسي ، وخرج يعدو ويصيح : « محمد . محمد . تعال حالا .. » ولم ينتظره بل ذهب الى غرفة النوم ، وجاء منها بزجاجة من الكولونيا رش منها على وجهها الاصفر ، وأقبل على راحتيها يدهما وخلع حذاءيها وجوربيها ، وراح يدهك قدميها أيضا بالكولونيا ومحمد واقف ينظر وينتظر الأوامر التي لا تصدر ولا يصنع شيئا بعد لاي ما، بدأ الدم يعود الى وجهها الممتقع .. فتنفس عبد الحميد الصعداء واطمان . وفتحت ليلي عينيها وأجالتهما فيما حولها بفتور ، ثم تنهدت ووسعها أن تتكلم . فقالت : « لم يحدث لى هذا أبدا »

فقال بشيء من العنف : « كان جميلا جدا ان يحدث لك هذا في الشارع .. هه .. » فابتسمت ، وقالت : « أشكرك .. انى آسفة .. هذه اول مرة » . فقال : « محمد . خذ هذه الزجاجة وضعها في مكانها .. والآن لا يسعنى - وقد خرج محمد - الا أن أوجه اليك سؤالا ثقيلا .. باردا في الحقيقة .. ولكنه واجب .. متى اكلت آخر مرة ؟ احذرى أن تكذبنى »

قالت : « لا داعى للكذب .. امس ، الظهر »

قال : « لقد ظننت ذلك .. » . قالت : « كيف عرفت ؟ »

قال : « أوه المسألة في غاية البساطة .. ليست مسألة فراسة ، ولكنها مسألة ضم قرينة الى قرينة .. مررت بمكتب .. واستدرجت صاحبه الى الكلام عنك ، فقال انك معروفة في مكاتب النسخ وان كنت من الجديديات عنده .. هذا يومك الخامس في مكتبه .. وأثنى عليك وطمأننى كأنما كنت أحتاج الى ذلك .. فلما أغمى عليك الآن أدركت أن

هذا من التعب والجوع .. الا ترين انى اصلح للقيام بدور سنكلر أو شرلوك هولمز ؟ ! »

فضحكت وقالت : « لماذا سألت عنى ؟ »

فقال : « قبل أن أجيبك ، يجب أن تنتظرى قليلا حتى أعود اليك »

وخرج وتركها ، فراحت تفكر مسرورة فى هذا الشاب . نعم هو شاب ، وان كان الأرجح انه جاوز الثلاثين . وفى رفته ودعته ، وفى مروءة نفسه وحسن أدبه ، وفى براعته فى فن الرواية ، براعة جعلتها تعمل كما لم تعمل قط فى حياتها .. وفى وسامته ، وفى هذا السحر الذى ينطلق من عينيه فينفذ الى القلب ، ثم تنهدت آسفة .. سحر أو لا سحر .. سيان .. لا شك أنه يعجب بها .. هذا واضح .. ولكن ما قيمة هذا الاعجاب .. وهبه أحبها فما أملها معه الا أمل الخليفة .. وهيهات أن ترضى ذلك . ولو كانت ترضى ذلك ، لما فاتها ما فاتها من الفرص .. ولا كانت خسرت ما خسرت من الاعمال ، فما كان أكثر أصحاب الاعمال الذين طمعوا فى هذا النوع من العلاقة .. فلما خيبت أملهم القوا بها فى الشارع ، وحسبها زلة واحدة فى حياتها أورثتها هذا الشقاء الطويل ..

واختصرت زفرة طويلة ، فقد دخل فى هذه اللحظة محمد وأمامه سيده .. الخادم يحمل سلطانية متوسطة فيها مرق ، والسيد يحمل فوطة ، وقال السيد : « اشربى هذا حالا .. »

وطرح الفوطة على حجرها ففعلت كما أمر ، وقال : « هذا يكفى الآن .. بعد طول الطوى ، يحسن التخفيف حتى لا تتعب المعدة »

فقالت وهى تضحك : « لا تبالغ .. انه يوم واحد ليس الا »

قال : « هذه الشجاعة التي تظهرينها تسرنى وتعليك في عيني .. ولكنها تكلف على كل حال »
فقلت مستغربة : « تكلف .. أبدا »
قال : « ان الذي أعنيه هو ان الشجاعة لا تكون الا تكلفا شيء يحمل الانسان نفسه عليه .. هذا ما أعنى »
فسألت : « ولكنى لست فاهمة »

قال : « نؤجل الدرس الى وقت آخر . ونتحدث الآن عنك .. قولى ما اسمك » . فقلت : « فريدا » . قال :
« ينطقونها في المكتب » فريدا « .. ما علينا .. هل هذا اسمك الحقيقي ؟ »

قلت : « ولماذا تظن انه ليس اسمى ؟ » . قال : « ما رأيت من شجاعتك يحملنى على هذا الظن .. انت بنت ناس »
قلت : « كل الناس أبناء ناس » . وضحكت ، فقال :
« أعنى أنك تشعرين بكرامة تحرصين عليها »
قلت : « هل أنا الوحيدة التي تفعل ذلك ؟ » قال :
« اعترف انى انهزمت .. عندى كلام كثير .. حجج .. ولكنى أوتر الهزيمة .. فما قولك ان نكون صريحين ؟ »

فضحكت .. ولم يكن ضحكها سرورا ، بل عن شعور بالضعف وبالاضطراب الذى أدركت انه سيدفعها الى الاعتراف بكل ما فى نفسها ، فقال : « قولى لى اسمك الحقيقى .. سأحتفظ به »

فأقرت من حيث تريد المكابرة ، وقالت : « ولكن ما الفرق بين اسم واسم .. ؟ كله اسم »

قال : « ها .. لقد صح ظنى .. والآن اسمك الحقيقى . لقد وعدتك بكتمانه فهل تستطيعين أن تثقى بى ؟ » قالت :
« نعم .. ليلى » قال : « ليلى .. ليلى ماذا » . قالت :
« ألا تعفينى ؟ .. لست أشعر انى أستطيع المقاومة اذا ألححت .. أرحم ضعفى »

فقال : « بالطبع .. معذرة .. لست أريد أن استغل
ضعفك .. كلا .. اغفر لى فضولى ، فإنه ليس عن حسنة
بل عن .. »

وأمسك مترددا ، فقالت وقد رات تردده وأدركت
بغريزتها الذكية دلالة : « عن .. »

فقال : « عن حب .. لقد قلتها ... قولى عنى مفعل .
ما شئت قوليه .. ولكنها الحقيقة .. وقد استرحت
الآن .. رفعت عن صدرى حجرا .. تنفست .. عجيب
ولا شك .. هى دقائق رأيتك فيها .. ولكنى مع ذلك
أحببتك كانى عرفتك من قبل أن أخلق .. كأنما كنا معا
فى عالم آخر قبل هذا . ولست أقول هذا لأخدعك .. وانى
لأعلم أن الرجل يستطيع أن يخدع المرأة بتمثيل دور
العاشق ، ولكنى لا أحاول خداعك ولا مطمع لى فيك ..
كل ما أعرفه انى أحببتك .. قد يكون هذا شعورا وقتيا
يفتر بعد قليل أو كثير .. وائى حب لا يفتر .. على كل
حال لا أعلم .. أعرف فقط انى أنا فوجئت بهذا الحب
الذى غمر نفسى وشاع فيها علوا وسفلا .. انظرى اليه
كيف شئت .. باستخفاف اذا أردت أو لم يسعك غير
ذلك . ولكن صدقينى .. فانى احتمل الاستخفاف ، ولكنى
لا أستطيع أن احتمل التكذيب . كلا .. !! »

فقالت ببساطة : « انى أصدقك » فصاح بها : « ايه ؟ »
قالت : « ألم تسمع ؟ .. هات أذنك وأنا أصيح لك فيها ..
صدقتك .. هل سمعت الآن ؟ .. لا لا لا لا لا .. صدقتك
معناها صدقتك فقط .. »

وعرف اسمها الكامل واسم أبيها أيضا ، فقال وهو
يسبح جبينه : « انتظرى .. ليس والدك هو الذى كان
ضابطا فى الجيش .. »

قالت : « هو بعينه » قال : « وكان يسكن فى شارع .. »

قالت : « هذا هو البيت الذى ولدت فيه »
قال : « غريب .. لقد كان أبى رحمه الله صديقا جدا
لابيك . ولداهما يلتقيان الآن .. غريب . وماذا حملك على
ترك أبيك ؟ اسمع انه كان عنيفا » . قالت : « لانى خفت
عنفه .. اسمع .. سأقص عليك حكايتي كلها .. لم يبق
بد من هذا . واجبني بعد ذلك اذا استطعت .. ربما كان
هذا لازما لتشفى »

وقصت عليك الحكاية ولم تكتم شيئا ولم تحاول أن
تهون من زلتها . وكان يصفى وهو مطرق ، فلما فرغت
قالت : « والآن يمكنك أن تبلغنى أنك دفنت حبك المباغت
لهذه الفتاة الطائشة »

قال : « لقد كنت ضحية ... ولست أدفن حبي لك ،
ولكننى أنوى أن أعلنه .. فهل تسمحين لى بأن أطمع أن
تحبيننى يوما من الأيام ؟ »

فأطرقت تفكر ، فقد أساءت فهم ما قصد اليه وتوهمت
انه يريد لها كما أراد غيره ، خلية .. وشعر هو من اطراقها
أن معنى كلامه ليس واضحا، وشجعه ترددها الظاهر فقال :
« انى لا أرى اننى أستطيع أن أعيش بعد اليوم بدونك ، فهل
تقبليننى زوجا على أن تكون الطاعة منى والحب ..
ولا يكون منك الا ما يسمح بالامل فى أن تحبيننى يوما ما ؟ »

فصاحت : « ولكننى احبك من الآن ! »

وندعهما .. فما بقى لنا مقام معهما

حواء والحية

رفعت « جليلة » رأسها قليلا عن الرمل ، ونظرت الى صدرها الذى يعلو ويهبط ، وجلدها الذى دبغته الشمس ثم مدت بصرها الى ساقها والى أصابعها التى عنيت بصبغ أظافرها ، وابتسمت ابتسامة الرضى والاعتباط ، ثم ردت رأسها وظلت راقدة وتركت الشمس تفعل فعلها فى جسمها العارى من الصدر الى الردفين ومن الساقين الى الأخصمين وكانت هذه عادتها مذ جاءت الى الاسكندرية .. تخرج كل صباح من الفندق فى ثياب الاستحمام ، فتلقى بنفسها فى الماء فى هذه الناحية المنعزلة وتسبح ما شاءت قريبا من الساحل ، ثم تخرج الى الرمل وترخى ما على صدرها من ثوب البحر وتعريه للشمس ، لتفيد ما قيل لها أن أشعة الشمس تفيده من الصحة والعافية . ولم تكن تلقى أحدا فى هذا المكان أو تخشى أن يتطفل عليها فيه مخلوق ، لبعده وضيقة واحتجابه وكثرة ما يحيط به من الصخور

ولمحت زورقا شرايعا يشق الماء من بعيد فنهضت واتكأت على كوعها ، وراحت تنظر اليه تارة وإلى أظافر قدميها المصبوغة تارة أخرى ثم أرهفت أذنيها ، فقد خيل اليها أنها سمعت صوتا يشبه صوت تكسر العود داسته قدم .. فنسيت أظافرها وانطرحت على بطنها وعينها الى الناحية التى تأدى اليها منها الصوت ، فما لبثت أن سمعت وقع اقدام — أو قدمين على الأصح — فما أسرع ما جلست على ركبتها ، ورفعت الثوب فغطت صدرها . وكانت أصابعها لا تزال تعمل فيه لتربطه ، حين وقف أمامها رجل وسيم معتدل القامة حسن البزة عارى الرأس ، فحدقت

في وجهه .. فقد وقف مفتوح الفم كأنما بهره جمالها
ثم قال : « أرجو المذرة »

فلم تقل جليلة شيئا وظلت قائمة على ركبتيها تنظر
اليه ، فضحك فجأة وبلا مناسبة ظاهرة ، ثم كف فجأة
وقال : « أرجو المذرة .. لكأنك حواء تصلى في الجنة » .
فقلت بلهجة امتزج فيها الغضب بالسرور المكبوح : « ماذا
تعنى بحواء والجنة ؟ »

قال : « من الاتفاق الغريب أن اسمي آدم ، وقد كنت
وأنا ماش أتوقع أن أخشى في الحقيقة - أن ألقى حية ..
ولكنني على التحقيق لم أكن أتوقع أن التقى بحواء »

وضحك مرة أخرى ، فقالت بحدة : « ليس اسمي
حواء » . فقال بابتسامة : « هل لي إذن أن أسأل ما اسمك ؟ »
قالت : « كلا .. لن أخبرك » قال : « إذن سأسميك
حواء فإنه أليق ما يكون .. وليت من يدرى هل كان
لحواء بحر كهذا في الفردوس ؟ .. »

ونظر إلى البحر ، ولكنها ردت به قولها : « سمنى ما شئت
فأني راجعة إلى الفندق » . وهمت بالنهوض ، فقال :
« سأرافقك إليه فأني نازل فيه إذا كان هو هذا » وأشار
إلى ناحيته

ولكنها لم تذهب ، بل وقفت وقالت ، وقد جنحت إلى
العناد : « بل سأبقى هنا » . فوافق الرجل بسرور وقال :
« حسن جدا .. سأبقى أنا أيضا .. لأسليك وأونسك
في وحدتك »

فهزت جليلة كتفها هزة خفيفة ، وعادت إلى الرمل
فجلست عليه ، فجلس مثلها بشبابه الأنيفة وراح يجيل
عينه في مفاتيحها .. وكانت هي أيضا تتأمل كتفيه العريضتين
ووجهه القسم وشعره اللامع وساقيه المقتولين ، ولا يبدو

عليها أنها غير راضية عن وجوده وتطفله عليها في هذا المكان
الذي كانت تظنه نائيا عن الخلق

وسألها : « ماذا تصنعين هنا ؟ » فقالت باختصار :
« كنت أتمشى »

ولكنها رمت اليه ابتسامة ساحرة ، فقال :
« ولكنك كنت راقدة على الرمل ، فهل هذه طريقة
جديدة للمشي ؟ » . قالت : « كنت أستحم » . قال :
« تستحمين ؟ ولكن بينك وبين البحر أكثر من مائة متر »
فقالت بغضب : « ألا أستطيع أن آخذ حمام شمس اذا
أردت ؟ » . فقال : « آه .. صحيح »

وهز رأسه ثم رفع طرفه الى السماء وقال : « حواء
تأخذ حمام شمس ، فيفاجئها آدم الذي كان يبحث عن
الحية .. اليس كذلك .. ويفسد عليها حمامها .. معذرة
مرة أخرى .. »

فتركت الاعتذار وسأله بلهفة : « آدم .. قل لى ..
هل تظن أن هنا حيات ؟ » . فقال : « لا أظن .. وماذا تصنع
حتى الحية هنا ؟ .. تأخذ حمام شمس هي أيضا ؟ »

فضحكت وقالت : « ألم تأخذ قط حمام شمس ؟ .. »
فكاد يفهق . وقطب هنيهة وهو يحاول أن يهتدى الى
المعنى الذي أرادته ثم قال بابتسام : « كلا .. لم أفعل
ذلك قط .. جربت كل نوع من الحمامات الا هذا ..
والله فكرة .. »

فصاحت به : « لم اكن أعنى هذا » وابتسمت على الرغم
منها ، ثم أردفت : « انما أردت مجرد الاستفهام »
فقال : « لقد كنت الآن في حمامك فقطعته عليك ،
افلا يمكن أن تستأنفيه من حيث انقطع ؟ .. »
فقالت : « ولكن هذا لا يمكن .. أعنى لا يليق يا آدم .

ربما كان هذا مألوفا في الجنة . ولعلنا لو كنا في عصر قبل
عصرنا هذا ببضعة قرون . . ولكن في هذه الايام التي ليس
فيها جنات . . كلا يا آدم » . فسألها : « ولكن لماذا تحرمين
نفسك ما تحبين ؟ » . قالت : « قد يرانى أحد » . قال :
« لا أحد هنا يراك » . قالت بابتسام : « ألم تفاجئنى أنت
في الحمام ؟ »

فلم يستطع أن يرد عليها وينقض حجتها واطرق
شيثا ، ثم تناول شعره وشده وصاح : « وجدتھا . .
استأنفى حمامك . . واقعد أنا وراء هذه الصخرة . .
أحرسك . . وانبهك . . عند الحاجة . . اذا طرا طارئ »
ولم ينتظر أن توافق بل نهض ووثب فوق الصخرة
واختفى عنها . وصاح بها من ورائها : « ما قولك ؟ » . .
قالت : « حسن . . واذا رأيت أو سمعت أحدا مقبلا فنبهنى
واسمع . . حاذر أن تنظر »

قال : « مستحيل » بلهجة من يعتقد أن هذا غير معقول
ثم أردف : « لقد رأيت ما فيه الكفاية »

واستلقت مطمئنة وراحت تفكر في آدم القديم وآدم
الحديث ، وتسأل نفسها : « أترأه سينظر من بين الصخور ؟ »
وتهز كتفيها وتنظر الى ثدييها وتحدث نفسها أن لا بأس . .
ولا خوف . . ثم انه ظريف ، ومهذب ، فليتنظر . . ألم ير
ما فيه الكفاية كما قال ؟

وكان آدم - على الجانب الآخر من الصخور - قد خلع
الجاكثة واتخذ منها وسادة لرأسه واستلقى على الرمل
وذهب يفكر في هذا الجمال البارع الذى كتب له في يومه
أن يراه ، ويسأل نفسه : « أترأها تريد منه أن يبقى حيث
هو . . أم هى يا ترى تنتظر منه أن يكون جريئا وأن يحور
الى طباع أجداده . . ماذا كان جده الأعلى خليقا أن يصنع

في مثل هذه الحالة ؟ اكان يطيع المرأة التي لعلها تعنى خلاف
ما تقول ام كان يطيع غرائزه ورغباته .. ؟ »
وانه ليفكر في هذا وما اليه ، واذا بصرخة عالية ..
فوثب الى قدميه ونظ فوق الصخرة وانحط عند جليلة
وسالها : « ماذا جرى ؟ »

ولم يحتاج منها الى جواب فقد كان حسبه جوابا ذلك
الفرع الذي ارتسم على وجهها ، فدار بعينه ينظر فما كان
يسمعها ان تقول شيئا من فرط الجزع ، فابصر أفعى على
نحو مترين منها .. فانقض عليها وتناولها من ذيلها وطوح
بها فرماها بعيدا ، ثم تناول يد الفتاة فأنهضها وهى لا تزال
نصف عارية ، ولكنها صاحت به : « لا تلمسنى .. أوه لقد
لمست يدي .. ماذا أصنع الآن ؟ »

وانتزعت يدها منه ، ولكنها أبقتها بعيدة عنها كأنها
ملوثة ، فقال : « ماذا جرى ؟ هل يدك .. ؟ »
وهبط قلبه في صدره ، وابترد الدم في عروقه وجمد ،
وجعل ينظر اليها وهو مفتوح الفم من الخوف الذي ساوره ،
فقالت : « لا تلمسنى .. أقول لك لا تلمسنى .. انى أمقت
الأفاعى »

فأدرك مرادها ، واطمان قلبه وتشهد ، وهز رأسه
مرتاحا، ووسعه أن يتنسم وقال : « آه .. هذا .. لا بأس ..
سأذهب وألبس جاكيتى وأعود اليك » . فصرخت : « كلا .
لا تتركنى وحدى » قال : « اذن تعالى معى .. نلبس جماعة »
وهم أن يتناول يدها ليعينها على الصعود فوق الصخرة ،
ولكنها تراجعته عنه فقال : « لا بأس .. أرانى صرت مثل
المنبوذين الهنود الذين لا يلمسهم أحد .. »

فرقت له ولكنها قالت وهى تخطو الى جانبه : « اظنك
وضعت هذا الثعبان بيدك الى جانبي عامدا » . فقال :
« كيف يمكن ؟ .. لقد كنت راقدًا فى الناحية الأخرى »

فقالت : « وأظنك كنت ستنام » فقال معترفا : « اى والله
كاد النعاس يغلبنى »

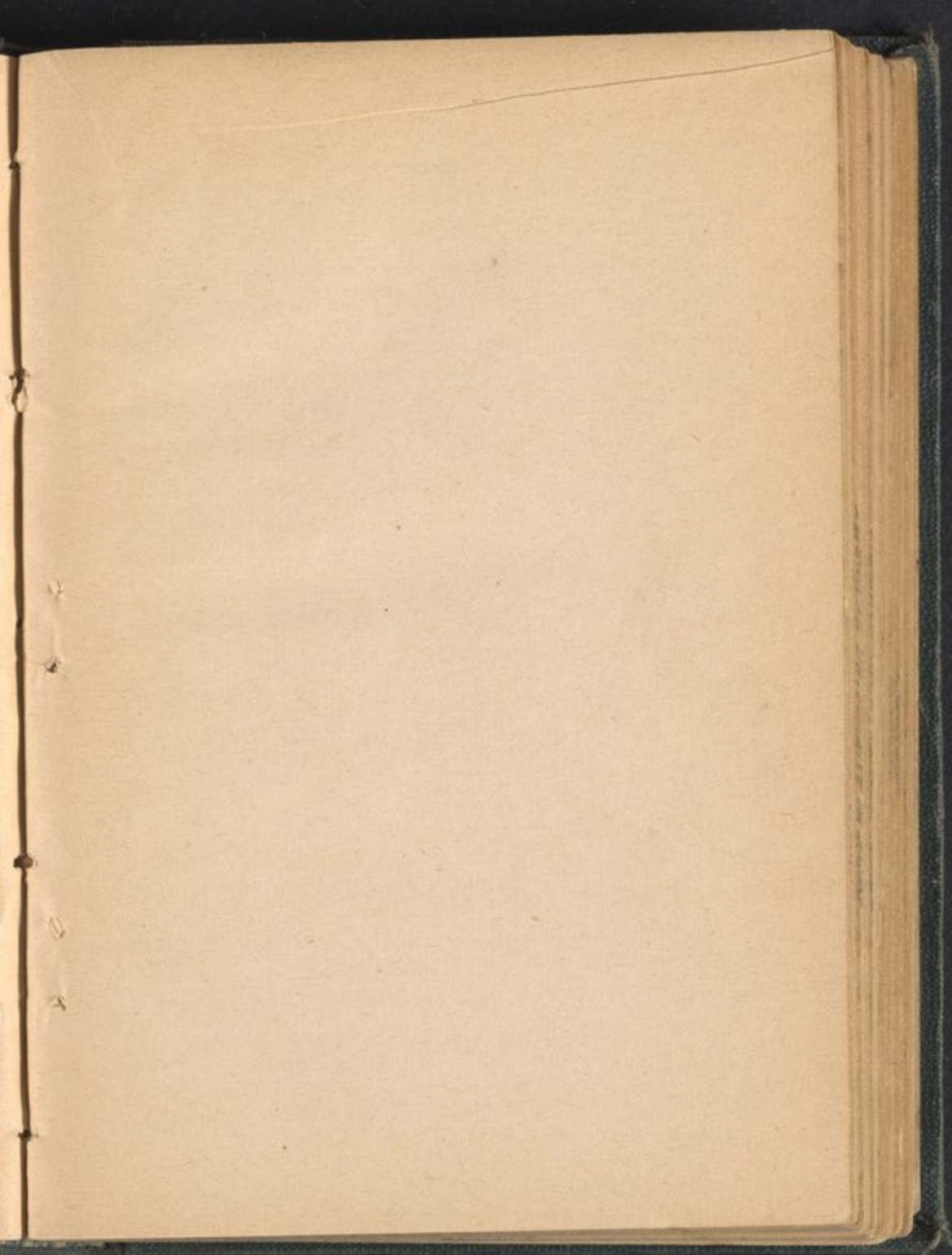
قالت : « هذا العن » . قال : « ولكنك امرتنى ان ابقى
هناك ولا اجدى » . قالت : « وتتركنى مع الثعبان ؟ » .
قال : « لا تكونى متعنتة » . قالت : « لن اجدى الى هنا
بعد اليوم »

فقال بضحك : « انتهى فصل الحمامات الشمسية »
قالت : « بل انتهى شهر العسل »

فالتفت اليها وصاح بها : « ايه ؟ . شهر ال . . . ال . . . »
قالت : « نعم شهر العسل . . الا تعرف ما هو . .
انا وزوجى هنا فى الفندق وسنعود الى القاهرة غدا . .
واسمع . . ان زوجى غيور جدا . . أسرع ما يكون انسان
الى اساءة الظن . . فاحذر . . ابق حكاية حواء والحية
بينى وبينك »

قال : « تعنين بينى وبين نفسى » قالت بابتسام : « لا . .
سنلتقى يوما . . » . قال : « متى ؟ . . طمئنينى » قالت :
« متى ايقنت ان يدك لم يبق بها اثر من الحية . . »





العقلة

لم يكن « عبده » يشكو قبل هذا أن في لسانه عقلة ، وأن الكلام يتردد في فمه ولا يكاد يخرج منه . ولكنه أحب بنت خاله ، فماذا يقول لها أو لأُمها أو لخاله ؟ وكيف تحتمل علته هذه فتاة عصرية تحب أن تباهى النساء بزوجها ؟ والمصيبة أن شعوره بهذه الحبسة يزيد لسانه امتساكا كلما جالسها . فكان إذا هم بكلامها لا يزيد على أن يخرج صوتا كهذا « ا ا ا ا ا ا . . » أو « م م م م م م » أو « ف ف ف » وأين الفتاة التي لا يحيله هذا مضحكا في نظرها ؟ وأخيرا اشاروا عليه بأن يستشير طبيبا ، قالوا له انه بارع في علاج هذه الحالات . فقصد اليه ، فلما جاء دوره وقف أمامه يقول أو يحاول أن يقول : « ا ا ا ا ا . . ششششششششش لللل . . » فقال الطبيب : « ظاهر ، ظاهر . . ان هذه الحالات العصبية معروفة » فأراد عبده أن يقول انه ليس مصابا بمرض عصبي ، فقال : « ا ا ا ا اريد الان ا اتتزرزرززوج وووو » فسأله الطبيب : « ماذا تقول ؟ » فحاول أن يبين ، ولكن الحبسة حالت دون الافصاح . ففرك الطبيب جبينه ، ثم قال : « غن اذا استعصى عليك الكلام » فدهش عبده ولم يصدق أن الطبيب يطلب منه الغناء ، وبدا عليه أنه يريد أن يستوثق ، فقال الطبيب : « بالطبع غن . غن بما تريد . انها طريقة حسنة للتغلب على العلة ، وان كان أسعافها وقتيا »

يقول بصوت شبيه بشهقة المصاب بالسعال الديكى انه يريد أن يتزوج .. ولكن هذه الحبسة تقضى على أمله . وكان كلما أخرج صوتا أحس الطبيب أن حجرا دفع في صدره ، فما ندم في حياته على نصيحة كما ندم في يومه هذا ، فقد حمس عنده وظن نفسه في موقف مناجاة ، فمضى يغنى : « طول الليالى وناطيفك على بالى ، ياللى غرامك ملك قلبى وشغل بالى ، يا خوفى من طول بعادك واللى خبالى »

فأسرع الطبيب يقول مقاطعا : « تمام .. لم تكن بك فى الحقيقة حاجة الى أعصاب نفسك بهذا الغناء البديع . الآن اسمع ، ان حالتك عصبية وانت على ما يظهر شديد الحياء » فلم يرق عبده هذا التشخيص، وحاول أن يعترض، فحالت الحبسة دون ذلك .. فتذكر أن الغناء أسعفه كما لم يسعفه شيء فيما يذكر ، فصاح يقول : « لا ، لا ، لا ، ليس بى حياء بل أنا قليل الح .. »

وقاطعه الطبيب بدوره اشفاقا على نفسه وعلى سمعة عيادته ، وعجل بأن يقول : « طبعاً .. طبعاً .. والآن اسمع ولا تضيع وقتى . يجب أن تفهم أن علاجك الوحيد أن تجترى على الناس بالكلام .. تعرفهم أو لا تعرفهم .. سيان . والأفضل أن يكونوا ممن لا تعرف . ابدا بالكلام كل من تلقاه اذا استطعت ، بأى كلام .. وجبذا لو كلمت نساء فاذا فعلت هذا كل يوم ، فأنت لا شك تشفى بعد حين »

فنفخ عبده صدره استعدادا للاستفسار بالغناء ، فريع الطبيب منه وسد أذنيه وخاف أن تطير لعيادته سمعة سيئة ، وصاح به : « لا لا لا .. ابق صوتك الحلو لمن تقابل لا تسرف يا صاحبى » وأسرع فأداره الى الباب وأحكم ايصاده وراءه وتشهد

وكانت عيادة الدكتور - ولعلها ما زالت - فى العباسية فلما خرج عبده اتجه الى آخر محطة للترام الأبيض الى

مصر الجديدة حيث بيت خاله ، وكان وهو يمشى شارد
 الذهن موزع النفس ، يفكر فيما أشار به الطبيب من ابتداء
 الناس بالكلام وان كان لا يعرفهم . وكيف بالله يبدأ غريبا
 لا يعرفه بمثل هذه الاصوات «مممن ففففضلك السسسساعة
 ككككام » ان هذا مستحيل . وهذا الطبيب لا شك مجنون
 انه طبيب مجاني لا طبيب .. ماذا .. اى طبيب هو ..
 لقد أرشده اخوانه اليه وقالوا انه اخصائى فى هذه
 الحالات ، غير انهم لم يقولوا اى حالات فهل تراهم حسبوهم ؟
 ولكن هذا غير معقول وكان قد بلغ المحطة وراح يمشى
 ريثما يجىء الترام ، وكانت الشمس قد مالت الى المقيب ،
 ولم تكن المصابيح التى رفعتها شركة النور سبعة امتار
 فوق الرؤس الا كالنجوم التى لا تنير ، وانما تريك كيف
 تكون العتمة ، وكيف تغيب معارف الارض ، وكيف
 تستطيع ان تظن الرجل شجرة ومصباح النور فتاة هيفاء ،
 والظل على الارض ماء يحسن ان تتقى بلله وتلويثه للحذاء
 الجميل . وانه كذلك ، واذا به يرى رجلا عجيب الثياب
 مقبلا يمشى مثله ، فوقف مكانه مبهورا . وكان الرجل
 لابسا جلبابا قد يصلح ان يكون كلة لسرير ، ولكنه لا يصلح
 ثيابا لادى مهما بلغ من الجسامة ، وكان الثوب لسعته
 يكنس الارض ، وقد اضطر صاحبه ان يطوى اكثره تحت
 ابطه . وكان يحمل عمامته مقلوبة على كفه ، كما يحمل
 الخادم القصعة . وكانت مشيته بطيئة ، وعلى ثغره ابتسامة
 العاشق رأى فى منامه حبيبته تؤاياه بعد طول الصد
 والحرمان . وحدث عبده نفسه ان لا ضير من خطاب رجل
 كهذا ، ولكن غرابة امره صدته . على ان الامر خرج من يده ،
 فقد دنا منه الرجل وقال بابتسامته المتحجرة : « كله من
 فضل الله .. كلوا مما رزقناكم » ونظر عبده فى العمامة
 المقلوبة ، فلم يجد شيئا فهم بأن يقول شيئا على سبيل
 الاعتراض على هذا المزاح ، ولكنه لم يستطع ان يجاوز

ابتداءاته المعهودة .. وقال له الرجل يشجعه : « لا تستحي
ان الخير كثير . اطلب تعط . الست مؤمنا مسلما .. هه ؟ »
فلم يفهم ما العلاقة بين الايمان وبين ما فيه هذا الرجل ،
ولكنه شعر بأن الحزم يقضى عليه بأن يجيب فقال : « نننعم
مممم مسمسمسلم ووو ممم موحد ببببالله » فأشرق وجه
الرجل ، وحنى رأسه تواضعا وقال وهو يبتسم : « انتهينا
اذن .. انا ربك » فذعر عبده وتلفت ناحية الترام ، وألقى
نفسه يقول وهو يتلفت : « اأنا مممممؤمن ججججدا »

فقال الرجل : « لا عجب ان تتلعثم في حضرة الهك ،
فما كل يوم يظهر الله للناس . لا تقل لأحد أنك رأيتني ،
فانى أحب أن أظهر لمخلوقاتى في السر » فحنى عبده رأسه
مرات عديدة بسرعة لم يكن يدرى أنه قادر عليها أو أن
رأسه يحتملها ، ومضى الرجل في كلامه فقال : « أنت من
أحسن من خلقت . وانى لأذكر انى أردت أن أخلق من
طينتك بغلا ، ولكن شيئا ألهمنى أن أجعل منك انسانا ..
وقد ندمت على ذلك ولكنى أرى الآن انى لم أخطئ ،
فاطلب ما تشاء . هل تريد مالا ؟ أو تريد غير المال ؟
سلنى فليس فى بخل .. عندى من الحب كل صف يورث
الجنون ويضرم النار هنا - ودفع كوعه فى بطنه - حتى
لتحرق الصدرية وتزغرد من فوقها . وعندى من الحب
ما يجعل منك شاعرا ، وثالث تصير به خطيبا ، ورابع يغريك
بالخيالات ويحبب اليك احتضان أعمدة السرير ، فأيتها
تريد ؟ .. تعال هنا .. بعيدا عن الناس .. فى هذا
الكشك ولنغلقه علينا ، فانى أرى الترام آتيا وأخشى أن
يرانا أحد فلا تظفر بنصيبك العادل من وجودى »

وامسكه من ذراعه وجعل يدفعه أو يقوده ، فقد كان
عبده بادى الزهد فى هذه الخلوة .. ولما بلغا الباب كان
الترام قد وصل فاندفع الرجل داخلا ، واندفع عبده

راجعا ، ووثب الى الترام فدخل في الدرجة الاولى وانحط على كرسي وهو ينهج ويمسح العرق المتصبب . وكانت امامه سيدة تنظر اليه ، وهو غير شاعر بها . وكان يتنهد ويتشهد ويثب من حين الى آخر ، لينظر من النافذة مخافة ان يكون ذلك المجنون قد لحق به . وكان الترام قد قطع شوطا كبيرا ، فهدأت نفسه شيئا فشيئا وابصر السيدة . . وكان الترام لم يقف بعد ان ركبته فلا شك انها كانت من اول الامر هنا معه . وتذكر انه دخل كالمدفع وانحط على المقعد كالحجر وانه لا شك قد بدر منه ما يريب ، فأراد ان يفسر ما لعلها استغربته من سلوكه . . غير ان دخول الكمسارى قطع عليه عزمه ، وكان الكمسارى ثرثارا فجعل يقول وهو يتناول القرش ويقدم التذكرة : « مجنون هرب من المستشفى . . وجدوه في محطة العباسية . في آخر محطة وقفنا فيها ، لكنه اختفى بسرعة غريبة . من يعرف يمكن يكون ركب الترام . . لكن هذا مستحيل . . ومع ذلك أين اختفى ؟ . ليس في المحطة مكان يختبئ فيه . . لا بد ان يكون ركب الترام »

وكان عبده حين سمع ذلك قد ذعر وفتح فمه كالابله . . وكانت السيدة تنظر اليه وتسمع حديث الكمسارى ثم تنظر الى عبده ، وترى آيات الفزع في وجهه . وخرج الكمسارى الى حيث الركاب الآخرون وأحس عبده ان عليه ان يقول شيئا ، ولو على سبيل التفكهة والتسلية وليخفف عن هذه السيدة التي لا شك انها ريعت من حديث الكمسارى ، ولا سيما انه - أى عبده - الوحيد الذى يعرف اين اختبأ المجنون - وهذا العلم وحده يغرى بالكلام . ولكن لسانه خانه على عادته فقال - على حين لم تكن السيدة تنتظر كلاما : « أأنا ششفففته »

وأمسك ، فما في مثل هذا فائدة ، وتذكر ان الطبيب

قال له : « غن » فرفع صوته يقول مغنيا : « المجنون يا ستي
الذي سمعت عنه مختبئ في الكشك هناك »
ولم تتح له فرصة لاتمام ما بدا .. فقد وقفت السيدة
وانطلقت تصرخ بأعلى صوتها وتصيح : « ادركوني ..
ادركوني .. الحقوا .. »
وكان الترام قد بلغ محطة وقف عندها ، فلم يسع عبده
الا أن ينزل مسرعا .. فما بقى له مقام في هذا الترام
والا قبضوا عليه على أنه المجنون الهارب ، وانطلق يعدو ..
وأخيرا بلغ البيت وقابل - أول من قابل - بنت خاله ،
فأدهشه وأدهشها أن الحبسة زالت عنه



فهرس

صفحة

٧		الاهداء
١١		التدريب الاول
١٩		الدكان
٤١		الكآبة
٤٩		العقد الضائع
٦٣		الجارا
٧١		البحث عن الذهب
٧٧		تفيدة
٩١		الهارب
١١١		النسيان
١١٩		فتاة الحارة
١٢٧		في رأس السنة
١٤٩		عقاب اللص
١٥٧		ثمن سيجارة
١٦٥		البغفاء والقط
١٧٣		السيارة المسروقة
١٨٥		ميمى
١٩٥		لينى
٢١١		حواء والحية
٢١٩		العقلة

وكلاء مجلات دار النهضة

سوريا ولبنان : شركة فرج الله للمطبوعات - مركزها
الرئيسي بطريق الملك المتفرع من شارع
بيكو في بيروت (تليفون ٧٨ - ١٧)
صندوق بريدي ١٠١٢ - أو باحدى وكالاتها
في الجهات الأخرى . (الأعداد ترسل
بالطائرة للشركة وهي تتولى تسليمها
لحضرات المشتركين)

العراق : السيد محمود حلمي - صاحب المكتبة
العصرية - بغداد

اللاذقية : السيد نخلة سكاف

مكة المكرمة : السيد هاشم بن علي نحاس - ص.ب. ٩٧
البحرين والخليج : السيد مؤيد احمد المؤيد - مكتبة المؤيد -
البحرين

الفراسي : السيد محمد علي بوعقيص - بنغازي -
ص.ب. ١٠٤

البرازيل : Snr. Jorge Suleiman Yazigi,
Rua Varnhagem 30.
Caixa Postal 3766,
Sao Paulo, Brazil.

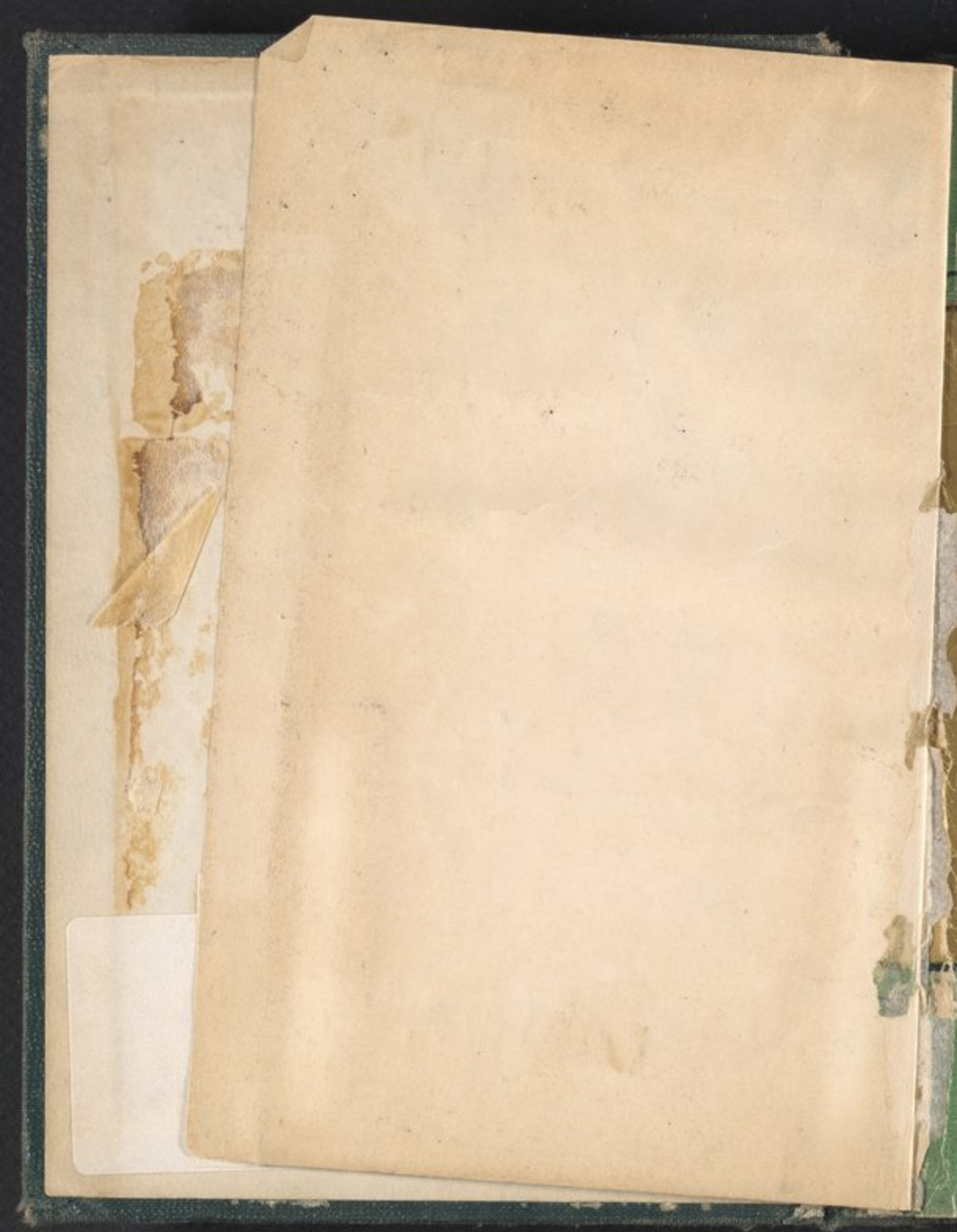
ساحل الذهب : The Queensway Stores, P.O. Box 400,
Accra, Gold Coast, B.W.A.

نيجيريا : Mr. M.S. Mansour, 110, Victoria Street,
P.O. Box 652, Lagos, Nigeria, W.C.A.

انجلترا : مكتب توزيع المطبوعات العربية
Arabic Publications Distribution Bureau
15 Queensthorpe Road, London, S.E. 26.

هذا الكتاب

تعنى سلسلة كتاب الهلال - فيما تعنى -
بآثار كبار العلماء والأدباء ، فتختار بين حين
 وآخر مؤلفا من مؤلفاتهم . احياء لعلمهم وأدبهم
 وخدمة للنهضة الثقافية في الشرق . وهامى دى
 تقدم لقارئها مؤلفا نفيسا من مؤلفات فقيه
 الأدب ابراهيم عبد القادر المازنى . وهو مجموعة
 من قصص الحياة والمجتمع
 وقد أودع فيها طائفة من تجارب الحياة
 وغيرها ودروسها ، استمدتها من الواقع لا من
 الخيال ، وصاغها في قالب ادبى بليغ
 ولا ريب أن المرحوم المازنى قد وجد في فن
 القصة خير وسيلة له في ايصال آرائه وأفكاره
 وتجاربه للقراء . ولهذا عنى في الشطر الأخير
 من حياته بهذا النوع من الأدب . وقد برهن في
 كتابته للقصة على أنه من نوابغ القصصيين . فأنث
 تقرأ فيها فنين ممتعين . فن الحياة كما هو في عبره
 ودروسه وفلسفته ، وفن القصة كما برع فيه
 المازنى بأسلوبه الشائق وتصويره المبدع الرائع



AUC - LIBRARY



DATE DUE

3 - DEC 1989



A.U.C

31 JUL 1994

1974

MAR



1 0 0 0 0 1 1 6 8 3 7

